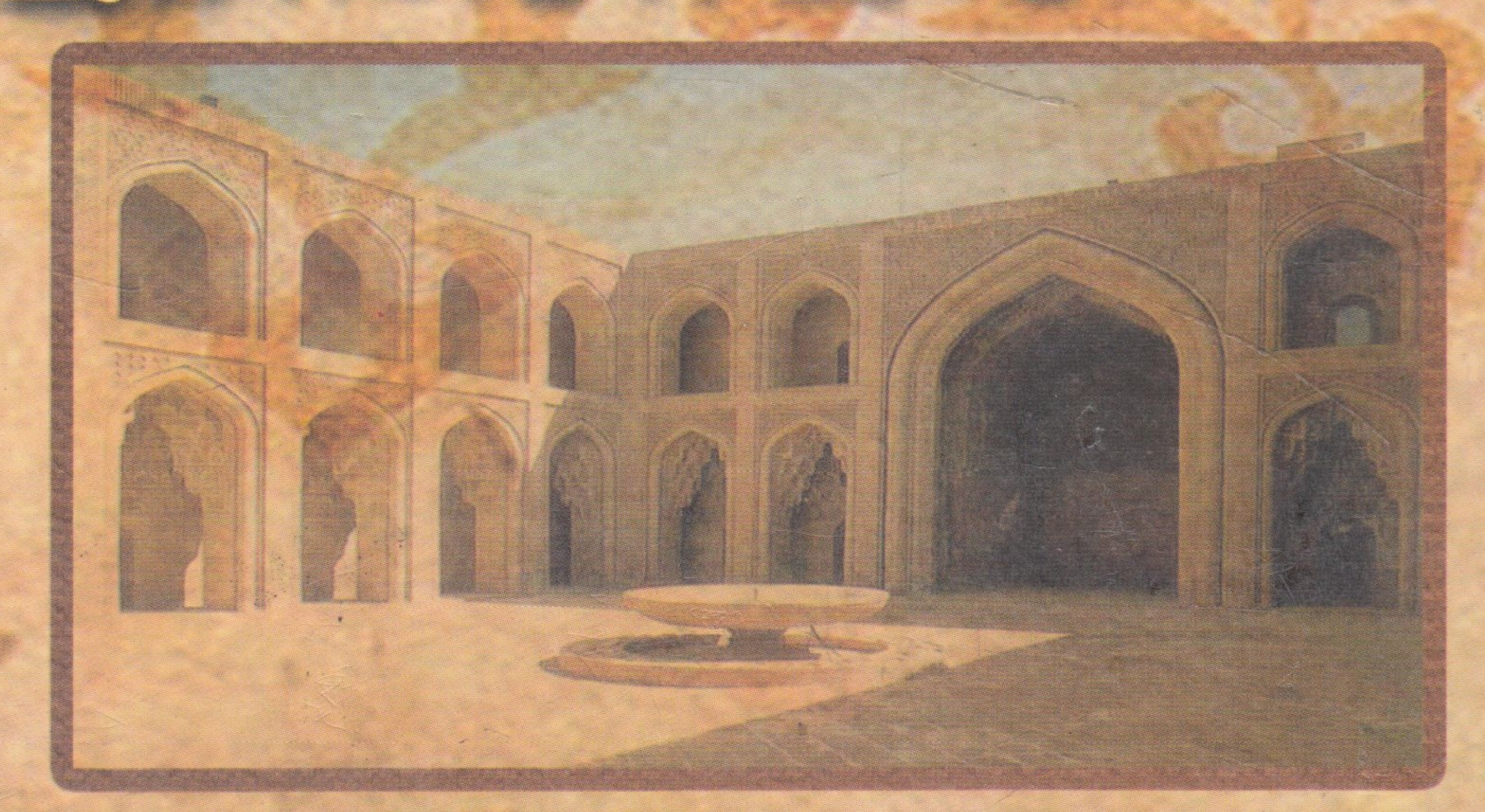


في التاريخ العباسي

١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٩-٨٦١م



الدكتور

أحمد عبد العزيز محمود

الأستاذ المساعد - كلية الآداب

جامعة صلاح الدين




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

في التاريخ العباسي

132-247هـ/749-861 م

دكتور

أحمد عبدالعزيز محمود

الأستاذ المساعد- كلية الآداب

جامعة صلاح الدين

2012



دار الكتب والوثائق القومية
نوان المصنف :في التاريخ العباسي.
سم المؤلف :أحمد عبد العزيز محمود.
سم الناشر : المكتب الجامعي الحديث .
رقم الايداع : 2011/11431.
الترقيم الدولي : 978-977-438-229-9.

اهـــداء:

- إلى والدي المرحوم الذي علمني حب الوطن.

- إلى اخي المرحوم فهد الذي شجعني على الدراسة.

تحليل المصادر:

بعض المصادر المهمة في العصر العباسي الأول

ان المصادر التي تعالج موضوع الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول متعددة ومتنوعة، وهذه المصادر هي: المصادر التأريخية، الأدبية، المحلية، العقائدية (الفرق)، الأنساب، التراجم.

المصادر التاريخية:

1- أخبار العباس وولده:

والكتاب تاريخي مرتب على نظام النسب يبدأ بأخبار العباس وينتهي بوفاة (ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ابراهيم الامام). الا أن الصفحات الأولى والأخيرة للكتاب مفقودة، والكتاب مجهول المؤلف وقد قام الدكتور عبدالعزيز الدوري بنشره، وهو يعتقد انه لمحمد بن صالح، لأنه من كتب في أخبار الدولة العباسية.

ومن الواضح ان المؤلف موال للدولة العباسية، فهو يمدح الدولة العباسية الشريفة، ويقول بأن كتابه هذا سيكون مختصراً على الرغم من ان الأعمال المجيدة والفضائل الحميدة للعباسيين تغريه بأن كتب كثيراً عنهم.

يعتمد المؤلف على رواة ثقات مثل أبي مخنف(ت 157هـ) ومصعب الزبيدي (ت 235هـ) وعمر بن شبه(ت 262هـ) والبلاذري(ت 279هـ) والعباس بن هشام الكلبي.

وفي رواياته عن الدعوة العباسية نقل عن شهود عيان وشخصيات اشتركت في حوادث الدعوة، ولذلك فهو في بعض فصوله يعد أشبه بوثيقة سرية عباسية لايعرف هذه المعلومات الموجودة فيها الا الحلقة السرية في الدعوة العباسية.

أما الروايات التاريخية التي تتعلق بالثورة العباسية ففيها معلومات عن تنظيم الدعوة في خراسان، والاساليب التي اتبعتها لجذب رؤساء القبائل العربية هناك،

كما يظهر الكتاب بوضوح تنظيم الدعوة السرية إلى (12) نقيباً يرأسهم نقيب النقباء ثم(12) شخصاً يكونون مايسمى بـ(نظراء النقباء)، ثم هناك(7) دعاة ومايقارب الـ(36) من دعاة الدعاة. ويظهر الكتاب أيضاً دور الشخصيات العربية في الدعوة أمثال: سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب ومقارنتها بدور أبي مسلم الخراساني. كما يظهر المؤلف بوضوح موقف محمد بن علي العباسي من خداش بعد افتضاح عقيدته، وتنكره له، كما ان هناك معلومات جديدة تخص استخدام النساء كدعاة.

2- كتاب التاريخ:

نشر هذا الكتاب في معهد المستشرقين في موسكو مصوراً بالفوتستات باشراف ب.أ.كرايزنوفيج حيث ترجمها إلى اللغة الروسية مع مقدمة وتعليقات. والمخطوطة كما يظهر من تعليق في بدايتها جزء من كل مفقود، فهي تشابه كتاب أخبار العباس من هذه الناحية. ومن خلال مقارنة الكتابين يظهر ان اخبار العباس ينتهي بمقتل ابراهيم الامام، أما النبذة فتستمر فتروي تنصيب أبي العباس خليفة للمسلمين ومؤامرة أبي سلمة الخلال لنقل الخلافة إلى العلويين.

3- كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت 240هـ):

خليفة مؤرخ بصري مشهور الا ان كتابه لم يكتب له الذيوع والانتشار الاّ مؤخراً. يمتاز خليفة بأنه يختار الموضوعات ويركز على الروايات المهمة.

ويتضمن تأريخه معلومات فريدة في بابها منها مايساعد على توضيح الغموض الموجود في المصادر الأخرى، ومنها مايضيف معلومات جديدة إلى المعلومات السابقة فمثلاً:

1- يورد قوائم بأسماء الدواوين المركزية والإقليمية وموظفيها وكذلك القضاة ورؤساء الشرطة وولاة الاقاليم في نهاية عهد كل خليفة عباسي.

2-يهتم بذكر حوادث الخوارج في العصر العباسي.

3- يعطي فكرة واضحة عن الدعوة العباسية في خراسان، ويظهر ان المصالح الجديدة التي ظهرت بعد استقرار العرب في خراسان أدت الى وجود تكتلات بين العرب أنفسهم لاتعتمد على عصبيات قبلية، وانما تعتمد على المصالح الجديدة التي أوجدتها الظروف الجديدة.

4- نبه خليفة بن خياط، بان الاتراك لم يظهروا فجأة في البلاط والجيش العباسي زمن المعتصم، فقد كانوا يشكلون وحدة ضمن الجيش العباسي أيام المهدي.

ولعل عدم انتشار الكتاب يرجع إلى كون المؤرخ عاش أيام المحنة زمن المأمون، وكان يعادي المعتزلة كما كان يعيش في البصرة، وكان فيها كتلة تميل للامويين، وعرف خليفة بموالاته لهذه الكتلة لذلك انتشر كتابه في افريقيا والاندلس.

4- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ):

على الرغم من أهمية كتاب الطبري وكونه من المصادر المهمة، الا أن المعلومات التي يقدمها عن الدعوة العباسية تعد غامضة ومرتبكة. فهو يركز في رواياته على الأقاليم المركزية من الدول الاسلامية مثل العراق ولايهتم بالأقاليم الغربية مثل سوريا ومصر وأفريقيا قدر اهتمامه بالأقاليم الشرقية مثل فارس وخراسان. كما أنه لايهتم بالحركة الخارجية، وهذا مادعا ابن الاثير إلى ان يعتمد على مصادر أخرى فيما يتعلق بهذه المعلومات.

ومع هذا يظل الطبري احد المصادر الرئيسة للثورة العباسية ولاسيما الخلافة، وانه يجمع أكبر عدد ممكن من الروايات عن الحادثة الواحدة موضحاً سلسلة الرواة في أغلب الروايات التي يذكرها، وهو بهذا يستعمل طريقة المحدثين في سرد رواياته. وطريقة الطبري في العرض ينقصها التنسيق والترتيب فكتابه أشبه بخزانة من المعلومات التاريخية غير المنظمة، حشدها المؤرخ في كتابه دون نقد أو تحليل أو تأويل لدرجة أنه أحياناً يذكر عدة روايات لحادثة واحدة.

ومن العيب أنه على الرغم من ضخامة هذا الكتاب، فان الطبري يقول في مقدمته إنه اختصار لكتاب أضخم من ذلك بكثير، وأنه وجد أن الناس أكسل من أن يقرؤا ماجمعه فأكتفى بذلك القدر. والكتاب نشره المستشرق دي غويه De Goeje في 13جزء، كما توجد طبعات مصرية ولبنانية مثل طبعة المكتبة التجارية في ثمانية أجزاء والمطبعة الحسينية في اثني عشر جزءاً.

5- كتاب ذيل تاريخ الطبري للمؤرخ والطبيب القرطبي عريب بن سعد (ت 370هـ):

وقد كتب المؤرخ عريب ذيلاً على تاريخ الطبري، وصل فيها الحوادث التي وقف عندها الطبري أو أهمل ذكرها من سنة291هـ إلى نهاية عهد الخليفة المقتدر العباسي سنة 320هـ. واهتم بصفة خاصة بتاريخ المغرب والأندلس الذي أهمله الطبري في تاريخه. وقد نشر دي غويه القسم المشرقي من صلة عريب(ليدن سنة 1868م)، أما القسم المغربي فقد تضمنه كتاب البيان المغربي لإبن عذاري.

6- فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ):

معلومات مهمة بالدرجة الأولى لمؤرخي الأحوال الإدارية والمالية، الا أن هناك بعض المعلومات المبعثرة المهمة سياسياً خاصة تلك التي تخص إقليم خراسان ومدنها المهمة. ومما يزيد في أهمية الروايات موضوعية المؤلف وقدمه والثقة التي وضعها فيه مؤرخون متأخرون عنه، مثل الجهشياري والصولي والمقريزي.

7- الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري (ت 282هـ):

على الرغم من ان روايات الدينوري غالباً ماتذكر بدون اسناد وانها مختصرة وغامضة احياناً، الا ان الرجوع إليها ضروري لقدم المؤرخ ولوجود صفة الاصالة في بعض رواياته.

ومن الروايات الغامضة، الروايات المتعلقة بـأبي مـسلم الخراسـاني، إذ ان الدينوري يبالغ في أهمية دوره في انجاح الدعوة العباسية. ان مبالغات الـدينوري فيما يخص ابا مسلم مهمة تاريخياً لأنها تساعدنا على تحديد الزمن الذي بدأت فيه شخصية أبي مسلم تتخذ صفة اسطورية واضحة حتى تطورت فيما بعد فجعلـت منه بطلاً قومياً ايرانياً. من الملاحظات التي تؤخذ على الدينوري، اهماله بعـض الاحداث المهمة في هذه الفترة، مثل مؤامرة أبي سلمة الخلال ضد الخليفـة أبـي العباس وحركة عبدالله بن علي العباسي ضد الخليفة المنصور.

8- تاريخ اليعقوبي(ت 292هـ):

اليعقوبي مؤرخ عربي ذوميول معتدلة، الا ان ميوله هذه لم تؤثر عليه في أثناء كتابته التاريخ. ورواياته تتصف بكونها واضحة وغير متحيزة فيما يخص الدعوة العباسية وتطوراتها. ويبدو من كتابته انه استقى معلوماته من مصادر أخرى غير مصادر الطبري.

ان المعلومات التي يقدمها اليعقوبي تساعدنا على تقييم أحسن وفهم أوضح، فهي توضح مثلاً الشك القوي الذي كان يشوب العلاقة بين المنـصور وأبـي مـسلم الخراساني منذ الأيام الأولى لتبوء المنصور الخلافة، ثم يشير بوضوح إلى النسبة العالية للعرب في البلاط والإدارة العباسية وإلى المبادرة التي اتخـذها المنـصور لإستخدام مواليه وغلمانه في المراكز الإدارية، هذا مع استمرار استئثار العـرب بالسلطة. فاليعقوبي يوضح لجوء العباسيين المستمر إلى السياسة القبلية لمواجهـة مواقف سياسية محرجة وذلك باذكاء نار العصبية القبلية. وتاريخ اليعقـوبي يبـدأ بالتاريخ القديم كالمعتاد ثم يتناول التاريخ الاسلامي إلى أيـام الخليفـة العباسـي المعتمد على الله 259هـ، ورتبه بحسب الخلفاء.

9- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي(ت 314هـ):

مؤرخ عاش في القرن الثالث الهجري وعاصر نخبة مشهورة من المـؤرخين المسلمين، الا ان الذي يعرف عنه شيئاً قليلاً بالنسبة لمعاصريه.

أما كتابه (الفتوح) فلم يعرف الاّ حديثاً. ان ابن اعثم كتب كتاباً في الفتوح ولم يكتب تاريخاً فلم يفصل في الحوادث السياسية لأن هذا ليس من شأنه.

أ- يبدأ القسم الأول بخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه(23-35هـ) وينتهي ببدء حركة المختار 66هـ.

ب- أما القسم الثاني فيستمر في رواياته عن حركة المختار ثم ينتهي بحركة بابك الخرمي في عهد الخليفة المعتصم(218-227هـ). يشابه اليعقوبي في حذف الاسانيد. وابن اعثم لايعطي فقط روايات تاريخية عن الحوادث المختلفة، ولكنه برواياته يعد مصدراً تقاس عليه روايات من سبقه أو عاصره كالبلاذري واليعقوبي والطبري ، وبمقارنة الروايات يمكن الوصول إلى فكرة أوضح وأشمل.

ان الذي يجلب الانتباه في كتاب الفتوح ان ابن اعثم ما ان ينتهي من دولة الامويين حتى يبين بوضوح أن هذا نهاية كتاب الفتوح.

ان عدم عمق الروايات في الحوادث في القسم الأخير، فضلاً عن وضوح الميول العلوية، بصورة تجلب الانتباه وتدعو إلى الشك في نسبة هذا القسم الأخير، المبتدأ بظهور المسودة لكتاب الفتوح، ربما أضيف إلى الكتاب في وقت متأخر.

أما من حيث المادة التاريخية التي يحويها القسم الأول، فتضم معلومات غزيرة عن الموضوعات الآتية:

1- استقرار العرب في المناطق المفتوحة، ومعلومات مهمة جداً عن استقرار العرب في خراسان غير موجودة في كتب أخرى، أو اضافية موضحة لما هو موجود في البلاذري والطبري.

2- يزخر الكتاب بمادة دسمة حول فتح العرب لارمينية وتاريخها في الحكم الاسلامي حتى زمن الخليفة المعتصم.

3- اما المعلومات عن الحوادث السياسية مثل مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وحركة المختار وغيرها، فهي متممة لمعلومات موجودة في مصادر أخرى.

4- تظهر نزعة ابن اعثم الكوفي الميالة للعلويين، حينما يتطرق لثورات العلويين في العصرين الأموي والعباسي معاً. فهو يظهر مثلاً ان الدعوة العباسية لم تكن منظمة ومدبرة من شخصيات عباسية وانما كانت الدعوة باسم آل البيت. وهو يهمل محاولة أبي سلمة الخلال لنقل الخلافة إلى العلويين.

وفي كتاب الفتوح رسالة وجهت من أبي مسلم إلى المنصور العباسي لم تذكر فيها الاضافة الآتية، حيث يعد كتاب الفتوح المصدر الوحيد لهذه الاضافة:

((... واوطأت غيركم من كان فوقكم من آل رسول الله بالذل والهوان والاثم والعدوان...)) مشيراً إلى العلويين.

روايات عن العصر العباسي غير متكاملة وغير موثوق بها، وان الحوادث مختارة وغير متسلسلة من الناحية التاريخية، وله في هذا عذر لأنه كتب في الفتوح وليس في التاريخ، ومادته عن عهد المهدي(158هـ) فصاعداً مختصرة وحينما يتكلم عن علاقة العلويين بالهادي يقول: ((ولموسى أخبار مع العلويين)) لانحب ان نوردها فهو دائماً يمتنع عن ذكر تفاصيل عن العلويين أو يظهر معلومات قد تسيء إليهم من جهة أو أخرى.

10- كتاب الوزراء والكتاب ، لمحمد بن عبدوس الجهشياري (ت 331هـ):

كان الجهشياري كأبيه موظفاً في الإدارة العباسية، وقد أهله ذلك ان يتصل بطبقة الكتاب والوزراء العباسيين، ولذلك كان أكثر الرواة الذين اعتمد عليهم في كتابه هم الوراقون وموظفو البلاط.

على الرغم من ان الكتاب يتعلق بالدرجة الأولى بموضوع الإدارة والنظم العباسية، الا أنه يحوي مادة طريفة عن الحالة العباسية والتنافس بين الوزراء وغيرهم من الكتل السياسية مثل الصحابة والعرب والموالي وأهل خراسان.

وفضلاً عن ذلك يتناول الكتاب تاريخ الخلفاء بحكم اتصالهم بالكتاب والوزراء، كما يتكلم عن حياة القصور ومظاهر الحضارة الفارسية التي اقتبسها المسلمون عن الفرس ولاسيما في النواحي الإدارية والسياسية.

ويقع هذا الكتاب في جزء واحد، نشره أحمد السقا وابراهيم الابياري(القاهرة، 1938م)، وقد حذا حذو الجهشياري في تاريخه الوزراء، بعض المؤرخين أمثال هلال بن المحسن الصابي(ت 448هـ) الذي كتب كتاباً بعنوان(تحفة الامراء في تاريخ الوزراء)، (بيروت، 1933م) وصل به تاريخ الجهشياري الى سنة 393هـ.

11- كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول:

على الرغم من ان مؤلفه غير معروف، الا ان اهميته تعود إلى اعتماده على روايات غير واردة في كتب التاريخ المعروفة كالطبري ولذلك فان مقارنة هذه الروايات الجديدة بغيرها قد يفيدنا في تكوين صورة أوضح عن الدعوة العباسية. ولكن الكتاب لايذكر الاسناد إلا نادراً.

يبدأ الكتاب بالعهد الوليد بن يزيد(86هـ) إلى عهد المعتصم 218هـ، وقد نشره المستشرق دي غويه(1860م-ليدن). أما القسم الرابع فيبدأ بحوادث(255-351هـ) وقد نشرته الدكتورة نبيلة عبدالمنعم داود في بغداد 1972/1970م مع مقدمة وتعليقات.

12- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر والتنبيه والاشراف، لعلي بن الحسين المسعودي(ت 345هـ أو 346هـ):

ان اهم مايمتاز به المسعودي في كتابه هو الاختصار والاختيار فهو لايعطي رواية تاريخية متصلة الحلقات لحوادث التاريخ الاسلامي، بل يؤكد على أحداث معينة جلبت انتباهه أكثر من غيرها، كما وانه لايتورع عن إدخال بعض الاساطير والقصص الشعبية والاشاعات المتداولة بين الناس حول حوادث سياسية، أو فتن مذهبية مما يدعو إلى الحيطة والحذر في قبول الروايات قبل تمحيصها، وعلى الباحث الحذر من اسلوبه الشيق الذي ربما جذب القارئ إلى تصديق رواياته خاصة تلك الخالية من الاسناد. ومهما يكن من أمر فالمسعودي يعطي فكرة واضحة عن الدعوة العباسية ذاكراً الروايات بأسانيدها، كما وانه يفصل في

العلاقات العباسية العلوية، وهنا لايخلو المسعودي من ميل معتدل للعلويين، على الرغم من ان الموضوعية هي الصفة الغالبة على كتابه.

لإهمية هذا الكتاب، اهتم به المستشرقون وترجموه إلى لغاتهم نذكر منهم باربيير Barbeier الذي نقله إلى الفرنسية، وسيرنجر Sirenger الذي نقله إلى اللغة الانجليزية. وتوجد طبعة مصرية في أربعة أجزاء.

أما كتاب التنبيه والاشراف، فهو كتاب جغرافي تاريخي يتكلم عن الافلاك والنجوم والرياح والأرض والسكان والأنهار، ثم يتعرض بعد ذلك إلى ظهور الاسلام وسير الخلفاء وأعمالهم حتى سنة 345هـ، أي قبل وفاته بسنة واحدة. وهذا الكتاب عظيم الأهمية لأنه يحتوي على أخبار لم توجد في كتابه مروج الذهب الذي تنتهي حوادثه في سنة 334هـ، ولاسيما الاحداث الخاصة بتاريخ القرامطة وعلاقتهم بالعباسيين، وقد نشر هذا الكتاب المستشرق دي غويه سنة 1894م. ضمن سلسلة كتب مكتبة الجغرافيين العرب وهو الجزء الثامن منها. كذلك نشرته دار التراث بيروت حديثاً. فضلاً عن طبعة القاهرة(1938م).

13- كتاب المعارف لمحمد بن مسلم بن قتيبة(ت 276هـ):

يعد ابن قتيبة أديباً أكثر منه مؤرخاً، الا أنه يضمن كتابه(المعارف) نتفاً تاريخية عن الحوادث السياسية وأسماء العمال والولاة العباسيين. وترجع أهمية رواياته على قلتها واختصارها، إلى كونه من الكتاب الاوائل وإلى اعتماده على مؤرخين آخرين معاصرين له أو أقدم منه كابن حبيب مثلاً.

14- الإمامة والسياسة ينسب لإبن قتيبة أيضاً:

وتعود أهمية الكتاب إلى وجود روايات فريدة لاذكرلها في كتب تاريخية أخرى، ولذلك يجب التأكد من صحتها ولاسيما وان المؤلف لايذكر أحياناً سلسلة رواته وانما يكتفي بذكر: قالوا أو ذكروا. ومما يزيد في حيطة الباحث هو كون الروايات التي تضمنها الكتاب اختيرت عن قصد للعظة والاعتبار بها، مما يزيد من صفة المبالغة والمغالطة فيها.

15- ابن الاثير: كتاب الكامل في التاريخ:

يلي الطبري في الأهمية المؤرخ العراقي المعروف عزالدين بن الاثير صاحب كتاب الكامل في التاريخ. فقد نحا نحو الدراسات التاريخية وألف فيها كتباً عدة نذكر منها: أسد الغابة في معرفة الصحابة(نشر محمد صبيح)، والباهر في تاريخ الدولة الاتابكية بالموصل(نشر عبدالقادر طليمات)، على أن كتابه الذي يهمنا في دراستنا هو تاريخه الكامل أو الكامل في التاريخ، ويتضمن الأخبار التأريخية منذ بداية الخليقة وينتهي إلى آخر سنة 628هـ أي قبل وفاة المؤلف بسنتين.

نشر هذا الكتاب المستشرق الالماني تورنبرج في 14مجلد، وتوجد طبعة مصرية طبعت في بولاق في 12مجلداً، كما توجد طبعة دار صادر النبنانية.

ولقد اعتمد ابن الاثير على الطبري في بعض أجزاء كتابه، بل كان ينقل منه أحياناً بالحرف الواحد. ولكنه امتاز عنه ببعض الأمور وهي:

أولاً: حذف الاسناد وأسماء الرواة والتفاصيل المملة.

ثانياً: رأى ابن الأثير أن الطبري وغيره من المؤرخين يذكرون الحادثة الواحدة في سنين متعددة على طريقة السنويات(الحوليات)، وهذا يفقد الحادثة أهميتها. ولهذا عمل على جمع أخبار الحادثة الواحدة في موضع واحد.

ثالثاً: عدل في الروايات والأشعار، وشرح بعض الأخبار الغامضة التي اوردها الطبري.

رابعاً: اهتم بأخبار المغرب والأندلس التي أوردها الطبري بصورة مختصرة.

خامساً: أرخ للاحداث التاريخية التي تلت وفاة الطبري أي من سنة310هـ إلى سنة 628هـ، وهكذا صار كتابه أكمل وأسهل في الاستعمال من كتاب الطبري. وتوفي ابن الاثير(630هـ/1233م).

مصادر التاريخ المحلي:

ان أغلب مؤرخي التاريخ العام للدولة الاسلامية مثل،الطبري واليعقوبي يركزون اهتمامهم على حوادث العراق باعتباره الإقليم المركزي وعلى الاقاليم

المجاورة له. وهنا تأتي أهمية التواريخ المحلية مثل تـاريخ الموصـل وتـاريخ طبرستان وتاريخ سجستان، حيث تفصل في الحوادث والحركات التي حدثت فـي الأقاليم. إلا ان الباحث يلاقي صعوبات في الاستفادة من التواريخ المحلية:

(1) عدم وجود تواريخ محلية لكل الاقاليم أو المدن الاسلامية، فلم تكـن كـل الأقاليم محظوظة مثل الموصل أو طبرستان، بحيث تيسر لتاريخها ان يكتب على يد أحد أبنائها.

(2) ان بعض التواريخ المحلية لها صفة التراجم أكثر من صفة التاريخ، واشير مثلاً على ذلك إلى كتاب تاريخ بغداد للخطيب(ت 463هـ.

أن اشهر التواريخ المحلية التي لها علاقة بموضوعنا:

تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي(ت 334هـ).

كان الأزدي مؤرخاً ومحدثاً وهو في كتابه يؤرخ للقرون الاسلامية الأولى. ان النسخة الموجودة لدينا هي الجزء الثاني وتبدأ من حوادث سـنة 101-224هـ ويبدو ان الجزء الأول مفقود. ان الكتاب يبحث عن حـوادث تتعلـق بحـوادث الموصل السياسية وفيه معلومات اقتصادية واجتماعية وإدارية لم يسبق مثلها.

وعلى الرغم من ان الكتاب يعالج موضوعاً محلياً، الا انـه تنـاول حـوادث تاريخية كثيرة حصلت خارج الموصل، ولاسيما تلك الحوادث التي لهـا علاقـة بالموصل أو أثرت عليها بطريقة أو بأخرى. لهذا فالكتاب لـه صـفة التـواريخ الشاملة، فضلاً عن كونه تاريخاً محلياً. لم يكن الأزدي متحيزاً أو ذا ميول سياسية واضحة، ولكنه في كتابه يظهر عطفاً على العلويين، الا ان هذا العطف لم يجعله يتحزب للقضية العلوية في صراعها ضد الامويين أو العباسيين.

القسم الموجود بين أيدينا من تاريخ الازدي يختص بـأواخر العهـد الأمـوي والعصر العباسي الأول، ويعطي بذلك صورة واضحة لعصر الانتقال من الأمويين إلى العباسيين. كما ان الأزدي يظهر بوضوح مدى اعتماد الدعوة العباسية علـى العرب كقوة فعالة. ومن المزايا الأخرى لكتاب الأزدي احتواءه علـى معلومـات

فريدة، قلما توجد في كتاب آخر، أو معلومات توضح الالتباس الحاصل فيما يخص قضية تاريخية. ومن جملة ملاحظات الازدي الذكية:

1- ان مايرويه عن المدائني، ان عبدالله بن الحسن كان قد أشار على جماعة الخراسانيين الذين جاءوا إلى المدينة بأن يتخذوا محمد بن علي العباسي إماماً وان يلتزموه. وهذا يظهر ان نظرة الناس واحدة لبني هاشم في أحقيتهم في الخلافة.

2- يذكر الأزدي وصية ابراهيم الامام لأبي مسلم الخراساني إلى خراسان وفيها لايذكر الزعم القائل بأن ابراهيم أوصى أبا مسلم بقتل كل من يتكلم العربية وانما يقول: ((... فاقتل من شككت في أمره ومن كان في نفسك منه شبهة أو وقع في نفسك منه شيء وايما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فأقتله... وبهذا يحسم الأزدي النزاع من الذين يؤكدون على ان الثورة كانت قائمة على العرب أو الذين يقولون ان الثورة(الدعوة) قائمة على الفرس.

3- يظهر الأزدي الدعاية العباسية في اثناء الدعوة وكذلك الدعاية المقابلة الأموية ضد(الثورة) الدعوة العباسية.

4- يورد الأزدي في الحركات الخارجية تفصيلاً، ويذكر حتى الخوارج الذين ثاروا في مناطق أخرى عدا الموصل والجزيرة.

5- يورد الأزدي النص الكامل للأمان الذي أعطاه الخليفة المنصور لعمه عبدالله بن علي الثائر في بلاد الشام. وهذا النص كتبه ابن المقفع وقد ذكر الجهشياري قسماً منه في كتابه (الوزراء والكتاب).

6- يذكر الأزدي حركة(تمرد) للعبيد في البصرة زمن الخليفة المنصور عام 141هـ، ولاذكر لهذه الحركة في الطبري وكتب التاريخ الأخرى، ويذكرها البلاذري في أنساب الأشراف، كما يذكر تمرد عم المنصور اسماعيل بن علي في الموصل سنة 147هـ.

7- يحفل كتاب الأزدي بالكثير من الأمثلة التي تدل على سياسة المراوغة والخديعة والعصبية القبلية التي اتبعها الخليفة المنصور، لضرب القبائل اليمانية

والمضرية بعضها ببعض من أجل كسر شوكة هذه القبائل، واستحالة اتحادها ضد السلطة المركزية.

المصادر الأدبية:

أهم المصادر الأدبية التي لها علاقة بالعهد العباسي الأول هي، كتب ابن المقفع(ت 139هـ) والجاحظ(ت 255هـ) وابن قتيبة(ت 276هـ) وأبي الفرج الأصبهاني(ت 356هـ)، هذا فضلاً عن دواوين أشهر الشعراء العباسيين المعاصرين أمثال: أبي دلامة، بشار بن برد، فابن المقفع في(رسالة في الصحابة) يشير على الخليفة المنصور بالموقف الذي يجدر به أن يتخذه حيال رجال البلاط والصحابة والجيش. ويظهر من الرسالة الدور الكبير الذي كان يلعبه أصحاب الخليفة وأكثرهم عرب.

أما الجاحظ فيكتب في كل الموضوعات السياسية والإجتماعية والأخلاقية والحضارية، الا أن موضوعه المفضل: الامامة، وفيها يظهر ميلاً إلى العباسيين ويهاجم العلويين وانصار الامويين(النابتة). أما كتب الشعر ودواوين الشعراء، فتسلط ضوءاً كان على كثير من حوادث السياسية ومؤامرات البلاط ومنازعات الأمراء فيما يخص ولاية العهد، والمنافسة بين الكتل السياسية المختلفة.

إن الشعر يعد من المصادر المساعدة جداً في تعقب الجذور التاريخية للطموحين العلوي والعباسي من أجل الوصول إلى السلطة إذ يظهر بوضوح مراحل النزاع وحجج وأسانيد كل واحد منهما ضد الآخر.

كتب الأنساب والتراجم:

تفيدنا كتب الأنساب والتراجم من حيث:

أ- قدم الروايات التي تتضمنها، فهي تسهل لنا بتكوين صورة أوضح للحادثة بمقارنة هذه الروايات مع روايات كتب التاريخ العام.

ب- تعطينا معلومات قيمة عن الشخصيات السياسية وآرائهم الدينية والسياسية.

ج- تظهر بوضوح أهمية كتلة الصحابة والكتلة العربية في البلاط والإدارة.

د- تبدد الغموض الناجم عن ارتباك الروايات فيما يخص مايسمى بالمجازر التي ارتكبها العباسيون بحق الامويين، فتظهر بأن الصورة التي يعطيها مؤرخو التاريخ العام مبالغ فيها.

ومن أشهر كتب التراجم:

1- أنساب الأشراف للبلاذري(ت 279هـ).

2- المحبر لمحمد بن حبيب(ت 245هـ).

ان المعلومات الموجودة في كتب ابن حبيب فيما يتعلق بالدعوة العباسية مهمة جداً لقدم المؤلف.

3- الطبقات لإبن سعد(ت 230هـ).

لم يهتم ابن سعد بالشخصيات السياسية قدر اهتمامه بالشخصيات الدينية، ومع ذلك فاننا نجد نتفاً وأخباراً عن العهد العباسي يزيد في أهميتها قدم المؤلف وهي:

أ- يعطينا فكرة عن السلم القصير بين العلويين والعباسيين الذي أعقب نجاح(الثورة) الدعوة العباسية.

ب- يسمي ابن سعد دولة العباسيين دولة بني هاشم ويدعو أنصارها بالشيعة.

ج- يؤكد وصية أبي هاشم إلى محمد بن علي العباسي.

د- يهتم بصحابة الخليفة والقضاة.

هـ- إن أهم مافي الطبقات فيما يتعلق بالدعوة هي الرويات التي تتعلق باستقرار العرب في خراسان وتعد معلوماته من أقدم ماوصلنا عن العرب من أهل خراسان.

مصادر الفرق والعقائد: ان كتب الفرق متأخرة بالنسبة لعهد الدعوة العباسية، ومافيها من معلومات تاريخية قليل ومبعثر. كما أنه يجدر الحذر من ميولهم السنية أو الشيعية أو الاعتزالية، فالسنة ينسون أو يتناسون الواجهة المتطرفة للدعوة العباسية قبل أن يتبنى الخلفاء العباسيون مبدأ أهل السنة والجماعة ويتهمون أبا مسلم الخراساني وخداش وآخرين غيرهما بآراء متطرفة بعيدة عن الدين. كما ان

كون هذه المصادر متأخرة من حيث الزمن قد أوجد فيها بعض الغموض والاخطاء فيما يتعلق بأسماء الأشخاص والأمكنة، أو احتوائها على روايات ضعيفة، مثل الادعاء بوجود ميول علوية لدى أبي مسلم الخراساني، وانه اتصل بالامام جعفر الصادق عارضاً عليه الخلافة.

ومصادر الفرق والعقائد عديدة منها كتاب الفصل بين الملل والنحل لإبن حزم(ت459هـ)، والمقالات والفرق لاسعد الأشعري(ت301هـ) والفرق الشيعية للنوبختي(ت310هـ)، ومقالات الاسلاميين للاشعري(ت 321هت) وكتاب التنبيه للمطلبي(ت377هـ)، والفرق بين الفرق للبغدادي(ت 429هت)، والتبصير في الدين للاسفراييني(ت471هـ)، والملل والنحل للشهرستاني(ت 548هـ)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخرالدين الرازي(ت 606هـ).

ومن الكتب المفيدة كتاب الزينة للرازي، وهو يتفق مع الأشعري والنوبختي، الا أنه يخالفهم حين يتكلم عن الاسماعيلية، لأنه اسماعيلي المذهب، ويتفق معه في موضوع الاسماعيلية ابو حنيفة النعمان بن حيون المغربي(ت 364هـ) في كتابه أساس التأويل. ومن الكتب الأخرى التي تجدر الاشارة إليها، كتاب العثمانية للجاحظ المعتزلي ذي الميول العباسية وكتاب ابن أبي الحديد المعتزلي(ت 655هـ)، وكتب الشيخ المفيد(ت 413هـ) وتلميذيه المرتضى(ت 436هـ) والطوسي(ت 460هـ). والذي يؤخذ على كتب الفرق بصورة عامة هو عدم ذكر المصادر التي استقت منها معلوماتها الا في النادر، لذلك من الصعوبة معرفة من نقل وعن من وما هو الجديد. وان كتب الفرق لاتوضح كيفية انتظام هذه الفرق وما مكانة كل فرقة في الحياة الفكرية والسياسية العامة للمجتمع الاسلامي، وماهو الفرق بين مايرويه الشيعة ومايرويه السنة عن هذه الفرق، ولماذا اختلفوا في ذلك، الا نادراً وبإيجاز كبير.

المصادر التاريخية المتأخرة: يعتمد المؤرخون بصورة عامة على روايات من سبقوهم من الاوائل فيما يخص الدعوة العباسية، الا أن الباحث قد يعثر بين طيات

هذه الكتب على روايات فريدة غير واردة في كتب الاوائل، لذلك فالأجدر بالباحث الرجوع إلى هذه المصادر لالقاء نظرة عليها.ومن المصادر المتأخرة ذات العلاقة كتب ابن كثير وابن الطقطقي وابن خلدون والمقريزي والذهبي والمقدسي والسيوطي والقلقشندي والنويري وابن تغري بردي وابن العماد الحنبلي والصفدي وشاكرالكتبي وابن كثير.

المصادر الجغرافية: المادة التاريخية فيها ليست كثيرة، وليس من حقنا ان نلوم الجغرافيين على ذلك، على اننا نجد اشارات مفيدة إلى المكان ومناطق استقرارهم في خراسان مثلاً، وينقل الجغرافيون كذلك أمثالاً شائعة في اقاليم مختلفة لها دلالات تاريخية مهمة. فالهمداني في مختصر كتاب البلدان، يكذب مثلاً القول: ((بأن أهل خراسان بخلاء وأن ديكتهم تلقط الحب من الدجاج))، ويعطي مثلاً على سخاء القحاطبة والبرامكة، وهذا المثل يدل دلالة واضحة على أن اصطلاح أهل خراسان لايعني الفرس وانما يعني العرب وغير العرب معاً. وتحفل المصادر الجغرافية بروايات تدل على عنف الصراع بين اقليمي العراق والشام في هذه المدة، كما وان هناك تنبوءات تبشر بمجيء قوم من طرف المشرق ومعهم الرايات السود... وبدأت هذه تنتشر منذ حركة الحارث المرجئي واستغلتها الدعوة العباسية ببراعة(1).

أما الكتب الحديثة فهي كثيرة ومتعددة: ومن الكتب الحديثة، تاريخ الدولة العباسية لجمال الدين الشيال؛ والعالم الاسلامي في العصر العباسي لحسن أحمد محمود وابراهيم الشريف؛ والعصر العباسي الأول لعبد العزيز الدوري؛ وهارون الرشيد لعبدالجبار الجومرد؛ وطبيعة الدعوة العباسية لفاروق عمر فوزي، وفي تاريخ العباسي والفاطمي لأحمد مختار العبادي؛ والجاحظ والحضارة العباسية لوديعة طه النجم؛ والخلافة والدولة في العصر العباسي لمحمد حلمي أحمد، والجندية في الدولة العباسية لنعمان ثابت...

الفصل الأول
الدعوة العباسية

قامت الدولة العباسية على أثر دعاية واسعة دامت ثلث قرن تقريباً، فضمت إلى صفوفها كل العناصر المعادية للأمويين، وكلمة دعوة المقصود بها حديثاً الدعاية وتقابلها في المصطلح الأوربي الحديث كلمة Propaganda، فالشرق الاسلامي قد عرف الدعاية من قديم وان كان الغرب النصراني لم يعرضها الاّ في العصور الحديثة المتأخرة.

والغرض من الدعاية هو استعمال طرق مختلفة شريفة أو ملتوية للاعلان عن مبدأ أو فكرة بقصد تهيئة الأفكار لقبول هذا المبدأ أو هذه الفكرة. وأول دعاية قامت في الدولة الاسلامية هي دعوة العباسيين التي نظمت تنظيماً دقيقاً باسم الرضى من آل محمد، وتمكنت في النهاية من أن تؤدي الغرض المقصود منها، وهو اسقاط الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية(2). ثم قامت بعد ذلك دعوة سرية أخرى باسم المهدي المنتظر تمخضت عنها قيام الدولة الفاطمية في المغرب.

هذا بخصوص كلمة دعوة، أما تسميتها بالدعوة العباسية، فنسبة إلى العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، ومؤسس الأسرة العباسية التي لعبت دوراً كبيراً في التاريخ الاسلامي. العباس لم يكن ذا سابقة ضرورة، ولهذا لم يكن من المعقول أن يطمع العباس في الخلافة بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم نظراً لتأخر اسلامه.

ولما كان التاريخ الاسلامي قد دون معظمه في عصر الدولة العباسية، فقد حرص المؤرخون بطبيعة الحال على اظهار مؤسس هذه الأسرة بمظهر المؤيد للإسلام منذ ظهوره، وأنه لم يقف من الرسول(ص) موقفاً معادياً كما فعل بقية اعمامه أمثال أبي لهب وأبي جهل، بل على العكس عمل على حمايته وأخذ في هذا السبيل عهداً على أهل المدينة(3) بحمايته عند بيعة العقبة، كما ظل يكاتب

النبي(ص) سراً بعد هجرته إلى المدينة، وأنه أسلم قبل وقعة بدر. كذلك وضعت احاديث نبوية لم تثبت صحتها تشيد بفضل العباس وتتنبأ بضرورة الخلافة إلى ابنائه من بعده حتى تقوم الساعة(4).

والواقع ان العباس لم يكن له نفوذ كبير في الاسلام بدليل انه بعد وفاة الرسول الاعظم لانسمع له ذكراً مهماً. تشير بعض الروايات فقط إلى اهتمامه بتولية ابن أخيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قال له: ((امدد يدك لنبايعك))(5)، وهذا يدل على أنه لم يكن له أي طموح في الخلافة.

وتوفي العباس في سنة 32هـ في خلافة عثمان بن عفان(6)، وكان سنه ثمانياً وثمانين سنة. وقد أعقب أولاداً كثيرين نذكر منهم ابنه الثاني عبدالله بن العباس الذي من نسله جاء البيت العباس. أما بقية أبناء العباس فلم يكن لهم عقب باق(7).

عبدالله بن العباسي شخصيته علمية فريدة، معروفة لدى الأدباء والعلماء واللغويين، إذ كان يؤخذ عنه رواية الحديث وتفسير القرآن. ولم يكن عبدالله يطمع في الخلافة لايمانه القوي الراسخ بحق علي بن أبي طالب فيها(8). ولهذا انضم إليه وأيده، وولاه علي بن أبي طالب البصرة وأعمالها، وبعد مقتل علي، ترك البصرة ورحل إلى الحجاز حيث أقام بالطائف مسالماً للامويين، إلى أن توفي في خلافة عبدالملك بن مروان سنة 68هـ، ولقد انجب عبدالله بن العباس ولداً سماه علياً لأنه ولد في نفس الليلة التي قتل فيها الإمام علي عام 40هـ(9).

علي بن عبدالله بن العباس شخصيته غامضة غير واضحة، كموضوع شخصية أبيه. نعلم أن الامويين استدعوه إلى الشام أيام الخيلفة عبدالملك بن مروان وأقطعه قرية في البلقاء بشرق الأردن اسمها الحميمة. ولعل اهتمام الامويين بهذا المكان بالذات راجع إلى غرض سياسي أساسه الشك والتوجس في نوايا هؤلاء القوم فجعلوهم تحت اشرافهم ورقابتهم بالشام. وتوفي علي في الحميمة سنة 118هـ وانجب ولداً اسمه محمد(10).

يعد محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الشخصية القوية. والعباسي الحقيقي الذي أظهر طموحاً نحو الخلافة وسعى سعياً سرياً منظماً لنيلها.

ولكن ماهو الحق الشرعي الذي استند عليه محمد والعباسيون من بعده كأساس للمطالبة بالخلافة؟(11).

العباسيون يسوقون في ذلك قصة لها طابع قصصي يفسرون بها هذا الحق الشرعي لخلافتهم. تقول هذه الرواية إن الامام ابا هاشم بن محمدبن الحنفية بن علي بن أبي طالب(12)، امام الشيعة الكيسانية(13) الملقب بالمهدي، زار الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك، وأن سليمان لمس فيه ذكاء وفطنة ونشاطاً وعلماً وفصاحة فتخوف منه، لعلمه أن الشيعة هم الحزب المنافس لبني أمية، ودس من تعقبه وسقاه لبناً مسموماً. وشعر أبو هاشم بالسم يسري في بدنه فأدرك أنه ميت لامحالة، وكان بالقرب من بلدة الحميمة فعرج عليها، وهناك لقي علي بن عبدالله بن العباس، فأخبره بأنه هالك لامحالة ولاعقب له، وانه متنازل له عن حقه في الخلافة وسلم له زمام الدعوة الكيسانية(14). وعلى أساس هذه الوصية أو هذا التنازل، ورث محمد بن علي العباسي جميع الخطط والدعاية السرية التي كانت للشيعة الكيسانية واستغلها لصالحه كصاحب حق في الخلافة. هذه هي الوصية التي يستند عليها العباسيون كأساس شرعي لخلافتهم. غير أن عدداً كبيراً من المؤرخين لايقتنعون بصحة هذه الرواية(15) للأسباب الآتية:

أولاً: إذا كان هذا التنازل قد حدث فعلاً لكان للعباسيين الحق في الافصاح عنه، ولكننا نجد دعوتهم تلقى باسم آل البيت أو آل محمد، ولاشك أن الغرض من ذلك هو التمويه أو التعمية عن الشيعة بوجه خاص، وهذا دليل يهمل فكرة التنازل(16).

ثانياً: من الرسائل(17) التي تبودلت في صدر الدولة العباسية بين الامام العلوي محمد النفس الزكية(حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب) وبين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، يتبين لنا أن العلويين والعباسيين اجتمعوا في أواخر أيام الدولة الأموية، واتفقوا على أنه في حالة سقوط الخلافة الأموية(18) يكون خليفة المستقبل

الامام محمد النفس الزكية. وكان أبو جعفر المنصور حاضراً في هذا الاجتمـــاع، فلو أن فكرة التنازل وقعت لإعترض أبو جعفر المنصور على ذلك أو أشار إليها في رسائله(19).

ثالثاً: العباسيون بعد أن استقرلهم الأمر، حاولوا أن يحيطوا اختلافهم بشيء من الشرعية، فطبقوا عليها قانون الوراثة في الشريعة الاســلامية علـــى اعتبـــار أن الخلافة تركة بعد النبي(ص). فقالوا إنهم من نسل العباس عم النبي، بينما العلويون من نسل فاطمة الزهراء بنت النبي(20)، والعم في الميراث والعصبية مقدم علـــى ابن البنت. ففي الرسائل التي تبودلت بين المنصور العباسي وبين محمـــد الـــنفس الزكية، نجد كلاماً في هذا المعنى حينما يقول له المنصور: وأما قولك انكم بنـــو رسول الله(ص)، فان الله تعالى يقول في كتابه: [ماكان محمد أبا أحد من رجالكم]، ولكنكم بنو بنته، وانها لقرابة قريبة ولكنها لايجوز لها الميراث ولاترث الولايـــة، ولايجوز لها الإمامة، فكيف تورث بها؟))(21). وأشاع العباسيون هذه النظرية في البلاد ووجدوا من الشعراء والادباء من يؤيد هذه الفكرة مثل قولهم(22).

أنى يكون وليس ذاك بكائن... لبني البنات وراثة الاعمـــــــام!

فاذا كان التنازل قد وقع حقاً، فلم اتجه العباسيون إلى هذا الحل؟

الواقع ان العباسيين وجدوا حزبين متعارضين وهما: الامويـــون والعلويـــون. وكان الحزب العلوي أقرب الحزبين إليهم بحكم قرابتهم للرسول. ولهـــذا وجهـــوا نشاطهم السياسي نحو هذا الحزب الذي يتفق معهم. ثم جاءت وفاة أبي هاشم آخر إمام للشيعة الكيسانية إذ لم يكن له عقب بعده، فاستغل العباسيون هـــذه الفرصـــة واندمجوا في الدعوة الشيعية الكيسانية، ووضعوا تلك الرواية التي تقول بأن هاشم بن محمد بن الحنيفة سلم زمام الدعوة الكيسانية للعباسيين قبل وفاته(23).

وقد حرص العباسيون على إخفاء اطماعهم نحو الخلافة، فلم تكن البيعة تؤخـــذ باسم العباسيين، بل تحت هذا الستار البراق المبهم(الرضى مـــن آل محمـــد)(24)، يعني لشخص معين من آل البيت يتفق عليه فيما بعـــد. كـــذلك ســـموا أنفـــسهم

بالهاشميين، وهي كلمة عامة قد تنسب للشيعة الكيسانية التي اندمجت في فرق شيعية أخرى، واتخذت اسم الهاشمية، وقد تنسب للامام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية أو لهاشم بن عبدمناف جد الجميع علويين وعباسيين فالدعوة العباسية بدأت شيعية في الأصل، ثم تحولت بعد نجاحها إلى خلافة نسبية كما يبدو من سير الحوادث(25). وكيفما كان الأمر فالمهم هنا هو أن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس هو العباسي الحقيقي الذي سعى لنيل الخلافة. ومن مقره بالحميمة أخذ ينظم الدعوة أو الدعاية تنظيماً سرياً دقيقاً، ويرسل الدعاة والنقباء والعمال إلى الجهات الملائمة لهذه الدعوة وأهمها خراسان وهي البلاد التي تشمل كل الهضبة الإيرانية حتى بلاد ماوراء النهر. لأن كل العناصر المعارضة للأمويين والساخطة على سياستهم قد تجمعت في هذه الاقاليم بالذات(26).

ومما يدل على إهتمام الامام محمد بن علي بخراسان(27) كمسرح لهذه الدعوة الجديدة، تلك الكلمة التي وجهها لدعاته حينما وجههم إلى الامصار المختلفة، إذ قال لهم فيها: ((أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف(أي بالحياد) وتقول كن عبدالله المقتول ولاتكن عبدالله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأما أهل الشام فلايعرفون الا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوة راسخة وجهلاً متراكماً، وأمامكة والمدينة فقد غلب عليهما أبوبكر وعمر. ولكن عليكم بخراسان، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، هناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تقسمها الاهواء ولم يوزعها الدغل، وهم جندٌ لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، فاني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق))(28).

هذه المقدمة السابقة تبين بوضوح وضع كل بلد اسلامي واتجاهه، وتفضيل العباسيين خراسان دون سائر البلدان الأخرى، كما سبق أن ذكرناه.

وانبعث الدعاة إلى خراسان متنكرين في زي أصحاب المصالح المشروعة، كالتجار والباعة(29) وأصحاب الحوانيت أو كمعلمين ومتصوفة...الخ. وكانوا يدعون الناس في ستروكتمان، ولكل داعية أثنا عشر نقيباً(30)، لكل نقيب سبعون عاملاً(31)، والعمال يشرفون على الخلايا السرية التي تندس بين الجماهير في جميع الامصار.

وكان هؤلاء الرجال في العادة على قسط كبير من المهارة والخبرة بالطبيعة البشرية وما فيها من ضعف وقوة كي يتمكنوا من احراز النجاح المطلوب. وكانت دعوتهم تنصب على الثورة وقلب الدولة الأموية متخذين في ذلك الشعارات الجذابة التي تستهوي نفوس الموالي كالمناداة بالمساواة التي ينص عليها الاسلام(32)، والتنبيه على أن هذه البلاد هي بلادهم قبل ان تكون للعرب مثل قول القائد قحطبة بن شبيب يا اهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم(33).

وقد حرص العباسيون على اخفاء اطماعهم في الخلافة عن الناس، فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل لشخص من البيت النبوي يعين فيما بعد، الرضى من آل محمد(34) ((على اعتبار أن أهل البيت هم أحق الناس بالحكم. وكان الفرس يميلون لهم لأنن الحسين تزوج منهم بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس))(35).

وكان الدعاة يبلغون أخبارهم إلى القائم بالكوفة، وهذا بدوره يبلغها إلى الإمام محمد بالحميمة. ويرجع اهتمام العباسيين بمدينة الكوفة كمركز لدعوتهم ومقر لكبير دعاتهم، إلى مركزها المهم في المواصلات. وكان الدعاة في بعض الاحيان يكتشف أمرهم فيعذبون أو يقتلون ولاسيما في ولاية أسد بن عبدالله القسري الذي لقي دعاة العباسيين على يديه محنة كبرى ولم تتقدم دعوتهم الا بعد وفاته سنة 120هـ(36). وتنبغي الاشارة هنا إلى شخصية عظيمة كان لها دور كبير في خدمة الدعوة العباسية، وهي شخصية بكير بن ماهان داعي العباسيين بالكوفة. فلقد استطاع هذا الرجل بفضل ثرائه وغناه أن ينفق على الدعوة ويدعم أركانها. فيروي مؤلف مجهول أن بكير بن ماهان اعطى الامام محمد العباسي أربعة

قضبان من فضة وآخر من ذهب كما سلمه كل ماله فأصبحت لـه معـه صـلة وثيقة(37) وفي سنة 125هـ توفي الامام بن علي بالحميمة بالـشراة مـن أرض الشام وخلفه ابنه ابراهيم، كما توفي بكير بن ماهان بالكوفة وخلفه صهره أبوسلمة الخلال، الذي لقب فيما بعد بوزير آل محمد(38).

وفي تلك الأوقات اتصل بالامام ابراهيم شاب من نوابغ الشبان لم يتجاوز سنه الواحد والعشرين عاماً اسمه عبدالرحمن وكنيته أبومسلم الخراساني، انـه كـان مملوكاً لعيسى، ومَعْقِل، إبنَيّ إدريس، ابن عيسى العِجْليين، وكان مسكنهما بمـاه البصرة، مما يلي أصفهان(39).

عن أولية أبي مسلم الخراساني، لانعرف شيئاً كثيراً، يقال انه كان مولى فارسياً وأن اسمه الحقيقي بهزدان، ويصفه ابن خلكان(40) بأنه كان قصير القامة، أسـمر اللون، جميل الوجه، أحور العين، عريض الجبهة، وافر اللحية، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسية، لم ير ضاحكاً أو مازحاً في وقته، ولايكاد يقطب فـي شيء من احواله، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه الـسرور، وتنـزل بـه الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئباً(41).

تلقى أبو مسلم أصول الدعوة بالكوفة، فاسترعى انتباه رجال الحزب العباسـي، فأخذوه وقدموه لامامهم ابراهيم الذي لمس فيه الذكاء خارقاً وإرادة حديدية فـأيقن أنه الشخصية التي يمكن أن يعول عليها في هذا الأمر، لهذا ولاه رئيساً للدعاة في خراسان وأوصى شيوخ الدعوة بطاعته(42).

هناك رواية تقول بأن أبا مسلم عربي الأصل وانه من ولد سليط بن عبدالله بن العباس(43)، وتستشهد في ذلك بعبارة للامام ابراهيم وردت في كلامه إلـى أبـي مسلم يقول فيها ((ياعبدالرحمن انك رجل منا أهل البيت))(44).

ولاشك أن هذه الرواية موضوعة لأن جميع القرائن تدل على أن ابامسلم مولى فارسي عمل على اسقاط دولة العرب واحياء دولة العجم. ويبدو أن أبامسلم فـي نفسه هو الذي اصطنع لنفسه هذا الاصل العربي، وهذا النسب النبـوي لغـرض

خطير في نفسه. فالمعروف ان ابامسلم بعد أن تم له اسقاط الدولة الاموية صار يملك من القوة والنفوذ مايمكنه من تحقيق اطماعه في الخلافة ذاتها، ولكن كانت تنقصه الشرعية في الحكم لتحقيق مآربه، إذ لايتأتى ذلك الا بأن يكون من أهل البيت، ولهذا نجد بعد ذلك الخليفة العباسي المنصور عندما قتل أبامسلم الخراساني يوجه إليه هذه التهمة الخطيرة بقوله: ((وتزعم انك من ولد سليط بن عبدالله بن العباس؟))(45) وفي هذه اشارة إلى أنه اصطنع لنفسه نسباً عربياً(46).

ونسبهُ أبو دُلامة(47) إلى الأكراد فقال:

أبا مُجرمٍ ماغيّرَ اللهُ نِعمـــــةً	على عبدِهِ حتى يغيّرها العـبدُ
أفي دولةِ المهديّ حاولتَ غدرةً	ألا إنَّ أهل الغدرِ آباؤك الكردُ
أبا مجرمٍ خوفتني القتل فانتحى	عليك بما خوّفتني الأسدُ الوَرْدُ

نعود إلى ماكنا بصدده وهو أن الامام ابراهيم وجد في أبي مسلم الخراساني الشخص الذي يعتمد عليه في الأمر، فأرسله إلى خراسان(48).

وينسب الطبري إلى الامام ابراهيم وصيةً أوصى بها أبا مسلم قبل رحيله، هذه الوصية وان كانت لم ترد في المصادر التاريخية الأخرى، الا أنها تعطينا فكرة عن الوضع السياسي في خراسان كما تلخص سياسة أبي مسلم في هذه المنطقة يقول له: ((يا عبدالرحمن، انظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فان الله لايتم هذا الأمر إلاّ بهم، واتهم ربيعة في أمرهم، أي كن على حذر منهم. وأما مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فيه))(49).

قام أبو مسلم بامر الدعوة في خراسان سنة 129هـ، فضم إليه الموالي الفرس وهم الاغلبية المطلقة، ثم أخذ يستميل القبائل اليمنية مستغلاً الخصومات القبلية التي بينها وبين المضرية(50). وكان والي خراسان نصر بن سيار مضرياً، وقد حاول أن يجمع كلمة العرب ضد الفرس، كما حاول تسوية الخلاف مع اليمنية فكتب إليهم يحضهم على ترك العصبية واستعان في ذلك بملكته الشعرية إذ أخذ ينظم شعراً في هذا المعنى ويذيعه بين القبائل مثل قوله(51):

من كان يسألني عن أصل دينهم   فإن دينهم أن تهلك العرب.

غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل أمام دسائس أبي مسلم فرفض اليمنية الصلح واشترط زعيمهم الكرماني عزل نصر بن سيار من ولاية خراسان.

ولما قويت شوكة أبي مسلم، جاهر بالدعوة علنا وأشعل النار على قمم الجبال لجمع الانصار، كما اتخذ هو وأصحابه اللون الأسود شعاراً في ملابسهم وألويتهم ولذا عرفوا بالمسودة. والمعروف ان العباسيين اتخذوا اللون الأسود شعاراً لهم حزناً على الشهداء عن آل بيت النبي(ص)(52) الذين قتلهم الامويون. غير أن هناك فريقاً من المؤرخين يرون أنه ليس هناك ثمة علاقة بين سواد الألوية ومسألة الحزن والحداد. ويدللون على ذلك بأن بعض الذين ثاروا على الدولة الاموية قبل ذلك مثل أبي حمزة الخارجي(53) وأبي الحارث بن سريج(54)، اتخذوا اللواء الأسود شعاراً لهم، وفي ذلك يقول الشاعر الكميت موجهاً كلامه إلى الحارث بن سريج(55):

والا فارفعوا الرايات سودا   على أهل الضلالة والتعدي

فكأن هناك علاقة بين سواد الألوية وبين محاربة الضلال والخروج عن مبادئ الاسلام الحنيف. يضاف إلى ذلك ماترويه المصادر من أنه كانت للرسول راية تدعى العقاب من صوف أسود مربعة رسم فيها هلال أبيض، وانه كان يحملها في حروبه مع الكفار(56). فلعل العباسيين أرادوا أن يتمثلوا عهد الرسول في كفاحهم مع بني أمية. هذا وتجدر الاشارة هنا إلى أن شعار الأمويين كان البياض سواء في دمشق شرقاً أو في قرطبة غرباً.

وكيفما كان الأمر فان أبا مسلم الخراساني(57) تمكن في وقت يسير أن يسيطر على زمام الموقف في خراسان، وشعر الوالي نصر بن سيار بخطورة الحالة، فكتب إلى الخليفة الاموي مروان بن محمد يطلب منه مدداً لانقاذ الموقف وانشده شعراً كثيراً نذكر منه الأبيات المشهورة الآتية(58):

أرى بينَ الرمادِ وميضَ جمرٍ   ويوشكُ أن يكونَ له ضرامُ

فإن النارَ بالعودينَ تُـــــذكى وإن الحربَ يبدؤها الكـلام
اقول من التعجب ليت شعري أ أيقاظٌ أميةُ ام نـــــيامُ؟

غير أن الخليفة الأموي كان مشغولاً هو الآخر باخماد ثورات الخوارج، فـرد عليه قائلاً: احفظ ناحيتك بجندك(59). ولكنه في الوقت نفسه أخذ يبحث عن اسـم الهاشمي الذي قامت الدعوة من أجله، وتوصل أخيراً إلى معرفتـه عـن طريـق خطاب مرسل من الامام ابراهيم إلى أبي مسلم الخراساني وقع فـي يـده، فـأمر الخليفة بالقبض على ابراهيم بالحميمة، وسجنه في مدينة حران في شمال العـراق حيث أمر بقتله بعد ذلك، وفيه يقول ابن هرمة(60):

وكُنتُ أحسَبُني جَلْداً فَضعّفني قبرٌ بحرّانَ فيه عِصمَةُ الدّينِ
فيه الإمامُ الذي عَمّتْ مُصيبَتُهُ وَعيلَتْ كلَّ ذي مالٍ ومِسكينَ

لقد أظهرت الخطبتان الاتجاهات الجديدة للعهد الجديد ومنها يتبين:

1- ان الدعوة العباسية قامت من أجل الاسلام الذي فشل الامويون في تطبيـق مبادئه على حد قول أبي العباس(61).

2- ان للعباسيين الحق بالخلافة، لأنهم أقرباء الرسول(α) من جهة عمه العباس عبدالمطلب الذي توفى بعد وفاة الرسول(62).

3- ان الدعوة العباسية تعني العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس.

4- وتعني الثورة كذلك انتصار العراق على الشام بعد الكفاح المريـر الـذي خاضه العراق خلال العصر الأموي وقد أشاد الخليفة بثورات أهل البيـت مثـل الحسين بن علي والمختار الثقفي(63) باسم إبن الحنفية وعبدالرحمن بـن معاويـة الجعفري(64) وزيد بن علي بن الحسين(65).

5- وعد الخليفة بزيادة العطاء إلى (100)درهم وذكرهم بانه السفاح المبيح(66).

6- ولكنه حذرهم من أية حركة قائلاً بأنه الثائر المبيد، ومن هنـا جـاء لقبـه بالسفاح(67).

7- وبين موضع العباسيين من الاسلام وأهله وأنهم بنو هاشم وأهل البيت(68).

8- فند الخليفة العباسي رأي السبأية(يعني بهم هنا شيعة العلويين) في قولهم بأن الخلافة من حق آل علي، وبين أثر العباسيين في احقاق الحق وازهاق الباطل(69).

9- ندد أبوالعباس بسياسة الأمويين وظلمهم الناس، وكيف أن العباسيين هم الذين وضعوا نهايتهم(70).

تفاسير الدعوة العباسية:

ان الباحث في موضوع الدعوة العباسية بين طيات الكتب القديمة كالطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي...لايجد تفسيراً للدعوة ولا نقداً لواجهاتها وانما جمعاً لروايات عن شخصيات لعبت دوراً مهماً في الدعوة.

وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث الذي يميز بين الروايات ويفحصها ويقدم الحقيقة المجردة إذا أمكن تقديرها بالمناهج التاريخية العلمية. فمن واجب المؤرخ ان لايخلق قديسين من شخصيات الدعوة العباسية، وإنما يعطي كل شخصية حقها بعد نقد الروايات وتحليلها بعد تمريرها على الفحص والتمحيص الدقيقين.

لقد تناول هذا الموضوع(الدعوة العباسية) مؤرخون محدثون عرب ومسلمون ومستشرقون وقدموا تفسيراتهم عن هذه الدعوة، وكما يأتي:

1- التفسير التقليدي:

لم تكن الدعوة فيما يخص غالبية الرعيل الأول إلاّ إنقلاباً يتبعه تحول في الأسرة الحاكمة من اموية إلى عباسية. اما دوافع الانقلاب فهي الرغبة القيمة عند الغالبية من المسلمين، لأن يكون أهل البيت هم قادة الدولة الاسلامية(71).

2- التفسير العنصري:

ويفسر هذا الدعوة العباسية على انها دعوة عنصرية ايرانية ضد السيادة العربية، ويرى ان سببها كان سوء أوضاع الموالي الاجتماعية والاقتصادية. وأبرز من عبر عن هذا الرأي من المستشرقين(فان فلوتن وولهاوزن)، وقد أيدهما مؤرخون عرب(72).ولعلهما كانا متأثرين بطبيعة الافكار السائدة في أوربا والمانيا

في أواخر القرن التاسع عشر، ومدى انتشار الأفكار القومية هناك في تلك المـــدة.
وملخص نظرية فان فولتن فيما يخص سقوط الدولة الاموية(73):

1- كره الشعب الايراني المحكوم الحكام العرب الاجانب(74).

2- الحركة الشيعية وماقام به الشيعة من حركات على قلتهـــا، لكنهـــا تركـــة واضحة، فلم يكن هناك نظام إداري سياسي يدعم الحكومة في الاقاليم. ثــم عــدم وجود جيش نظامي، فضلاً عن هذا لم تكن تنظيمات الشرطة كفوءة قادرة علـــى ضبط النظام والقضاء على الاشاعات(75).

3- عدم قدرة العرب على الحكم من جهة وعدم قبولهم الخضوع لأي خليفة أو أي سلطة من جهة أخرى. وهو يأخذ رأي ابن خلدون فـــي الاعـــراب ويطلـــق بصورة عامة على العرب، ولكنه من جهة أخرى يعترف بقابلية بعــض الخلفـــاء الادارية والسياسية ومنهم مروان الثاني(76).

وهكذا ينتهي فلهوزن إلى ان سقوط الامويين لم يكن مظهراً من مظاهر دعوة الفرس، بل تأكيداً للروح العربية المحبة للاستقلال النافرة من أي نوع من أنـــواع النظام.أما الباحث فاروق عمر فقد إدعى ان القبائل العربيـــة لعبـــت دوراً فعـــالاً للسيطرة على مدن غربي بلاد (فارس والعراق) حيث بحث الواجهة السياسية(77) للدعوة العباسية. وقد توصل الباحث فاروق في بحثه إلى ان العرب لم يكونوا كلهم حكاماً وأصحاب امتيازات كما يعتقد، فان فلوتن وغيره كانت منهم جماعة تشاطر سكان البلاد المفتوحة في دفع الضرائب للدهاقين. ان هذه الكتلـــة مـــن العـــرب المستقرين الذين فقدوا امتيازاتهم هي التي أيدت الدعوة ووقفت ضد الكتلة العربية الأخرى التي لازالت تتمتع بامتيازاتها وتقاسم هذه الامتيازات مع الارســـتقراطية الايرانية(الدهاقنة الفرس) الذين سيطروا على الإدارة واحتفظوا بأكثر إمتيـــازاتهم ومع الخليفة في دمشق(78).

ويعطي الباحث محمد الخضري دليلاً آخر على أهمية دور العرب المستقرين سكان القرى من أهل خراسان في الدعوة العباسية، باثباته ان العرب سكنت القرى في إقليم خراسان، فضلاً عن بعض المدن بعد تمصيرها(79).

وقد وافق الباحث الدكتور عبدالعزيز الدوري(80) فان فلوتن وولهاوزن في رأيهما، الا انه عدل رايه في مقالة له بان الدعوة العباسية لم تنجح بسبب ثقل الضرائب على الموالي(81)، فلو استهدف الموالي والفرس المساواة في نفوس الناس لعالجوا آلاماً وجروحاً عميقة وجعلتهم يتعاطفون مع القضية العلوية(82).

3- التوقع الذي كان شائعاً بين الناس عن مجيء المنقذ المنتظر، لينشر العدل ويزيل الظلم ويؤمن العدل والاستقرار معاً(83).

كما أكد فان فلوتن(84) ان السبب الرئيس للدعوة العباسية لم يكن إلاّ نتيجة الاخطاء التي وقع بها الحكام العرب، الذين فشلوا في تطبيق العدالة الاجتماعية والإقتصادية على الشعوب المحكومة.

ووافق فان فلوتن على هذا الرأي المستشرق فلهاوزن، على الرغم من انه انتبه إلى دور القبائل العربية في الدعوة في خراسان(85)، لكنه أخطأ في تقدير الدوافع لهذه القبائل التي دفعتها للانضمام إلى الدعوة العباسية، إذ أرجعها إلى العصبية القبلية(86). ولقد تبنى هذا التفسير مؤرخون عرب ومسلمون امثال جرجي زيدان(87) وأحمد أمين(88) وفيلب حتى(89) وحسن ابراهيم حسن(90) وعبدالعزيز الدوري(91).

3- التفسير الحديث:

كان المستشرقون أمثال (فان فلوتن)(92) و(ولهاوزن)(93) من أوائل المستشرقين الذين نبهوا إلى دور العرب الفعال في الدعوة العباسية، وان كانت ملاحظاتهما قصيرة وحذرة:

وكان المستشرق(دانيال دنيث) أول من أعلن الشك وأعاد النظر في آراء فان فلوتن وفلهاوزن في أطروحته(مروان بن محمد). ويرجع أسباب سقوط الدولة الاموية إلى:

1- لم يكن لمروان بن محمد أي حق شرعي بالخلافة، لأن اسمه لم يذكر في تفويض ولاية العهد، كما وانه ابن أمة كردية، ولم يكن من عادة الامويين تولية أبناء الاماء من الامراء، وقد رفض أهل الشام الاعتراف بخلافته أول الأمر كما ثار ضده امراء من البيت المرواني، وهذا سبب الانقسام في البيت المالك واضعف البلاد(94).

2- فشل الأمويين بتنظيم حكومة مركزية قوية. وان نتائج ذلك فقدان المركزية الاقتصادية والاجتماعية حقاً، وإلاّ فلماذا ثاروا مرات عديدة ضد العباسيين لاسيما وكان هؤلاء الأخيرين حققوا تلك المساواة إلى درجة بعيدة(95).

ويرى الدوري في الدعوة العباسية، محاولة لتطبيق أعمق لمبادئ الاسلام وانهاء التحكم العربي متخذين من أهل البيت سبيلاً لتحقيق هدفها كما يؤكد ان العباسيين لاصلة لهم بعناصر الغلاة من كيسانية وهما شيعة ومعتزلة(96).

وبحث الباحث الدكتور فاروق عمر في أطروحته الدكتوراه(الخلافة العباسية من 132-170هـ) في الواجهة السياسية للدعوة العباسية، وقد توصل إلى اعادة تقييم الروايات التاريجية في المصادر المعروفة كالطبري واليعقوبي والمسعودي... واستفاد من مخطوطات لم تنشر وأخرى نشرت كالفتوح لإبن أعثم، وتاريخ خليفة والازدي وأخبار العباس، وتوصل إلى القول:

1- ان الدعاية التي قام بها العباسيون كانت موجهة بصورة رئيسة للعرب المقاتلة منهم والمستقرين على السواء. لقد أدرك الدعاة خير الادراك بأن العرب(97) وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة في خراسان، ومن أجل الوصول إلى السلطة يجب أولاً كسبهم إلى الدعوة العباسية(98).

2- لم يفضل الدعاة في بداية الدعوة قبيلة عربية على أخرى، على الرغم من انهم حصلوا على عضد من اليمانية أكثر من المضرية، الا انهم كانوا دائماً يرحبون بالمضريين الذين يرغبون الانضمام للدعوة. وقد انضم من دون شك بعض الموالي والفرس من سكان البلاد المحليين، الا ان دورهم لايمكن مقارنته بدرو العرب المصيري(99).

3- ان ظروف خراسان من حيث قبائلها وعلاقتهم ببعضهم وبالسكان المحليين والسلطة المركزية الاموية في دمشق، أثرت في إيجاد الجو المناسب للدعوة، ولكن يجب ان لانؤكد على ناحية معينة ونترك النواحي الأخرى. فالعرب كانت لهم أسباب للتذمر يشاركهم في ذلك الموالي والفرس(100) الا ان عاونا عدم اهمال العرب المقاتلة فقد كانت لهم أسباب للتذمر منها:

1- سياسة التجميد وهي ابقاء المقاتلة على الثغور وخطوط العدو شتاء في الوقت الذي يرغب هؤلاء في الرجوع الى قراهم للاستقرار مع عوائلهم.

2- الوالي الأموي يسلبهم فيئهم وغنيمتهم أو يأخذ أكثر من حقه منهم وهو الخمس.

3- أوجد النزاع المستمر بين شيوخ القبائل العربية بسبب طموحهم للحصول على ولاية خراسان نوعاً من القلق لدى هذه القبائل، فكان في الدعوة العباسية أمل جديد لحياة أكثر استقراراً. كما ان وضع بلاد الشام المرتبك في الدولة مع مؤامرات الامراء الامويين ضد سلطة مروان غير الشرعية، ممافسح المجال للدعايات السرية بالعمل الفعال من أجل اسقاطها.

كما يجب ان لانهمل الواجهة الدينية للدعوة العباسية، ونقصدبها دور المنظمة السرية الهاشمية التي تحولت إلى عباسية واستمرت في دعايتها حتى الانتصار، فقد ظل الهاشمية من أخلص اتباع أبي مسلم الخراساني الذي بدأ بهم حين سجل أول ديوان للعباسيين(101).

وقد أكد الدكتور فاروق على ابراز الدور الفعال للعرب في الدعوة، أما المحور الذي تدور عليه أطروحته، فهو الفكرة القائلة بان الدعوة العباسية مثل كل ثورات العالم الكبرى كالثورة الفرنسية والثورة الروسية، ظهرت في فترة التنظيم والاعداد بواجهات مختلفة ورفعت شعارات متعددة من أجل كسب كل العناصر المستاءة من الحكم القائم، فنشر الدعاة بين كل فئة المبادئ التي ترتضيها تلك الفئة ووعدوها بتحقيقها. وما ان تنجح الثورة حتى تظهر بوجهها الحقيقي، فتبدأ فترة من عدم الاستقرار في أعقابها إذ ينقسم الثوار على أنفسهم بسبب طموحهم أو تصادم مصالحهم وتشتد حركات المعارضة للعهد الجديد بسبب خيبة آمال الفئات التي عززت بها الدعوة وعدم التزام الثوار بالوعود التي قطعوها على أنفسهم(102).

هوامش الفصل الأول:

1- الطبري: تاريخ الطبري 293/7.

2- مؤلف مجهول: أخبار العباس وولده، ص200.

3- نفسه، ص 27-28.

4- نفسه، ص168؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي 245/2؛ المسعودي: مروج الذهب 254/3.

5- الدينوري: الاخبار الطوال، ص485.

6- البلاذري: انساب الاشراف، 264/3؛ النويري: نهاية الارب 219/18.

7- مؤلف مجهول:المصدر السابق ، ص24؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص141.

8- مؤلف مجهول: ، المصدر السابق ص ص 25، 27، 29-36.

9- نفسه، ص236 ومابعدها.

10- نفسه، ص154 ومابعدها.

11- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص160؛ الدينوري: المصدر السابق ، ص485؛ المسعودي: مروج الذهب 252/3.

12- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص173؛ احمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص19.

13- المسعودي: المصدر السابق 87/3.

14- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص165؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3.

15- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص ص 165-166، 172، 174.

16- نفسه، ص174.

17- الطبري: المصدر السابق 568/7.

18- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص 174-177.

19- نفسه، ص 174-178.

20- المسعودي: المصدر السابق 253/3.

21- نفسه 253/3؛ ابن الاثير: الكامل فى التاريخ 539/5.

22- الطبري: المصدر السابق 568/7.

23- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص ص165، 184-186؛ اليعقوبي: المصدر السابق 218/2ومابعدها؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3.

24- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص200.

25- نفسه، ص 184-186.

26- نفسه، ص219ومابعدها: سيوري: المصدر السابق ، ص 485-488؛ الطبري: المصدر السابق 344/7.

27- خراسان، كلمة فارسية مركبة معناها مطلع الشمس.

28- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص 205-207ومابعدها.

29- الدينوري: المصدر السابق ، ص500.

30- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص413؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص 214-215.

31- نفسه، ص413؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص219.

32- الدينوي: المصدر السابق ، ص500.

33- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص369ومابعدها.

34- نفسه، ص200.

35- نفسه.

36- الطبري: المصدر السابق 142/7.

37- مؤلف: المصدر السابق ،ص ص 195، 223، 233.

38- نفسه، ص239؛ البلاذري: المصدر السابق ، 352/3.

39- الدينوري: المصدر السابق ، ص492؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان 145/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق 255/5. ولمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان 58/5.

40- وفيات الاعيان 145/3.

41- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص253ومابعدها.

42- الدينوري: المصدر السابق ، ص485.

43- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص149ومابعدها؛ البلاذري: المصدر السابق 234/2-235، 383.

44- الأزدي: تاريخ الموصل، ص52؛ مؤلف: المصدر السابق ، ص256.

45- مؤلف: المصدر السابق ، ص256، البلاذري: المصدر السابق ، 383/2.

46- احمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي، ص25.

47- مؤلف: المصدر السابق ، ص256؛ أبوالفرج الأصفهاني: الاغانى 235/10.

48- مؤلف: المصدر السابق ، ص267؛ الدينوري: المصدر السابق ، ص499.

49- ابن قتيبة الدينوري: الامامة والسياسة، 114/2.

50- مؤلف مجهول: المصدر السابق ،ص ص 306-307، 244-247؛ الدينوري: المصدر السابق ، ص499-500.

51- الطبري: المصدر السابق 285/7؛ أحمد مختار: المرجع السابق، ص25.

52- مؤلف: المصدر السابق ، ص 207-208؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3.

53- المسعودي: المصدر السابق 254/3-255.

54- الطبري: المصدر السابق 330/7.

55- الدينوري: المصدر السابق ، ص495، 522.

56- عبدالحي الكتاني: التراتيب الادارية في المدينة المنورة العلية، الرباط، 1346هـ، 321/1.

57- الدينوري: المصدر السابق ، ص493.

58- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص304-305؛ ابن قتيبة: المصدر السابق 115/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق 237/2-238؛ المسعودي: المصدر السابق 255/3.

59- اليعقوبي: المصدر السابق 235/2-236.

60- نفسه، 238/2؛ المسعودي: المصدر السابق 260/3.

61- الطبري: المصدر السابق 425/7.

62- اليعقوبي: المصدز السابق 238/2؛ الطبري: المصدر السابق 426/7.

63- المسعودي: المصدر السابق 67/3ومابعدها؛ عبدالأمير دكسن: الخلافة الأموية، ص69؛ علي حسين الخربوطلي: المختار الثقفي، القاهرة، 1963م، ص52.

64- المسعودي: المصدر السابق 176/3.

65- ابن قتيبة الدينوري: المصدر السابق 7/2-8.

66- الطبري: المصدر السابق 426/7.

67- نفسه 425/7؛ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية 29/1.

68- الطبري: المصدر السابق 421/7.

69- نفسه 425/7.

70- نفسه 426/7.

71- الدينوري: المصدر السابق ، ص 485، 486؛ الطبري: المصدر السابق 425/7.

72- الأزدي: المصدر السابق ، ص190؛ الدينوري: المصدر السابق ، ص355؛ فاروق عمر: الخلافة العباسية 15/1.

73- فاروق عمر:المجع السابق 15/1.

74- نفسه، 16/1.

75- عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، 1997م، ص10.

76- فاروق عمر فوزي: الدعوة العباسية وأخبار الخلافة العباسية، بغداد، 1986م، 9/1، 27؛ فان فلوتن: السيادة العربية والشعية، ص128.

77- فاروق عمر، الدعوة ، 9/1.

78- نفسه، 9/1.

79- الشيخ محمد الخضري: الدولة العباسية، ص17ومابعدها.

80- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص 16-17؛ فان فلوتن: المرجع السابق ، ص48-49؛ ولهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ص492-498.

81- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص12-13.

82- المسعودي: المصد السابق308/3، 310.

83- الدوري، المرجع السابق ، ص33.

84- فان فلوتن: المرجع السابق ، ص 48ومابعدها.

85- نفسه: ص48-55؛ ولهاوزن: المرجع السابق ، ص492.

86- ابن خلدون: العبر(تاريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، 1957م، 198/2؛فليب حتى وآخرون: تاريخ العرب، طبعة 1952م، 351/2.

87- جرجي زيدان: التمدن الاسلامي، القاهرة 1911-1914م، ج22/2.

88- أحمد أمين: ضحى الاسلام، القاهرة، 1934م، 25/1.

89- فليب حتي: المرجع السابق ، 351/2.

90- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي، القاهرة، 1935م، ص370.

91- الدوري: المرجع السابق ، ص10.

92- فان فلوتن المرجع السابق ، ص 48-50.

93- ولهاوزن: المرجع السابق ، ص492.

94- اليعقوبي: المصدر السابق235/2.

95- الدوري: المرجع السابق ، ص18.

96- نفسه، ص 11، 18-19؛ أحمد أمين: المرجع السابق 31/1.

97- فاروق عمر: الخلافة العباسية 18/1-19.

98- بارتولد: الحضارة الاسلامية، نقله عن التركية، حمزة طاهر، القاهرة، 1942م، ص65-66.

99- اليعقوبي: المصدر السابق 219/2؛ أحمد أمين:المرجع السابق32/1.

100- الدوري: المرجع السابق1، ص34؛ ولهاوزن: المرجع السابق، ص536.

101- فاروق عمر فوزي: الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، 1967-1968م، ص16.

102- ابن أعثم الكوفي: الفتوح، 20/1.

الفصل الثاني
واجهات الدعوة العباسية

الواجهة الدينية:

كان من جملة حركات المعارضة للخلافة الأموية تلك التي تدعو لبني هاشم(آل البيت) بصفة عامة، وتعتقد بأنهم ورثة الرسول(ص) الا ان هذه المعارضة لم تكن واضحة المعالم أو منتظمة، وانما كانت تشتد حيناً وتخفت حيناً آخر، وكانت حركة الشيعة هي حركة أنصار أهل البيت من علويين وعباسيين وجعفريين غير متناسقة الاتجاهات ولامنظمة حول شخصية واحدة أو فرع واحد من أهل البيت(1).

فبعد تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة عام 41هـ لمعاوية، قام العلويون من الفرع الحسيني بعدة محاولات لانتزاع السلطة من الأمويين. كما قام عبدالله الجعفري بحركة في العراق وفارس، وقد استطاع الجيش الاموي القضاء على هذه الحركات والثورات جميعاً(2).

وكانت حركات المعارضة العلوية ذات اتجاهين مختلفين:-

1- الاتجاه المعتدل ويعتقد انصاره بأن الامامة بالنص لا بالاختيار(3)، وأن أحق الناس هم ابناء علي رضي الله عنه، ويتمثل هذا الاتجاه بثورتي الحسين بن علي(4) عام 61هـ وزيد بن علي زين العابدين عام 122هـ(5).

2- الاتجاه المتطرف وقد اعتقد أنصاره بمبادئ خارجة عن الاسلام، فانهم استغلوا اسم العلويين، وبدأوا ينشرون مباديء غريبة عن الاسلام منها الحلول والتناسخ، أي أنهم اعتقدوا بأن جزءاً الهياً في علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وان هذه الصفات تتناسخ في الأئمة واحداً بعد الآخر، كما قالوا بأن الأئمة معصومون وانهم يحيطون بالاسرار الخفية، وان الشخص إذا علم اسم الامام تبطل عنه جميع الغرائض الاسلامية، واعتقدوا بالرجعة أي بعودة المهدي المنتظر ليزيل الظلم وينشر العدل بين الناس(6).

ان هذه الاراء المتطرفة ترجع في جذورها الى اصول قديمة ظهرت في حركات دينية قبل الاسلام.

لقد أبدى عبدالله بن سبأ احتراماً فائقاً للامام علي إلى درجة التقديس، ويرى بعض الباحثين ان ابن سبأ قد أله الامام فقال ان جزءاً الهياً حل فيه، وان هذه الصفات الالهية تتناسخ في الأئمة من ابنائه واحداً بعد الآخر(7). وهكذا كون ابن سبأ أول فرقة غالية في الاسلام(السبأية) وقد ترعرعت السبأية في الكوفة والمناطق القريبة منها وتمخضت سنة 66هـ عن حركة المختار عبيد الثقفي(8)، وهي تطور مهم في حركة المعارضة العلوية، ذلك لأنها نقلت الامامة من الفاطميين العلويين إلى محمد بن الحنفية، وهو ابن الامام علي من غير فاطمة. كما ان مغزى الحركة الديني واضح من الاراء التي نادت بها، ومنها احاطة الائمة بالعلوم الالهية وان الدين طاعة رجل، وأن معرفة الرجل أو الامام تبطل التمسك بالغرائض. وادعى المختار الثقفي انه نبي يوحى إليه. واهم من كل ذلك فكرة البدأ وفكرة المهدي. أما الفكرة الأولى ومعناها تغير الإرادة الالهية لقرار قد اتخذ من قبل فالظاهر انها نسبت إلى المختار ويختلف المؤرخون في صحة نسبتها إليه. أما الفكرة الثانية فقد ادعى المختار بان محمد بن الحنفية هو المهدي المرتقب وعلى الناس اتباعه(9).

ويذكر المؤرخون كذلك بأن من مظاهر حركة المختار المهمة سنة 66هـ، هو بروز دور الموالي في هذه الحركات واثبات وجودهم ككتلة ذات ميول علوية معارضة للامويين. وعرفت حركة المختار باسماء عديدة منها الكيسانية نسبة إلى كيسان أبي عمرة صاحب شرطة المختار، ومنها المختارية ومنها الخشبية نسبة إلى الحصي الخشبية التي كان الموالي يستعملونها في القتال(10).

وسواء كان محمد بن الحنفية قد استغل هذا الجناح المتطرف من الحركة العلوية أو أن هذا الجناح استغل اسم محمد بن الحنفية، فالظاهر ان الكيسانية اعتقدوا بامامة ابن الحنفية ولم يؤمنوا بوفاته، بل ادعوا بأنه اختفى في مكان مجهول أو

في جبل رضوى(11). أما اتباع الذين آمنوا بوفاة ابن الحنفية، فكانوا على أقسام أيضاً أهمها وأكبرها، تلك التي ادعت بان الامامة انتقلت إلى أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الهاشمية(12).

وكان أبوهاشم طموحاً جمع حوله الاتباع ونظمهم، وكان يتسلم منهم الخمس والهدايا وكانت حركته محاطة بالسرية وهو يزور البلاط الأموي على الرغم من مراقبة الأمويين له(13). وقد تركزت معارضة بني هاشم في مطلع القرن الثاني للهجرة حول ثلاث شخصيات(14):

1- جعفر الصادق من الفرع الحسيني، وكان لايدعو إلى شهر السلاح ضد السلطة الأموية، لذلك كانت معارضته سلمية سلبية.

2- عبدالله بن الحسن من الفرع الحسني وابناه محمد وابراهيم وكانوا يتحينون الفرصة للحركة(للثورة) ضد الأمويين(15).

3- محمد بن علي بن عبدالله بن العباس حفيد العباس عم الرسول(ص)، وهو الذي أوصى إليه أبوهاشم بالامامة وقيادة الهاشمية من بعده(16).

وبقدر مايتعلق الأمر بادعاء العباسيين لهذه الوصية فلقد اختلف موقف المؤرخين المحدثين من مسلمين ومستشرقين من ذلك. فكان فان فلوتن وبرنادلويس يقبلونها على انها صحيحة تاريخياً. أما ولهاوزن فيعتبرها ربما كانت اسطورية خيالية.

وقد كان الدكتور الدوري(17) حذراً من قبولها أول الأمر إذ يقول، وعلى كل يمكننا ان نجزم بأن اباهاشم توفي ولاعقب له، وبأن التفاهم بينه وبين محمد بن علي جعل الهاشمية ينضمون إلى محمد ويكونون نواة الدعوة العباسية.

ولكن الدوري عدل عن رأيه بعد اطلاعه على مخطوطة أخبار العباس وأكد على أهمية الوصية وحقيقتها التاريخية(18).

أما المؤرخون الاقدمون فالكثير منهم يؤكد ان اباهاشم قد أوصى فعلاً لمحمد بن علي العباسي، البغدادي(19) ويذكر انه لما استخلف سليمان بن عبدالله اتاه ابوهاشم

وغدا في عدة من الشيعة... وكان محمد بن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى إليه وقلده أمر الشيعة والقيام بشأنهم، ثم تستمر الرواية فتذكر بأن سليمان أرسل معه رجلاً حاد به عن الطريق غلى خباء لاعرابي فسقاه لبناً مسموماً، فلما شربه مرض فحال إلى محمد بن علي في الحميمة(20) وأوصى له بأمر الشيعة واعطاه كتبه(21). ويتفق اليعقوبي مع البلاذري في التأكيد على الوصية. الا ان أهم المصادر التي تعالج موضوع الوصية، كتاب أخبار العباس، حيث يقول صاحب الكتاب تحت عنوان اخبار الإمامة والكيسانية منسوبون إلى المختار بن عبيد، وكان بلقب كيسان وهو أول من قال بامامة محمد بن علي، وبهذا كان يقول علي بن عبدالله العباسي وولده إلى أيام المهدي وكان تشيع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية. ويقول صاحب الكتاب: ((قدم ابوهاشم فنزل على محمد بن علي العباسي، فاشتكى فأوصى إلى محمد وكان يسمى بعده الامام))(22).

ويفصل الكتاب في علاقة محمد بأبي هشام والظروف التي أدت إلى موت أبي هاشم ولكنه لايذكر انه مات مسموماً(23).

ومهما يكن من أمر فان أهم شيء في الوصية هو الصحيفة الصفراء، ويرجع أصل هذه الصحيفة إلى محمد بن الحنفية التي ورثها عن أبيه علي إذ اعطاه اياها أخوه الحسين، وتحتوي هذه الصحيفة على علم رايات خراسان متى تكون وكيف تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها وأي أحياء العرب انصارهم... فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن الحنفية، فلما مات دفعها إلى ابنه ابي هاشم فلما مات في الحميمة دفعها إلى محمد بن علي العباسي وأوصاه بما أحب(24).

أما المصادر التاريخية المتأخرة، فهي ليست ذات قيمة تاريخية كبيرة فيما يخص الوصية، ومع هذا فهي مجمعة على تأكيدها.

وفيما يخص مصادر الفرق فإنها تؤكدها أيضاً ولكنها لاتعطي معلومات واضحة عنها. وعلى الرغم من اقرار كتاب الفرق بأن أصل الحركة العباسية يرجع إلى الكيسانية والهاشمية، فانهم لم يتهموا الفرقة العباسية بالتطرف والغلو كما اتهموا

الكيسانية. ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الكتب ألفت في عصر الدولة العباسية فلم يجروء هؤلاء على الافصاح والايضاح أكثر(25).

وبعد كل هذا يظهر ان كل هذه المصادر تتفق على الحقيقة التاريخية للوصية، وتذكر أنه في سنة 97هـ أو 98هـ كان أبوهاشم في طريق عودته من الشام إلى الحجاز بعد زيارته لسليمان بن عبدالملك، وقد تمرض ابوهاشم إما بسبب السم أو انه مرض طبيعي، فأوصى اصحابه ان يعرجوا به على الحميمة مقر العباسيين، فأوصى لمحمد بن علي العباسي وجعله اماماً للحركة السرية الهاشمية، ولم يكن لأبي هاشم ولد، لذلك أمر اتباعه باتخاذ محمد بن علي إماماً، لأنه أعلم من غيره وكان قد أخذ العلم على ايدي أبي هاشم نفسه(26).

ولكن بعد تأسيس الدولة العباسية وسيطرة العباسيين على السلطة اعلنوا في أكثر من مناسبة عن عزمهم على اتباع كتاب الله وسنة نبيه، ونددوا بأهل الجور الذين فشلوا في تطبيق العدالة وتقربوا من الفقهاء ورجال الدين وتبرأوا من كل العناصر ولاسيما المتطرفة منها التي ساندتهم في حركتهم(27).

وكان لابد للعباسيين ان يجدوا اساساً جديداً لتثبيت دعواهم بالخلافة، فلم تعد وصية أبي هاشم ملائمة لهم بعد تسنمهم الحكم ذلك لأنها من الناحية السياسية تربطهم بالعلويين، وتجعل حقهم بالخلافة جاء عن طريق العلويين. ثم انها من الناحية العقائدية تفضح ان جذور حركتهم السرية تعود إلى المنظمة الكيسانية والهاشمية المتطرفة(28). أما الاساس الجديد لدعوى العباسيين، فقد كان يستند إلى ان العباس عم الرسول(ص) وانه ورثه يوم وفاته ولذلك فالامامة في ولده(29).

ان هذا التحول لم يحدث فجأة وانما كانت هناك فترة انتقال بين الادعاء الأول والثاني وتمتاز هذه الفترة بغموضها، وتظهر بصورة خاصة في خطب وتعليقات الساسة والخلفاء العباسيين. وأحسن مثل لهذا خطبة أبي العباس وعمه داود بن علي سنة 132هـ(30).

ولكن الأمر لم يبق على هذه الصورة الغامضة المرنة، فلقد انشق بنوهاشم إلى عباسيين حاكمين وعلويين معارضين، وبمرور الزمن تبلورت وجهتا النظر العباسية والعلوية(31).

هكذا نرى بأن النواة الثورية للدعوة العباسية تشكلت حول محمد العباس الذي يعد بحق المنظم الأول للدعوة السرية باسم العباسيين، ثم انتقلت قيام الدولة من بعده إلى ابنه ابراهيم الإمام عند القبض عليه قد أوصى لأخيه أبي العباس بالامامة من بعده، وطلب منه الرحيل بأخوته وأهله من الحميمة إلى مدينة الكوفة. فساروا إليها سراً وهناك علم رئيس الدعاة أبوسلمة الخلال (حفص بن سليمان) بقدومهم فأنكر ذلك وقال: خاطروا بأنفسهم وعجّلوا(32) وأراد أن يبقيهم خارج الكوفة ثم سمح لهم مكرهاً بدخول المدينة حيث أنزلهم في مخبأ رطب بدار أحد الموالي، وكتم أمرهم عن جميع القواد والشيعة نحواً من شهرين إلى أن تم لهم الأمر.

وفي خلال ذلك الوقت استطاع أبو مسلم الخراساني بما تجمع لديه من جيوش أن يهزم نصر بن سيار، وان يستولي على مدينة مرو عاصمة خراسان سنة 131هـ، واضطر نصر بن سيار ان يفر هارباً إلى العراق تتبعه الجيوش العباسية، ولكنه مات في الطريق بنواحي الري في السنة نفسها 131هـ عن سن متقدمة 85سنة تقريباً(33).

وبينما كان أبومسلم يقوم باتمام عملية فتح خراسان، واصلت جيوشه زحفها نحو العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي، واضطر حامل لواء العراق يزيد بن هبيرة إلى الانسحاب والتقهقر نحو مدينة واسط(الكوت) جنوبي العراق والتحصن بها(34). أما عامل الكوفة محمد بن خالد بن عبدالله القسري، فانه لم يستطع الصمود أمام العباسيين، فسلم لهم المدينة، وهنا يظهر أبوالعباس من مخبئه ويدخل المسجد الجامع بالمدينة حيث يعلن أبومسلمة الخلال امامته ويطلب من الناس مبايعته بالخلافة(35)، فيبايعونه في ربيع الأول سنة 132هـ ثم يخطب أبو العباس خطبته التاريخية المشهورة التي اوردها الطبري في تاريخه أوضح بان الدعوة

العباسية قامت باسم الاسلام ومن أجله، وانها تعني العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس، وزاد من اعطيات الناس فجعلها(100) درهم شهرياً. وأكد بان للعباسيين الحق في الخلافة لأنهم أقرباء الرسول(ص) وندد بسياسة الامويين وظلمهم للناس كما حذر المتطرفين(السبأية)(36).

فهو خطاب رسمي موضوع على غرار الخطب البرلمانية الرسمية في وقتنا الحاضر. وواضح من صيغة الخطبة والفاظها المرنة الجذابة أنها كانت موضوعة ومعدة من قبل أي انها لم تكن مرتجلة. وان الطبري يقول بأن العباس لم يستطع اتمام الخطبة لمرضه، فقعد على المنبر وقام عمه داود بن علي فأكمل الخطبة، وهذا دليل آخر على انها كانت معدة من قبل. والغرض من ذلك بطبيعة الحال أن يكون وقعها في النفوس أقوى وأشد من الكلام المرتجل فتؤثر على الناس التأثير المطلوب وتستميل الاحزاب المختلفة(37).

وفي أول خطبة القاها الخليفة العباس الأول قال: الحمد الله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا، وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والمناصرين له... وخصنا برحم رسول الله وقرابته، وانبتنا من شجرته... ووضعنا في الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وانزل بذلك على اهل الاسلام كتاباً، فقال: انما يريد الله عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وقال: لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى. فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا وواجب عليهم حقنا ومودتنا(38).

وأجزل من الفيء والغنيمة نصيباً تكرمة لنا وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبئية الضالة ان غيرنا احق بالرياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم بما ولما ايها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ونصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم، واظهر بنا الحق ودحض بنا الباطل واصلح بنا ماكان فاسداً(39).

فتمم الله منه ومنحه لمحمد(ص)، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الامر من بعده أصحابه، وامرهم شورى فحمووا مواريث الامم فيها ووضعوها مواضعها واعطوها أهلها... ثم وقب بنو حرب مروان فابتزوها وتداولوها بينهم، فحاولوا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فاملى اله لهم حيناً حتى اسفوه فلما اسفوه انتقم منهم بايدينا، ورد علينا حقنا وتدارك بنا امتنا وولي نصرنا. ليس بنا على اللذين استضعفوا في الارض(40).

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، انتم الذين لم يتغيروا على ذلك ولم يثنكم في ذلك ان حامل أهل الجور عليكم، حتى ادركتم زماناً واتاكم الله بدولتنا فانتم اسعد الناس بنا واكرمهم علينا، وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير(41).

ثم خطب بعده عنه داود بن علي فقال: ((فحمدالله وأثنى عليه وصلى على محمد، أيها الناس! الآن تقشعت حنادس الفتنة، وانكشف غطاء الدنيا، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وعاد السهم إلى النزعة، وأخذ القوس باريها، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة بكم، والرحمة لكم، والتعطف عليكم، ألا وان ذمّة الله وذمّة رسوله وذمة العباس لكم أن نسير، فتحكم في الخاصة والعامة منكم بكتاب الله وسنة رسوله، وإنه والله أيها الناس! ماوقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن أبي طالب، وهذا القائم خلفي، فاقبلوا عبادالله، ماآتاكم بشكر، واحمدوه على مافتح لكم، أبدلكم بمروان عدّو الرحمن، حليف الشيطان، بالفتى المتمهّل الشاب المتكهّل، المتبع لسلفه والخلف من أئمته وآبائه، الذين هدى الله، فبهداهم اقتدى مصابيح الدجى، وأعلام الهدي، وأبواب الرحمة، ومفاتيح الخير، ومعادن البركة، وساسة الحق، وقادة العدل، ثم نزل فتكلم أبوالعباس، فحمدالله وأثنى عليه، وصلى على محمد، ووعد من نفسه خيراً ثم نزل(42).

ويعد المنصور أول من أبرز وجهة النظر العباسية بصورة واضحة، وقد ظهر ذلك في رسائله المتبادلة مع محمد النفس الزكية(43). كما ان المنصور شجع الشعراء على ترويج الادعاء العباسي وشجع الكتابة في الامامة. كما راجت احاديث كثيرة على لسان الرسول(ص) وعبدالله بن العباس وجعفر الصادق وكلها تدعم الاتجاه العباسي(44).

وقد خاض الخليفة المنصور معركة سياسية وفكرية مع العلويين، تبلورت بموجبها وجهة النظر العباسية، لذلك فحينما تسلم المهدي الخلافة سنة 158هـ، وكان عهده عهد استقرار نسبي، أعلن رسمياً ان حق العباسيين بالخلافة يعود إلى العباس عم الرسول(ص) ووراثه(45).

ولو ألقينا نظرة على تاريخ الطموح السياسي للعباسيين، فالمصادر لاتذكر للعباس إبن عبدالمطلب أي طموح سياسي كميل للخلافة بعد وفاة الرسول(ص)، فلم يكن العباس من المسلمين الاوائل الا ان منزلته الدينية المتصلة بالحرم قبل مجئ الرسول وقرابته من الرسول، وسعت من شهرته بين الناس، واتخذها العباسيون فيما بعد أساساً في دعم حقهم بالخلافة(46).

كما ان عبدالله بن العباس أيضاً لم يكن له طموح سياسي وانصرف إلى النواحي الدينية إذ كان يلقب (حبر الأمة).

لذلك فالطموح السياسي للبيت العباسي بدأ بظهور علي بن عبدالله بن العباس الذي كان نشطاً من الناحية السياسية، وبعد وفاته سنة 118هـ ظهر ابنه محمد شخصية قريبة للعباسيين، وكانت علاقته بابي هاشم علاقة صداقة وتلمذة كما ان صلته بعبدالله بن الحسن كانت جيدة أيضاً(47).

وهكذا نرى بأن النواة الثورية للدعوة العباسية تشكلت حول محمد العباسي، الذي يعد بحق المنظم الأول للدعوة السرية باسم العباسيين، ثم انتقلت قيادة الدعوة من بعده إلى ابنه ابراهيم الامام، حيث بدأ وجهاً فعالاً جديداً للدعوة انتهى بدخول

الجيوش الخراسانية الكوفة سنة 132هـ. وأعلن أبا العباس أول خليفة للدولة الجديدة(48).

وهكذا انتقلت الهاشمية إلى عباسية وعرفت باسماء عديدة في خراسان في مدة الدعوة السرية من 98-128هـ ومنها الهاشمية، الكفية، الخداشية، الراوندية. واحتفظت هذه المنظمة السرية بخصائص التطرف الا أنها تميزت بمرونة أكثر وذلك بظهورها بواجهات متباينة ورفعها شعارات مختلفة(49).

ويظهر التطرف في مبادِئ احد الدعاة، وهو عمار بن يزيد خداش حيث ارسله بكير بن ماهان داعية الكوفة ليبشر بالدعوة العباسية منذ سنة118هـ فبدل اسمه وبدأ ينشر مبادئ الخرمية فنجح في جذب السكانِ المحليين وبعض العرب، ولاسيما انه تساهل في العقائد وطعمها بعقائد محلية ايرانية، فلما شاع أمره بين الناس قبض عليه والي خراسان أسد القسري وصلبه. وعندئذٍ تبرأ الامام محمد العباسي من مبادئ خداش وارسل إلى الدعاة رسالة يظهر غضبه عليهم لأنهم اتبعوا مذهب خداش(50).

وسواء كان خداش يعمل بتوجيهات الامام محمد العباسي أم أن خداش خرج عن الدعوة بدافع طموحه، حيث أراد ان ينصب نفسه زعيماً، فان محمد العباسي أدرك خطورة المبادئ التي أعلنها خداش على سير الدعوة فانكرها، ولكن الواجهة المتطرفة للدعوة بقيت موجودة وتمثلت بالراوندية والفاطمية.

والواقع ان الباحث في حركة خداش ضمن اطار الدعوة العباسية يلاقي صعوبات وتناقضات لقلة المعلومات التاريخية.

والخلاصة فان الدعوة السرية العباسية التي ترجع اصولها إلى الدعوة الهاشمية استغلت المبادئ الدينية الاسلامية، ولكنها لم تتورع عن إدخال آراء غير اسلامية متطرفة، فظهرت بواجهة إسلامية للبعض وبواجهة متطرفة خرمية للبعض الآخر مما أكسبها مرونة وجلب لها الاتباع.

الواجهة السياسية:

لاحظنا ان الدراسات القديمة للدعوة العباسية، كانت تعتقد ان أسباب سقوط الدولة الاموية وقيام دولة بني العباس، يرجع إلى الاخطاء التي وقع(51) بها الحكام العرب في الاقاليم الشرقية، حيث فشلوا في تطبيق العدالة الاجتماعية.

اننا لاننكر وقوع مثل هذه الحالات من الضغط الاقتصادي والتمييز الاجتماعي، لكنها لم تكن الوضع العام بسبب كونها حالات فردية، أصابت العجم الضعفاء واصابت العرب الضعفاء كذلك، ولاقياس على الحالات الاستثنائية(52).

ومع ان التزام العناصر العربية لزمام الامور في الدولة العربية يبدو شيئاً منطقياً، الا ان العرب إستخدموا الموالي بكثرة في ادارة الدواوين، وكذلك في الاعمال المالية(53).

أما من الناحية الاجتماعية فلقد ظهر الكثير من الموالي أصحاب الكنى مثل أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني، ولعل عناية العرب بأنسابها في مجتمع قبلي فرض عليهم التزامات معينة في عدم التزاوج مع الاجانب، وهذا لايوجب السخط، ولايكون سبباً في ثورة عارمة(54).

ولقد وقع ثقل الضرائب على كل الناس من عرب وموال.وعجم غير مسلمين، ولقد مر النظام المالي بين مد وجزر خلال العهد الأموي. فحينما فرضت الجزية على الموالي، فرض الخراج على العرب في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم في عهد عمر بن عبدالعزيز، والغى نصر بن سيار الضريبة الواحدة في خراسان، وفرض الخراج على الأرض، مهما كانت جنسية المالك. وفرض الجزية على أهل الذمة، فاستاء منه الدهاقين الذين كانوا معفووين من الضرائب(55).

ولقد كان العرب أول من تذمر من سياسة الامويين، فكانوا هم أول من نظم الموالي وأثارهم وقادهم تحت ألوية عربية(56).

ان ما أهمله المؤرخون الأوائل هو سياسة الأمويين الادارية والمالية في خراسان ومدى تأثيرها على مصلحة القبائل العربية من أهل خراسان من جهة،

ومن جهة أخرى سياسة الأمويين العسكرية من حيث توسعهم ومدى تقبل القبائل العربية المقاتلة لها(57).

ولم يعط هؤلاء المؤرخون اهتماماً كبيراً إلى علاقة العرب من أهل خراسان بسكان البلاد المحليين وبالموالي والأمويين والحكومة المركزية بدمشق، ثم علاقة هذه القبائل ببعضها البعض، تلك العلاقة التي حتمتها المصالح الجديدة المتنوعة لهذه القبائل بعد استقرارها في المناطق الجديدة(58).

ان معرفة الحالة في خراسان تتطلب منا الرجوع إلى أيام الفتح الاسلامي، إذ فتحت خراسان أيام الخليفة عثمان سنة 23هـ، وعقدت معاهدة بعد الفتح بين العرب والمرازبة، ومنها المعاهدة التي عقدت بين الفاتحين ومرزبان مرو(59) وبموجبها:

1- ليس للمسلمين(العرب) أي شأن بتقدير الضرائب، بل عليهم ان يستلموا مقدارها من الدهاقين، أي إن أمر تقرير الضرائب وجبايتها ترك للدهقان وهو المسؤول أمام الوالي(60).

2- على الايرانيين أن يفسحوا المجال لاستيطان العرب وسكناهم في قراهم، وكان لهذا الاجراء أهمية كبيرة لأنه الاساس في علاقات العرب الفاتحين مع السكان المحليين(61).

3- سمح للمرزبان وعائلته بامتلاك الاراضي الخاصة التابعة لهم واعفيت من الضرائب.

4- تعهد المرزبان وفرسانه أن يساعد الوالي العربي في وقت الحاجة، وبالمقابل يؤدي الوالي المساعدة نفسها للمرزبان(62).

لقد كانت سياسة الامويين منذ البدء، هي العمل على انشاء قواعد ثابتة، يقيم فيها المقاتلة العرب بصورة دائمة في خراسان، وذلك لاقرار الاستقرار والامن والجهاد على الحدود الشرقية.

ان القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان كانت في غالبيتها من البصرة ومنها من الكوفة، وكان طبيعياً ان تحمل بعضها تقاليدها القبلية إلى البيئة الجديدة. ولكن بمرور الزمن ظهرت تكتلات جديدة بين القبائل العربية، ولذلك تجد الفخذ الصغير من العشيرة ينضم إلى قبيلة كبيرة أو إلى تكتل قبلي آخر قوي، نظراً لأن مصلحته أقتضت ذلك بغض النظر عن النسبة أو الحلف القديم(63).

فلم تكن جديع الكرماني الازدي أو نصر بن سيار أو سليمان بن كثير الخزاعي شيوخاً لقبائل، بل انضمت إليهم مجموعات قبلية أخرى لاصلة لهم بها من النسب أو العصبية(64).

ثم ان ارسال عناصر عربية جديدة من البصرة والكوفة، وكذلك ارسال الجند السوري إلى خراسان لتعزيز مركز الوالي أو لدعم السياسة الاموية أدى إلى حدوث إنشقاق بين القادمين الجدد وبين العرب القدماء من أهل خراسان(65).

فدمشق مثلاً كانت تشجع أمير خراسان على ارسال أكبر مقدار ممكن من الغنائم والفيء إلى بيت المال العام، بينما عارض شيوخ القبائل ذلك وأصروا على الاحتفاظ بأربعة أخماس الغنيمة وهو حقهم(66).

ان النزاع حول ربع خراسان وغنائمها من جهة وسياسة التجميد، أدى إلى خلافات حادة بين المقاتلة العرب والامويين، وكانت لذلك نتائجه السيئة على الدولة الأموية وهي:

1- أدت إلى ضعف سلطة الوالي والى مد وجزر في سلطة الخليفة الأموي، ومدى تأييد القبائل له وقد أجبرت الخلفاء احياناً إلى التغاضي حتى عن حصتهم من الغنائم وارسال ولاة أقوياء لإعادة سلطة الخليفة. ولانهاء التكتلات كان الخليفة يعين قرشياً محايداً والياً على خراسان أو يجعل الأخيرة ولاية مستقلة تتبع الخليفة مباشرة. يضاف إلى هذا ضعف الحكومة في دمشق كان له دوره في ضعف الحكومة في خراسان(67).

2- ان الخلاف بين الوالي والعرب من أهل خراسان دفعهم إلى البحث عن أماكن أخرى غير مرو للاستقرار فيها وللتخلص من سيطرة الوالي. وكان لهؤلاء العرب المستقرين سبباً آخر للتذمر فهم بعد استقرارهم لم يصيروا مقاتلة، وحذفت اسماؤهم من الديوان، ولم يكن لهم اعطاء فكانوا ينظرون بعين الحسد إلى اخوانهم المقاتلة أصحاب الامتيازات(68).

3- كانت للسياسة الأموية نتيجة مهمة، وهي أنها اسرعت في دمج العرب المستوطنين واختلاطهم بالسكان الايرانيين المحليين، حيث شعر الجانبان بالاخطاء السياسية نفسها والمساوئ الاقتصادية عينها، وكان مصدر تذمرهم واحد وهو سوء سياسة الأمير الأموي وجشع الدهقان الفارسي(69).

وقد استغل الدعاة العباسيون الذين انبثوا في المدن والقرى التي تستقر فيها العرب أسباب التذمر التي يعاني منها هؤلاء، محاولين بشتى الطرق والشعارات والوعود، منددين بالسلطة الأموية مثيرين الحساسيات بين المقاتلة والمستقرين من العرب مستفيدين من تصادم مصالح الكتل المختلفة، ومن طموح شيوخ القبائل وتطلعهم إلى النفوذ وإلى ولاية خراسان، مثل الحارث بن سريج وجديع الكرماني وغيرهم(70).

هوامش الفصل الثاني:

1- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص485.

2- اليعقوبي: المصدر السابق 150/2؛ المسعودي: المصدر السابق 1/3 -5.

3- الكليني: اصول الكافي، ص101؛ المسعودي: المصدر السابق 237/3؛ الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام باعتناء جيوم اكسفورد، 1934م، ص 484-487؛ عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص19.

4- اليعقوبي: المصدر السابق ، 175/2-176؛ المسعودي: المصدر السابق 65/3ومابعدها.

5- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص230؛ المسعودي: المصدر السابق ، 217/3.

6- Sadighi: Les Mouvements Religieux Iranians paris, 1938, p. 48; الدوري: المرجع السابق، ص17.

7- الشهرستاني:المصدر السابق، ص100؛ الدوري: المرجع السابق ، ص20.

8- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص424؛ اليعقوبي: المصدر السابق 180/2-181؛ ولهاوزن: المرجع السابق ، ص504؛ الدوري: المرجع السابق ، ص20.

9- ابن قتيبة الدينوري: المصدر السابق 19/2-21؛ المسعودي: المصدر السابق 82/3.

10- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص424؛ المسعودي: المصدر السابق 87/3ومابعدها.

11- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص416؛ المسعودي: المصدر السابق ، 87/3ومابعدها.

12- مؤلف: المصدر السابق ، ص426؛ المسعودي: المصدر السابق 87/3.

13- مؤلف: المصدر السابق ، ص426.

14- المسعودي: المصدر السابق 268/3.

15- نفسه 220/3.

16- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص249؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3.

17- الدوري: المرجع السابق، ص20ومابعدها.

18- مؤلف مجهول: المرجع السابق ، ص161؛ ابن قتيبة: المعارف، ص124؛ الدوري: المرجع السابق ، ص20ومابعدها.

19- البغدادي: الفرق بين الفرق، القاهرة، 1910م، ص28؛ الدوري: المرجع السابق ، ص20.

20- ابن قتيبة: الامامة 109/2.

21- مؤلف: المصدر السابق ، ص 188-189؛ اليعقوبي: المصدر السابق 208/2؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3؛ الشهرستاني: المصدر السابق ، ص85.

22- البلاذري: المصدر السابق 467/3-468؛ اليعقوبي: المصدر السابق 208/2.

23- مؤلف: المصدر السابق ، ص188؛ ابن قتيبة: المصدر السابق 109/1؛ اليعقوبي: المصدر السابق 208/2؛ المسعودي: المصدر السابق 87/3.

24- مؤلف: المصدر السابق ، ص 184-185؛ اليعقوبي: المصدر السابق 208/2.

25- مؤلف: المصدر السابق ، ص165.

26- نفسه، ص 165، 188؛ اليعقوبي: المصدر السابق 208/2-209.

27- مؤلف: المصدر السابق ، ص200.

28- نفسه، ص 165، 167.

29- المسعودي: المصدر السابق 270/3.

30- اليعقوبي: المصدر السابق 244/2-245.

31- نفسه 244/2.

32- الدينوري: المصدر السابق ، ص518-522.

33- مؤلف: المصدر السابق ، ص 310-314؛ اليعقوبي: المصدر السابق 238/2.

34- مؤلف: المصدر السابق ، ص321؛ اليعقوبي: المصدر السابق 239/2.

35- مؤلف: المصدر السابق ، ص376؛ المسعودي: المصدر السابق 270/3.

36- مؤلف: المصدر السابق ، ص 356-357؛ فاروق عمر فوزي: في الدعوة العباسية 25/1.

37- اليعقوبي: المصدر السابق 225/2؛ الطبري: المصدر السابق 426/7.

38- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص536؛ اليعقوبي: المصدر السابق 245/2؛ الطبري: المصدر السابق 426/7-427؛ المسعودي: المصدر السابق 270/3.

39- اليعقوبي: المصدر السابق 245/2.

40- الطبري: المصدر السابق 427/7.

41- نفسه، 426/7؛ محمد الخضري: الدولة العباسية، ص28-31.

42- اليعقوبي: المصدر السابق 245/2؛ الطبري: المصدر السابق 427/7؛ المسعودي المصدر السابق 270/3.

43- اليعقوبي: المصدر السابق ، 261/2ومابعدها.

44- المسعودي: المصدر السابق 252/3.

45- أحمد عبدالعزيز محمود: الأمن في بغداد خلال العصر العباسي الأول، ص 79-80.

46- المسعودي: المصدر السابق 252/3.

47- نفسه 254/3.

48- مؤلف: المصدر السابق ، ص536؛ اليعقوبي: المصدر السابق 243/2.

49- المسعودي: المصدر السابق 254/3-255.

50- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص228؛ مؤلف: المصدر السابق ، ص500؛ المسعودي: المصدر السابق 254/3.

51- الدوري :المرجع السابق، ص10.

52- أحمد أمين: ضحى ، القاهرة، 1924م، 17/3ومابعدها.

53- الدوري: المرجع السابق ، ص10؛ جرجي زيدان: التمدن الاسلامي، القاهرة، 1918م، 55/4.

54- المسعودي: المصدر السابق 254/3؛ فان فلوتن: المرجع السابق ، ص55؛ Sadighi: O.C.P. 48.

55- الدوري: المرجع السابق ، ص 10-16؛ ولهازن: المرجع السابق ص 478-481.

56- المبرد: الكامل 273/1؛ الدوري: المرجع السابق ، ص11-13.

57- الدوري: المرجع السابق ، ص10-12.

58- فان فلوتن: المرجع السابق ، ص55؛ Sadighi: O.C.P. 48.

59- اليعقوبي: المصدر السابق 116/2.

60- الدوري: المرجع السابق، ص13؛ جرجي زيدان: التمدن الاسلامي، القاهرة، 1903م 22/1.

61- ابن الأثير: المصدر السابق 179/4؛ الدوري: المرجع السابق ، ص14.

62- الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص118؛ الدوري: المرجع السابق ، ص15.

63- ولهاوزن: المرجع السابق ، ص536؛ الدوري: المرجع السابق ، ص34.

64- المسعودي: المصدر السابق 255/3.

65- الدوري: المرجع السابق ، ص22-23.

66- الجاحظ: رسائل البلغاء، باعتناء محمد كرد علي، القاهرة، 1913م، ص270.

67- الطبري: تاريخ، المطبعة الحسينية 134/8؛ ابن الأثير: الكامل، طبعة القاهرة 1302هـ، 19/5؛ الدوري: المرجع السابق ، ص13.

68- الدوري: المرجع السابق ، ص14؛ فان فلوتن: المرجع السابق ، ص28-33.

69- الدوري: المرجع السابق ، ص15؛ بارتولد: الحضارة الاسلامية، ص65.

70- مؤلف مجهول: المرجع السابق ص514؛ محمد سهيل طقوش: التاريخ الاسلامي(الوجيز)، ص144.

الفصل الثالث
المبادئ التي استفادت منها الدعوة

1- استغلت الدعوة التشاؤم العام من الفوضى التي انتجتها الحروب الاهلية بين الأمويين وحركات الخوارج والعصبية القبلية, واضاع الناس أملهم في تحسن نظام الأمويين وأحسوا بأن في بقائه ضياع الاسلام. وانتشرت بينهم فكرة مجئ رجل ينقذ الناس من الشر. وقد اقتصرت هذه الفكرة في ذلك الوقت بين بعض الشيعة وانتشرت بين بقية المسلمين فأستغلها الدعاة وصارت رمزاً للمنقذ من آل البيت(1).

2- استغل الدعاة التنبؤ والتكهن اللذين انتقلا إلى المسلمين على أيدي القسيسين والرهبان واليهود ووضعوا النبؤات من مجئ سلطان آل البيت وبشر العباسيون بالرجل ذي الاعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية(2). وكان لهده النبؤات أثر قوي حتى انها تغلغلت بين الامويين أنفسهم كما يفهم من قول اليعقوبي، بأن مروان بن محمد، قصد الزاب لمواجهة الجيوش العباسية، لأن بني امية كانت تروي في ملاحمها ان المسودة لايجوز سلطانهم الزاب(3).

وكان لاختيار الراية السوداء علاقة بكتب الملاحم إذ كانت راية الرسول في حروبه مع الكفار سوداء، لذا صارت الراية السوداء رمز الحق والعدل، ومن ثم صار من الضروري للامام الذي يزول على يده سلطان بني أمية ان يتخذ السواد شعاراً له(4).

3- لم يتورع الدعاة من ادخال بعض المبادئ غير الاسلامية كمبدأ تناسخ الارواح(5)، ومبدأ الحلول في دعوتهم، وبهدا اجتذبوا قسماً كبيراً ممن لم يدخل الاسلام في قلوبهم واكسبوا الائمة حقاً مقدساً(6).

4- وضعوا الاحاديث عن الرسول(ص) بأنه بشر بانتقال السلطان للعباسيين فرووا عن الرسول أنه قال لعمه العباس: ((أنها تكون في ولدك)) وانه حين اتاه ابنه عبدالله، أذن في أذنه وتفل في فيه، وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل،

ثم دفعه إلى أبيه ، قال خذ إليك ابا الاملاك. واستفادوا من آراء الفرس في شرعية الحكم في العائلة المالكة واحتجوا بالقرابة، فكتب أبومسلم على نقوده التي ضربها في خراسان، ((قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى))(8).

5- حاول بعض الدعاة استثارة عاطفة الفرس القومية لاسيما في خراسان ضد العرب بصورة عامة والامويين بصورة خاصة، فخطب قحطبة بن شبيب في الخراسانيين قائلاً:((ياأهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدوهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عزوجل عليهم، فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أمة في الأرض كانت ضدهم (يشير إلى العرب)، فغلبوا على بلادهم واسترقوا أولادهم، فكانوا بذلك يحكمون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم واضاقوا أهل البر والتقوى فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر))(9).

ولكن يجب أن لانبالغ في أثر الشعور القومي في الحركة العباسية فأساسها اسلامي ولها دوافع اجتماعية واقتصادية فضلاً عن الدوافع السياسية.

وقد انتشرت الدعوة بين الطبقات العامة في الأماكن التي كان الضغط المالي فيها بالغاً منتهاه(10)، ومما سهل انضمام تلك الطبقات إلى العباسيين ان الدعاة أعطوا دعوتهم ثوباً يتناسب والآراء الدينية القديمة السائدة بين العامة(11).

والتف الدهاقنة حول أبي مسلم أملاً في الفوائد المادية والاجتماعية بعد أن جردتهم اصلاحات نصر بن سيار منها(12). ثم ان الدعوة انتشرت في بقاع معينة من خراسان واشتراك فيها بعض العرب حتى كان بعض رؤسائها البارزين كقحطبة بن شبيب وأبي داود وزياد بن صالح وسليمان بن كثير عرباً(13).

وهناك بعض الحوادث تشير إلى اشتراك الايرانيين مع القبائل العربية ضد الشيعة العباسية في خراسان(14). ولكن الدعوة أثارت في نفوس الايرانيين آمالاً بوعودها الكثير فجعلتهم يتطلعون إلى عيش أرفه وأيام أسعد من أيامهم في عهد بني أمية، وبذلك دفعت بوادر اليقظة الفارسية من حالة سلبية تتذمر من وضع قد

سيئ إلى حالة ايجابية تتطلب العز والسيادة(15). ويجب ان نلاحظ ان ابامسلم جمع تحت رايته عناصر غير متجانسة يجمعها العداء لبني أمية لاسباب متباينة، فكانت نواة الجيش العباسي من الهاشمية، وهم الاتباع المخلصون وكان أكثر اتباع أبي مسلم الخراساني من الفلاحين من جهات مرو مدفوعين بوضعهم السيء، واجتمع النبلاء حوله لفقدهم إمتيازاتهم بعد تنظيمات نصر(16).

كما أن بعض اتباع العلويين ساهموا لأنهم ظنوا ان الدعوة كانت لارجاع حقوق آل علي المهضومة. واشترك بعض العرب في الحركة على أساس إحياء السنة وارجاع العدل. هذا فضلاً عن من اشتركوا بدوافع قومية، فكان من المحتم ان تؤكد هذه العناصر المتباينة ميولها الحقيقية بعد زوال الخطر المشترك(17).

مدلول(معنى) الانتقال من الامويين إلى العباسيين:

1- سمى العباسيون حكومتهم دولة فكانت في زعمهم فاتحة عصر جديد في الاسلام(18). ويقول الجاحظ دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية(19). ويروي ولهاوزن ان حكم العرب انتهى بمجيء العباسيين، وان الفارسية انتصرت على العربية تحت ستار الاممية الاسلامية(20)، ولعل هذه الاقوال صحيحة، الا أنها متطرفة، فمن المبالغة ان نقول ان سلطان العرب انتهى بسقوط الامويين، فالخلفاء العباسيون كانوا عرباً هاشميين من جهة الأب على الأقل، وكانوا يعتزون بنسبهم. ومع أنهم قربوا الفرس الا أنهم سيطروا عليهم فنكلوا بهم حين شعروا بتعاظم نفوذهم كما فعل أبوالعباس بالخلال والمنصور بأبي مسلم الخراساني والرشيد بالبرامكة(21). وقد اعطيت بعض المناصب المهمة كالوزارة للفرس، ولكن عدداً كبيراً من الولاة والقواد كانوا عرباً(22). فسلطان العرب لم ينته بسقوط الامويين، إذ كانت دولة بني العباس اممية اسلامية، بينما دولة بني أمية عربية اسلامية(23).

2- يتميز العهد الجديد بعلاقته بالدين، فادعى العباسيون انهم يريدون احياء السنة واعادة حكم العدل وارجاع الخلافة الحقة بدل الملك الذي اقامه الامويين،

فارتدى خلفائهم البردة (كرمز للسلطة الدينية) في المناسبات الخاصة وأحاطوا أنفسهم بالفقهاء(24). وهكذا اتحد الدين والسياسة وكانت غاية العباسيين الاستفادة من الدين لتثبيت مركزهم السياسي(25).

واستغل العباسيون دعوتهم المنظمة لتقوية مركزهم ولجلب الناس إليهم، فادعوا بأن السلطة ستبقى في أيديهم ولن تخرج منهم حتى سلموها إلى عيسى بن مريم(26). ولكن المثل الأعلى للمساواة ظل وهماً إذ لم يحقق العباسيون وعودهم فاستمر التعسف والجور. وعلى الرغم من ان العباسيين قربوا الموالي ولكنهم أخفقوا كما أخفق الأمويون في خلق وحدة متجانسة من دولتهم(27).

3- تغيرت نظرية الحكم في العصر العباسي، فبعد أن كان الخليفة الأموي أشبه برئيس قبيلة، أصبحت السلطة عند العباسيين مقدسة ومستمرة من الله، وصار الخليفة خليفة الله على الأرض(28).

4- استمرت النظم الأموية في الضرائب والادارة المحلية والجيش والدواوين في العهد العباسي. الا ان النظام الاداري الجديد لم يكن قائماً على أساس التفريق في الجنس أو على أساس التنافر بين طبقات الأمة المختلفة، بل أصبح الدين أساس الادارة وعد مرجعاً لتحديد العلاقات مع الناس والحكومة(29).

ثم ان الادارة العباسية اتخذت شكلاً جديداً يختلف عما لدى الادارة الاموية، إذ استندت إلى الوزارة وهي مؤسسة أدخلها العباسيون، فظهرت طبقة الكتاب ولعبت دوراً يعدل دور أرباب السيوف(30).

5- أما من الوجهة الثقافية، فقد كان العصر العباسي متسماً للأموي، إذ كان العصر الأموي عصر انتقال تمثل فيه القديم إلى جانب الجديد، ففضلاً عن وجود العادات البدوية والشعر العربي والدراسات الدينية تسربت عادات وأفكار أجنبية ويونانية في النواحي الدينية والعلمية(31).

ففي العصر الأموي بدأت حركة التأليف إذ بدأ جمع الشعر الجاهلي، وظهرت بوادر حركة تدوين التاريخ، ونشأت الدراسات الفقهية. وترجمت بعض الكتب،

ولعل خالد بن يزيد بن معاوية أول من بدأ بالترجمة إذ أمر أن تترجم له كتب في الكيمياء(32). ولم تكن حركة الترجمة في العصر الأموي منظمة، بل كانت فردية ولكن ما أن جاء العصر العباسي حتى لقيت من تشجيع الخلفاء ورجال الدولة ومن تطور الزمن ماساعدها على النضوج والتقدم(33).

6- تغيرت وضعية الاحزاب إذ تقلصت الحروب القبلية التي كانت متأصلة بين القبائل واقتصرت على الجزيرة العربية وسورية. ثم تغيرت وضعية الاحزاب المتخاصمة على الخلافة، فبعد ان كان النزاع بين أمية وهاشم أصبح بين بني هاشم أنفسهم، إذ خاب ظن العلويين بحسن نوايا العباسيين بعد استئثار هؤلاء بالسلطة، فسعوا إلى قلب الخلافة العباسية ونجحوا في اقامة دولة الادارسة والفاطمية، كما ان العباسيين نكلوا ببعض العلويين تنكيلاً لم يسبق له مثيل. أما الخوارج فقد ضعفوا وقلت أهميتهم(34).

7- جعل العباسيون عاصمتهم في العراق، فكان ذلك رمزاً لنجاح العراق في نضاله السياسي مع الشام طيلة العصر الأموي، كما ان نقل العاصمة إلى العراق أدى ان تسود الثقافة الفارسية والسريانية في الدولة العباسية(35).

8- أهمل العباسيون الولايات الغربية بصورة عامة، واهتموا بالقسم الشرقي من الدولة التي ورثوها، فساعد ذلك على انفصال الولايات الغربية النائية كمراكش وتونس(36).

9- لأول مرة في تاريخ الاسلام نرى أكثر من دولة تحكم أراضيه، إذ انفصلت الأندلس، ونشأت فيها دولة مستقلة عن العباسيين(37).

الخلفاء العباسيون:

نسبة العباسيين:

تنسب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي(ص)، فمؤسس دولة بني العباس هو عبدالله بن العباس(38)، ويعد قيامها انتصاراً للفكرة التي نادى بها بنوهاشم عقب وفاة الرسول، بإسناد الخلافة إلى أهله وذويه، وقد وردت هذه الفكرة في

مطلع الاسلام وانتصر التفكير الاسلامي الصحيح، وهو أن الخلافة ملك للمسلمين يولون على أنفسهم من يشاؤون، ولكن الفرس الذين كانوا يسدينون بمبدأ الحق الإلهي المقدس ظلوا يعملون لنشر مبادئهم، حتّى تحققت أحلامهم وأتى بنو هاشم إلى الخلافة(39).

وكان العلويون أقرب إلى الرسول في نظر الناس لمكانة فاطمة من أبيها، ولمكانة علي من ابن عمه وصهره، ثم لمكانته هو في الاسلام سبقاً وكفاحاً، ولكن العباسيين بعد أن نالوا الحكم أذاعوا أنهم أولى من بني هاشم بميراث الرسول(ص) لأن جدهم عم الرسول، ولاينحدر الميراث إلى ابن العم مع وجود العم، وليس لأولاد البنات ميراث مع وجود العصبة(40).

أبوالعباس عبدالله بن محمد بن علي بن عباس

والخليفة العباسي الأول، هو أبوالعباس عبدالله بن محمد بن علي بن عباس(132-136هـ)(41)، ويلاحظ وجود تشابه بين اسمه واسم عمه عبدالله بن علي الذي كان والياً على الشام. هذا التشابه جعل المؤرخين يلقبون الخليفة بعبدالله الأصغر، ويلقبون عمه بعبدالله الأكبر. كذلك جرت العادة بتلقيب هذا الخليفة بلقب السفاح(42)، بمعنى سفاك الدماء وذلك بسبب المذابح التي حدثت في عهده، واستناداً على العبارة التي وردت في خطابه الذي ألقاه بالكوفة حين قال: ((ياأهل الكوفة، أنتم أهل محبتنا ومنزل مودتنا... وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير))(43).

وان لقب السفاح المقصود به العم وليس الخليفة، بل إن المؤرخين التبسوا بين عبدالله بن محمد وعبدالله بن علي، فاعطوا لقب الأخير إلى الأول. ويتفق المستشرق برنادلويس مع عبدالعزيز الدوري في هذا الشأن. أما الباحث حسن الباشا، فيرى من القاب الخليفة العباسي الأول، ويرجع أنها صفة مدح تتصل بالكرم والبذل والعطاء(44).

ولقد اختلف المؤرخون الأوائل فيما يخص هذا اللقب كما يأتي:

أولاً: ان كلمة سفاح من الناحية اللغوية لها عدة معان، منها السفاك الدماء، ومنها الكريم المعطاء الذي يسفح الدنانير ومنها الفصيح اللسان، فالكلمة التي وردت في خطاب أبي العباس لأهل الكوفة تتفق مع معنى الكرم، فهو كريم معطاء مع اصدقائه وثائر مبير مع اعدائه(45)، فهو يستعمل اسلوبه الترغيب والتهديد، وهو أسلوب معروف عند العرب في اساليبهم الخطابية التي تتضمن المعاني المتقابلة(46).

ثانياً: المصادر التاريخية الاساسية الأولى الموثوق بها كالدينوري والطبري والجهشياري، لاتنسب هذا اللقب إلى الخليفة، فهي تكتفي بالقول ((أمير المؤمنين أبوالعباس))(47) ولم يرد اسم السفاح في كتابات المؤرخين الا منذ القرن الرابع الهجري.

ثالثاً: في كتاب الامامة والسياسة المنسوب لإبن قتيبة(48)، نجد اشارة صريحة إلى أن السفاح هو عبدالله بن علي، فيقول: ((ذكروا أن أباالعباس ولّى عمه عبدالله بن علي الذي يقال له السفاح على الشام))(49).

رابعاً: ولعل المسعودي يعد من أوائل الذين اطلق لقب السفاح على أبي العباس ومن ثم تبعه المؤرخون، على أن هؤلاء المؤرخين يختلفون كذلك في معنى هذا اللقب، أهو يعني الكرم والسخاء(50) أو أنه كان يعني التقتيل والمجازر(51). أما الكوفي فيظهر أباالعباس وكأنه الشخص الثائر المطالب بدماء آل البيت من الامويين(52). وهنا يجدر بنا ان نذكر بإن الخليفة أبا العباس نفسه استعمله في خطبته الافتتاحية في الكوفة حين أعلن نفسه خليفة حيث قال لأهل الكوفة ((...فاسعدوا فأنا السفاح المبيح...))(53) ويؤكد دي غويه بأن اباالعباس كان يعد الناس بالعطاء الكثير والسخاء الوفير ولم يكن يتوعدهم بالقتل والتشريد(54)، ونحن نؤكد هذا الرأي لأن الخليفة اتبع قوله آنف الذكر بأن قال:((...والثائر المبير))(55) وهنا دون شك يكمن الانذار والوعيد(56).ان هذا اللقب السفاح بمعنى الجزار يناسب عبدالله بن علي(57) عم الخليفة أبي العباس أكثر مما يناسب الخليفة(58).

خامساً: يشير صاحب كتاب اخبار الدول المنقطعة بأن لقب أبي العباس هو(المرتضى)، ويؤكد أن السفاح هو عبدالله بن علي عم الخليفة بسبب مجازره في الشام وتتبعه الامويين وقد قال فيه الشاعر(59):

وكانت أمية في ملكها تجور وتظهر طغيانها
فلما رأى الله قد طغت ولم تعق الارض عدوانها
رماهم بسفاح آل الرسول فخر بكفيه اذقانها

وهكذا فإن صاحب كتاب اخبار الدول المنقطمة يؤيد المقدسي(60) نسبة هذه الابيات إلى عبدالله بن علي ويعارض رواية الكوفي(61).

سادساً: اجمعت روايات المؤرخين على أن الخليفة العباس كان متصفاً بالحلم وكرم الأخلاق ويكره سفك الدماء(62). ولعل هذه الضفات كان لها أثر كبير في توليته العهد قبل أخيه أبي جعفر الذي كان أكبر منه سناً. وان كان من المعروف كذلك ان أبا العباس كان من أم عربية تدعى ربطة الحارثية (من بني الحارث)(63) بينما كانت أم أبي جعفر ام ولد اسمها سلامة البربرية(64)، وهكذا كان له دخل أيضاً في تفضيل أبي العباس على أخيه المنصور.

حقيقة إن عصر الخليفة أبي العباس كان مليئاً بالمذابح، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لدولة ناشئة لايزال مصيرها في كفة القدر(65)، غير أن هذه المذابح لم يقم بها الخليفة نفسه، وانما أعمامه الذين لايقدر على ردهم وهو(66): داود بن علي وكان يحكم الحجاز إبن علي وكان والياً على الاهواز وايران، وصالح بن علي الذي ولي مصر(67)، ثم عبدالله إبن علي الذي كان والياً على الشام(68).

الموقف من الأمويين:

لقد وقفت معظم القبائل في بلاد الشام موقف المعارض من حكم مروان آخر خلفاء الأمويين، ولكن ما ان سيطر العباسيون على زمام الحكم حتى أدرك أهل الشام خطأهم، حيث فقدوا امتيازاتهم، وأصبحت بلادهم اقليماً من اقاليم الدولة، بعد ان كانت مركزاً لها تدر عليها الواردات من كل حدب وصوب، وعلى الرغم من

عدم تقبلهم للوضع الجديد فقد ظلوا برهة من الزمن دون أن يحركوا ساكناً، ثم مافتئوا أن أظهروا غضبهم فقاموا بعده حركات قابلها العباسيون بالشدة حيناً وباللين والمساومة حيناً آخر. وقد اشار عدد من المؤرخين إلى قسوة العباسيين تجاه الامويين وأتباعهم وأنهم دبروا المجازر والقتل الجماعي في سبيل الانتقام منهم أو الثأر لأنفسهم، وكأن هذه المجازر، بحسب ماترويها مصادرنا، خطط لها لتكون عنيفة ومثيرة لتبقى رمزاً تاريخياً للثأر وأخذ الحيف(69).

وهذه الروايات الغامضة والمتضاربة تختلف في تصويرها لموقف الخلفاء العباسيين أو العلويين أو الامويين، تلك الميول التي اثرت في الرواية في تلك الفترة الانتقالية. فمثلاً الروايات العباسية وحتى العلوية تعزو موقف الخليفة الشديد من الامويين إلى الرغبة في الانتقام منهم لما قاموا به من أعمال تجاه الهاشميين(أهل البيت) مثل الحسين وزيد ويحيى وابراهيم الامام وغيرهم(70) وتظهر بعض الروايات العلوية، لاسيما بعد التصدع والشرخ الذي وقع بين العباسيين والعلويين، تظهر العباسيين بمظهر المشفق على الامويين المتعنت مع العلويين. أما الروايات الأموية فهي تبالغ في اظهار تصرفات الخلفاء والولاة تجاه الامويين الذين عانوا الأمرين من العباسيين، في حين تظهر روايات متفرقة أخرى الموقف المتزن والمتعقل للخلفاء العباسيين تجاه الامويين، مما يدل على سياستهم الرزينة أن صحت هذه الروايات، كل ذلك يشير إلى الموقف الصعب الذي يجابه الباحث في تاريخ هذه الحوادث في تلك الفترة الانتقالية. ومما يزيد في صعوبة البحث التعميم والغموض والتكرار الذي تتصف به هذه الروايات، فهناك روايات تعزو حادثة واحدة إلى أكثر من شخص واحد. وهناك روايات تصف المسرح الذي وقعت عليه المجازر في نهر أبي فطرس أو في الحيرة بالوصف نفسه، مما يدعو إلى الحذر في تقبل هذه الروايات التي ربما كانت تصف حادثة واحدة لاحادثتين(71). كما أننا لانعرف على وجه التحديد أعداد ولا أسماء القتلى، ولدينا روايات متضادة تظهر أباالعباس وداود بن علي والي الحجاز وسليمان بن علي

والي البصرة بوجهين مختلفين(72). الأول يظهرهم بمظهر الرحماء الحماة للامويين المتشردين، والثاني يظهرهم بمظهر القساة المطالبين بالثأر. وفي هذا الاتجاه تظهر ميول الكوفي الموالية للعلويين. إذ يؤكد في هذا الخصوص التميز بالسطحية وضعف الاسناد والتعميم. وبكلمة موجزة يمكننا القول بأن الرواة الاوائل اتفقوا على ألا يتفقوا في هذا الباب، أما المؤرخون المتأخرون فإنهم يبالغون في تصوير المجازر والتعذيب الذي لاقاه الامويون(73).

مجزرة نهر أبي فطرس:

ان هذه الحادثة وقعت سنة 132هـ، يقول اليعقوبي(74): إن عبدالله بن علي والي الشام منح الأمان للأمويين ودعاهم إلى وليمة في احدى القلاع الرومانية على مقربة من نهر أبي فطرس بفلسطين. وبعد أن اعطاهم الجوائز والعطايا(75) أمر الخراسانية فقتلوهم عن آخرهم. ويقول الطبري(76) ان(إثنين وسبعين)أموياً قتلوا في هذه الحادثة دون أن يفصل ذلك. وهناك رواية طويلة في كتاب(الامامة والسياسة)(77) وتاريخ اليعقوبي والمسعودي. وتقول هذه الرواية الأخيرة بأن عددهم كان شخصاً إذ حرض الشاعر العبدي عبدالله بن علي على قتل الأمويين بقوله(78):

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم   وبنو أمية من كلابِ النّارِ

فقتلهم الخراسانية، ثم غطاهم الوالي العباسي بغطاء وجلس على جثثهم وتناول طعامه مع أصحابه. وكان من بين المدعووين شخصيات أموية بارزة مثل عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك وعبدالرحمن بن معاوية بن هشام، على أن هذا الأخير كان قد حذر واستطاع الإفلات(79).

يتفق كل المؤرخين بأن هذه الحادثة قد وقعت فعلاً، ولكنهم يختلفون في عدد الضحايا. فأنساب الاشراف والأغاني لايعطيان أي رقم. أما الطبري ويتبعه ابن عساكر الذي يشير عليه العيني، فيذكر أن عدد الضحايا هو شخصاً. بينما يقدره خليفة بن خياط وابن قتيبة(80) واليعقوبي(81) وآخرون نحوشخصاً. ولكن الشيء

الذي يلفت النظر أن عدداً قليلاً من الضحايا قد ذكروا باسمائهم في مصادرنا. أما كتب النسب فتعطي عدداً من الاسماء دون أن يصل عددها الكلي إلى نصف العدد الذي يقرره المؤرخون. على أن النسابة يذكرون أسماء أخرى لضحايا عبدالله بن علي دون أن يشيروا بالتحديد إلى أنهم من ضحايا نهر أبي فطرس. وفي كل الحالات لايصل العدد الكلي إلى الثمانين(82).

أما النسبة إلى اسم المدبر أو المخطط لهذه الحادثة، فان كل المصادر تؤكد إنه عبدالله إبن علي العباسي والي الشام وقائد القوات العباسية التي قضت على مروان الأخير، على أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا، هو هل نفذ عبدالله الخطة بأمر من الخليفة أم على مسؤوليته الخاصة؟ يقول المؤرخان الكوفي واليعقوبي(83) وكتاب العيون والحدائق، ان العباس أمر عبدالله بن علي بأن يقتل كل أموي يقبض عليه. وعلى الرغم من أن هذه السياسة كانت مناسبة لدولة جديدة تحاول أن تثبت نفسها فإنه يصعب علينا أن نتصور بأن الخليفة أبا العباس المعروف بمرونته ورغبته في التوفيق قد أصدر أمراً كهذا(84). والظاهر ان هذه الروايات ذات صبغة علوية، وهي على الأغلب روايات موضوعة. ولعل الأمر الأكثر احتمالاً هو أن عبدالله بن علي خطط لهذه المجزرة بنفسه دون استشارة الخليفة، ومما يعزز هذا الرأي أن الخليفة لما سمع بالحادثة كتب إلى عبدالله بن علي يأمره بأن لايقتل أموياً إلاّ بإذن منه، فكان هذا أوّل مانقم أبو العباس على عمه(85). ويعد عبدالله بن علي أشهر الجميع قسوة وبطشاً وسفكاً للدماء، أمر بنبش قبور خلفاء بني أمية كي يمحو آثارهم من الوجود، له في هذا الصدد شعر يقول فيه(86):

بني أمية قد أفنيت جمعكم فكيف لي منكم بالأول الماضي

نهب دمشق والنبش والعبث بقبور الامويين:

وفي دمشق قام عبدالله بن علي بعمل رمزي مشير للثأر لبني هاشم من جثث الخلفاء الأمويين. لايذكر الطبري شيئاً عن هذا الحادث. ويتفق البلاذري والكوفي واليعقوبي(78)، إنّ أباالعباس كتب إليه: ((خذ بثأرك من بني أميّة، ففعل بهم مافعل،

ووجه فنبش قبور بني أمية، فأخرجهم وأحرقهم بالنار، فما ترك منهم أحداً، ولما صار إلى رصافة، أخرج هشام إبن عبدالملك، ووجده في مغارة على سريره، قد طلي بماء يبقيه فأخرجه، فضرب وجهه بالعمود، وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطاً، وهو يتناثر...))(88) وقد استثنى قبر الخليفة عمر بن عبدالعزيز من النبش. ولم يكن هذا العمل الرمزي إلا عملاً سياسياً قصد به الثأر لشهداء آل البيت ولكنه دون شك اثار أنصار الامويين وظهر امتعاضهم على لسان امرأة سورية خاطبت عبدالله بن علي قائلة: ((ياعبدالله ان الشاة لايضيرها السلخ بعد الذبح))(89). لقد أعقب سقوط مدينة دمشق على يد الخراسانية عمليات واسعة من النهب والسلب دامت ثلاثة أيام بنهارها ولياليها. ويعزو الدينوري(90) ذلك إلى أوامر أصدرها ابوعون عبدالملك الازدي القائد الخراساني، بينما يقول اليعقوبي(91) والمسعودي(92)، ان عبدالله إبن علي هو الذي أمر بذلك(93).

ضحايا الأمويين في الحجاز(94):

ويذكر أن داود بن علي العباسي والي الحجاز قتل عدداً من الأمويين بأمر الخليفة أبي العباس، ولايفوتنا هنا أن نقول بأن هذه الرواية تتنافى تنافياً تاماً مع السياسة الودية والمرنة التي اعلنها داود بن علي حين رحاله إلى الحجاز ليتسلم منصبه الجديد. فمن غير المنطقي أن يتصرف هذا الوالي تصرفاً يدل على القسوة والشدة والعنف، فيأمر بقتل عدد غير قليل من الأمويين في مكان يعرف بـ(بطن مر)، ومما يزيد في غموض الحادثة، ان الروايات التاريخية لاتذكر أسباب قتلهم ولا عددهم أو أسماءهم ولامكانتهم السياسية أو الاجتماعية. يقول أحد المؤرخين في احدى رواياته أن داود بن علي قد وعد بالأمان لجميع أهل الحجاز عوامهم وخواصهم، ثم شرع في قتل عدد من الأمويين في مكة المكرمة، ولم يكتف عند هذا الحد، بل ارسل عدداً آخر منهم إلى الطائف حيث قتل بعضهم وسجن البعض الآخر منهم(95). وهنا لابد من الاشارة إلى أن داود بن علي قام بالعمل نفسه في المدينة المنورة. كما أرسل حماداً الأبرص إلى اليمامة بغية قتل المثنى بن يزيد بن

هبيرة. ومما يجعل مجازر مكة والمدينة أكثر غموضاً وتعقيداً، أنها تشترك مع حادثة نهر أبي فطرس في فلسطين في إحداثها المسرحية التي تناقلتها الروايات، ومنها دعوة الأمويين إلى الاجتماع ودخول احد الشعراء وإلقائه قصيدة، ثم صدور الأمر بقتل ((شيعة بني أمية، وطُلبوا تحت كل حجر ومدَر)).

سليمان بن هشام الأموي ومصيره:

لقد منح العباسيون أول الأمر الأمان إلى سليمان بن هشام، نظراً لمناهضته حركة ضد مروان بن محمد، وفي بداية عهد أبي العباس أعلن العفو عن سليمان وابنيه وبعض أفراد حاشيته ومواليه. وتمدنا المصادر التاريخية عن سليمان بن هشام أنه قد وقف موقفاً مناهضاً لمروان بن محمد، ولم يقف عند هذا الحد، بل قدم العون الممكن للعباسيين في أحلك الظروف التاريخية، التي تتمثل في دعوتهم السرية، ولكن ذلك لم يشفع له كثيراً، فقد عد خطراً كبيراً على أمن الدولة العباسية وسلامتها، لكونه أموياً وذا نفوذ واسع بين أقرانه وأعوانه، وربما دفعه ذلك إلى طلب الخلافة باسم الامويين(97).

وقال ابن قتيبة في احدى رواياته التاريخية ان عيسى بن عبدالبر أخبرهم وقال: كان سليمان بن هشام أكرم الناس على أبي العباس أمير المؤمنين مكانة، لحسن بلائه مع قحطبة بن شبيب الطائي، وقيامه معه على مروان بن محمد ابن عمه، وكان هو الذي تحمل إثمه الكبير وقتل على يديه، فكان لذلك أخص الناس بأبي العباس، فبينما هما يوماً وقد تضاحكا وتداعبا، إذ أتى رجل من موالي أبي العباس يقال له سديف الشاعر، فناول أبا العباس كتاباً فيه(99):

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس(100)
طلبوا وتر هاشم فشفَوْها ... بعد ميل من الزمان ويأس
لاتقيلنَ عبد شمس عثاراً ... واقطعنْ كلّ نخلة وغراس
ذُلّها أظهر التودّد منها ... وبها منكم كحَزّ المواسي
ولقد غاظني وغاظ سِوائي ... قربهم من منابر وكراسي

واذكرنْ مقتلَ الحسين وزيدا وقتيلا بجانب المِــــهْراس

فقرأها أبوالعباس، ثم قال له: نعم ونعمّا عين وكرامة، سننظر في حاجتك، ثم ناول الكتاب أبا جعفر المنصور، ثم سلم سليمان بن هشام، ثم وقعت مناقشة بين الخليفة وسليمان حيث أمر الخليفة أباالجهم صاحب شرطته وعبدالجبار بن عبدالرحمن الازدي صاحب حرسه الخاص بقتل سليمان وابنيه(101). أما البلاذري(102) فينسب قتلهم إلى أبي مسلم الخراساني ، الذي كتب كتاباً طويلاً إلى الخليفة ذكر فيه قائلاً: ((إذا أنت عاملت صديقك وكيف يخافك العدو)). ويؤكد ابن قتيبة(103) قائلاً: ((تطلع رجل من موالي بني أمية، كانت له خاصة وخدمة في بني العباس، فعرف بعض مافي الكتاب، فلما خرج من غند أمير المؤمنين مرّ بسليمان بن هشام في غرفة له بالكوفة فسلم، ثم قال لسليمان: من عندك يا أبا أيوب، فقاله: ماعندي غير ولدي، فقال له: ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج إني لك من الناصحين، فخرج سليمان من ليلته هارباً من الكوفة، نحو بعض نواحي الجزيرة، وكتب إلى مواليه ومقربيه، فاجتمع إليه خلق كثير، فأرسل إليه أبوالعباس بعثاً يقاتله، فانهزم ذلك البعث، ثم ارسل إليه بعثاً آخر، فهزمه أيضاً، قال: فتنقل سليمان بن هشام عن ذلك الموضع إلى غيره، ثم بعث إليه بعثاً آخر، فتمكن من أسر سليمان وولده، فأتى بهما إلى مقام أبي العباس، فأمر الخليفة بضرب رقابهما وصلبهما، فقال سليمان لولده: تقدّم يابني على مصيبتي بك، فتقهقر الغلام، ثم تقدم فقتل، ثم قتل سليمان، وصلبا على باب دار الامارة بالكوفة))(104).

نهاية الأمويين:

بويع أبوالعباس الخلافة، وكانت مهمته شاقة حيث مروان بن محمد وجيشه في الشام، وابن هبيرة وجيشه في واسط(كوت) الا انه أظهر مقدرة فائقة ووضع أسس الدولة العباسية(105). ففي الجبهة الشمالية بعد ان خضعت مدينة نهاوند، أرسل قحطبة بن شبيب الطائي جيشاً بقيادة أبي العون احد زعماء الأزد، وأمره أن يشغل الجيش الأموي الذي أرسله مروان بقيادة ابنه عبدالله، فانتصر أبوالعون عند

شهرزور، وتراجع عبدالله فقدم مروان لنجدة ابنه، فسارع أبوالعباس بارسال بقية جنوده، وأعطى القيادة لعبدالله بن علي. وفي سنة 132هـ التقى الجيشان على نهر الزاب الكبير ودارت معركة حاسمة انتهت بانتصار العباسيين(106). وكان عدد جيشهم مايقارب (40)ألف جندي وربما كان الجيش الاموي ضعف هذا العدد(107). أما أسباب هزيمة الامويين فهي:

1- ضعف معنوياتهم وقوة معنويات الخراسانيين(108).

2- العصبية الهدامة في الجيش الأموي وتخاذله اثناء القتال(109).

3- حاول مروان بن محمد تشجيع جنده، فعرض عليهم المال وما ان وقعت أبصارهم عليه، حتى كفوا عن القتال وتوجهوا صوبه، فحاول صدهم وأرسل ابنه لارجاعهم، فظنوا انها الهزيمة فهربوا(110).

4- أخطأ مروان حين عبر نهر الزاب الكبير إلى العباسيين، فقطع خط الرجعة وغرق قسم كبير من جيشه(111).

5- الحروب الكثيرة التي انهكت جيش مروان، وهدت قواه، فضلاً عن أن هجوم العباسيين كان سريعاً وخاطفاً وفجائياً، فلم يكن في وسع مروان أن ينظم جنده ويشد قواه(112).

وفي الجنوب كان الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي يحاصر ابن هبيرة في واسط فأرسل أبوالعباس أخاه أباجعفر للاشراف على الحصار، وكان لارساله أهمية خاصة إذ ان حضور رجل من آل البيت العباسي يقوي معنويات الجيش، واستمرت واسط مدة طويلة، وساعد على ذلك مناعة حصون واسط ومهارة ابن هبيرة(113). وعلق ابن هبيرة آمالاً على قيام ثورات في انحاء المملكة، واتصل بالعباسيين بعد مقتل مروان ودعاهم الى المطالبة بالخلافة، ليزيد في مشاكلات العباسيين، ويثير الفوضى من جهة، وليدفع اليمانية الذين كانوا في واسط إلى التضامن لمقاومة الحصار العباسي من جهة أخرى(114). ولكن أبا جعفر انتبه لهذا الخطر وارسل إلى اليمانية قائلاً: السلطان سلطانكم والدولة دولتكم..((علام تقتلون

أنفسكم، وقد قتل مروان))(115). وفرق أبوجعفر صفوف ابن هبيرة، فكتب إلى قواده واشراف العرب الذين معه يستميلهم بالاطماع... ودب التخاذل في جيش ابن هبيرة بتأثير الدسائس وطيلة الحصار، فاضطر إلى طلب الصلح وكتب له كتاب الامان، كما اشترط بعد مفاوضات طويلة، ولكن العهد لم يحفظ، وقتل ابن هبيرة، ويعزو اليعقوبي ذلك إلى أن اباالعباس اطلع على كتب ابن هبيرة إلى محمد النفس الزكية يدعوه إلى الخلافة فقال (نقض عهده واحدث ماأحل به دمه)(116).

هاشمية الكوفة: عاصمة الدولة:

باعتلاء العباسيين الحكم انتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق، ولقد أرضى هذا الانتقال أهل العراق من جهة، ومن جهة أخرى فان هذا التحول يظهر بأن العباسيين كانوا مقتنعين بأن العراق هو الإقليم المناسب لهم ولأنصارهم لأسباب سياسية واقتصادية. فالعراق هو موطن القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان ثم كسبتها الدعوة العباسية وثارت بها على الامويين. ثم إن العراق حاضرة لامبراطوريات قديمة قبل الاسلام، وهذا يؤهله لكي يكون مركزاً لدولة جديدة، ولعل اضطراب اقاليم بلاد فارس في أواخر عهد الامويين، وكذلك اضطراب بلاد الشام جعل العباسيين يختارون العراق ليكونوا خارج هذين الإقليمين، ولكنهم وفي الوقت نفسه يكونون على صلة قريبة بهما للسيطرة عليهما. ولهذا لابد أن نذكر التحول الاقتصادي والانتعاش التجاري للعراق خلال هذه المدة، بسبب وقوع العراق على الطريق التجاري بين الشرق والغرب على أنه لم يكن من السهولة بمكان تعيين المحل المناسب من العراق لإقامة العاصمة. فلم يستطع الخليفة أبوالعباس أن يتخذ قراراً قطعياً حول موقع العاصمة، وكان القرار يتأرجح من منطقة إلى أخرى، لاعتبارات غالباً ماكانت سياسية. فلم يستقر أبوالعباس في الكوفة(117)، بل اختار موقعاً قريباً منها وبنى فيه عاصمة جديدة سماها الهاشمية سنة 132هـ(118)، الا انه عاد فأنتقل إلى موقع قرب الانبار(119) سنة

134هـ(120) وبنى هاشمية جديدة(121). عرفت بهاشميه الانبار أقام بها حتى وفاته سنة 136هـ(122).

أهم الأعمال التي قام بها أبوالعباس:

إخماد الفتن والحركات الداخلية التي قامت ضد الحكم العباسي. ويلاحظ ان معظم هذه الحركات قامت في المناطق العربية مثل فلسطين والشام والجزيرة التي كانت مركزاً للنفوذ العربي، ثم شعرت بأن هذا النفوذ لم يلبث أن زال وتحول إلى خراسان، ويلاحظ ان هذه الحركات كانت ترفع الأعلام البيضاء وتسمي نفسها بالمبيضة كدليل على عصيان العباسيين المعروفين بالمسودة(123).

من هذه الحركات نذكر حركة حبيب بن مرّة المرّيّ بالحوران بفلسطين(124)، وحركة أبي الورد بالشام(125)، وحركة ابن اسحاق بن مسلم أحد قواد(126) مروان بن محمد بالجزيرة شمالي العراق، وكانت هذه الحركات اقليمية متفرقة. بدأت في فلسطين ثم الشام ثم الجزيرة، فكأنها كانت تقترب من مركز الخلافة بالعراق شيئاً فشيئاً، ولكن كان ينقصها التنظيم والتضامن، ولهذا استطاعت جيوش الخلافة العباسية أن تقضي عليها في الحال(127).

الأوضاع الخارجية في عهد أبي العباس:

جبهة المشرق:

تعرضت بلاد ماوراء النهر لخطر كبير من جانب الصينيين الذين استغلوا تضعضع أوضاع المسلمين، والفراغ الذي أحدثه سقوط دولة الاتراك الغربية؛ لبسط سلطانهم على هذه المنطقة(128).

والواقع ان الصراع الاسلامي-الصيني كانت تحرّكه انذاك دوافع دينية وحضارية وتجارية. ونجح الصينيون في بسط سيطرتهم المؤقتة على المنطقة، وظهروا أمام فرغانة وهاجموا الشاش، ثم حدث أن تعرضت الصين لمشكلات داخلية بفعل الصراع على العرش، مما صرف الصينيين عن التدخل في شؤون بلاد ماوراء النهر. وتُعدُ معركة طراز التي جرت بين الطرفين في شهر ذي

الحجة عام 133هـ، نهاية التدخل الصيني في المنطقة التي نعمت في ظل الحكم العباسي بعهد طويل من الرخاء(129).

الجبهة البيزنطية:

استفادت الدولة البيزنطية من الاضطرابات التي سادت الدولة الاسلامية نتيجة انتقال الحكم من الامويين إلى العباسيين(130)؛ ونقل العاصمة من دمشق، فهاجمت مناطق الشامية والجزرية، واستولت على مدنها وقلاعها، كما هاجمت أرمينية وسيطرت على أرضررم وكماخ الواقعة على نهر الفرات، والحدث، وملطية، وضربّت حصن سميساط(131) فهددت بذلك نظام الثغور الاسلامي. فظهرت حركة الاستجابة الاسلامية بالرد على الهجمات البيزنطية مع اقتراب استقرار أوضاع الخلافة، فاستؤنفت حركة الصوائف والشواتي(132). وبشكل عام يمكن وصف المناوشات العسكرية بين الطرفين في ذلك الوقت بحرب الحدود(133).

أبوالعباس والخوارج:

لقد تركزت الحركة الخارجية في العصر الأموي اقاليم مركزية أو شبه مركزية كالسواد والموصل والحجاز، وعلى العكس في العصر العباسي الأول فقد انحصرت في اقاليم بعيدة نوعاً مامثل افريقية، عمان، سجستان، الجزيرة الفراتية واليمن وأطراف خراسان، ، وربما كان هذا هو سبب عدم ذكر الحوليات لثورات الخوارج مثل الطبري (ت310هـ) الذي كان يهتم بالاقاليم المركزية، بينما نرى تفصيلاً لهذه الثورات في كتب التاريخ المحلي، مثل تاريخ الموصل وتاريخ سجستان وتاريخ بخارى وتاريخ عمان والمغرب... كما ان بعض المؤرخين المتأخرين كابن الاثير(ت 630هـ)، وابن خلدون(ت 808هـ) والنويري(ت 712هـ)، يهتم بذكر أخبار الخوارج، ويرسم لنا صورة الخطر الخارجي على الدولة العباسية بصورة أكثر وضوحاً من الطبري. ويؤكد ابن الطقطقي(ت 709هـ) هذه الحقيقة مشيراً إلى كثرة الحركات الخارجية التي أزعجت الخلافة العباسية وأقلقتها.

لقد نظر الخوارج إلى العباسيين النظرة العدائية نفسها التي كانوا ينظرون بها إلى الأمويين، فالعباسيون بنظرهم مغتصبو الخلافة، التي يجب ان تكون ذات صفة انتخابية وشورى بين المسلمين كافة، ويتقلدها أجدرهم بغض النظر عن نسبه أو قبيلته أو جنسه أو عرقه. ولم تكد تنقضي سنة واحدة على عهد الخليفة أبي العباس، حتى ثار الخوارج في اقاليم عدة:

1- ففي الجزيرة، ثار بريكة بن حميد الشيباني ضد الوالي أبي جعفر عبدالله(134).

2- وفي أرمينية واذربيجان ثار مسافر بن كثير الشيباني، وقد ارسل أبوالعباس القائد محمد بن صول الذي إستطاع ان يقتل مسافراً مع عدد من اتباعه وفر الباقون صوب سجستان(135).

أبوالعباس والعلويون:

لم يكن العلويون أنفسهم متحدين أو متفقين على زعامة واحدة. فأغلب الحسينيين أنكروا أن يكون للحسنيين أي حق في الخلافة التي حصروها في آل الحسين دون غيره من أولاد علي. وحجتهم في ذلك ان الحسن بن علي وهو الأخ الأكبر للحسين كان قد تنازل عن حقوقه إلى أخيه الحسين.

إن تشتت القيادة العلوية يعني بالتالي أن ولاء الشيعة العلوية في تلك الفترة لم يكن نحو فرع علوي معين. وتدل الاحداث التاريخية أن هؤلاء الاتباع كانوا على العموم يغيرون ولاءهم من فرع إلى آخر وبكل سهولة بحسب الظروف والاحداث(136). وحين إستلم العباسيون السلطة، حاولوا أن يتجنبوا أية صلة بالمتطرفين من العلويين(المنظمة الهاشمية)، ووجدوا من الأفضل اسناد حقهم الشرعي إلى أسس غير وصية أبي هاشم إلى محمد العباسي ابان الدعوة السرية، وهنا يجب الاشارة إلى ان الوصية أصبحت في خبر كان وغيروا الشعار إذ أحلوا محلها حق القرابة. وقد أدى هذا النهج الجديد إلى حركات واضطرابات قادها المتطرفون ابتداء من عهد الخليفة العباسي الأول.

من خلال هذه الرؤية الصحيحة لقراءة الاحداث ومارافقها من التطورات، يمكن تفسير محاولة أبي العباس خلق جو من الوفاق الودي الهاشمي(العباسي والعلوي) في خلال مدة حكمه القصيرة(132-136هـ)، محاولاً جهد الامكان وباذلاً اقصى الجهود والطاقات، أن يجعل من خلافته رمزاً للطموح الهاشمي. ويلاحظ ويظهر هذا الاتجاه فعلاً في محاولته التقرب من الشخصيات العلوية ومن قصائد شعراء البلاط في تلك الحقبة(137). وعلى الرغم من إدراكه وجود تحركات موالية للعلويين هنا وهناك في العراق وخراسان ومعرفته جيداً، باتصالات يزيد بن عمر بن هبيرة مع محمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن المحض(138)، ومراسلات أبي سلمة الخلال (حفص بن سليمان الهمداني) مع العلويين وحركة شريك بن شيخ المهدي باسم العلويين في خراسان، فإنه حاول ترضية العلويين ليمنح الدولة الجديدة فرصة لتثبيت نفسها(139).

هذا ولاننسى ان العلويين أنفسهم أحسوا بعد نجاح الدعوة، وابراز صفتها العباسية، بخيبة أمل مؤقتة، لحين إلتقاط أنفاسهم مجدداً، وكانوا في الوقت نفسه بحاجة إلى مزيد من الوقت ليقوموا باتصالات جديدة فضلاً عن تجميع قواهم ثانية بعد ماطرأت ظروف وتطورات جديدة طفحت على الوضع السياسي بمجيء العباسيين. في حين أعلن ابوالعباس بوضوح لايقبل الريب بأن الخلافة عباسية وستبقى عباسية، وانكر أن يكون العلويون أحق بها من العباسيين، وأكد داود بن علي عم الخليفة المفاهيم نفسها أيضاً في خطبته في الكوفة ومكة المكرمة. ففي خطبة الكوفة اعترف اعترافاً صريحاً لالبس فيه حين قال، بأن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول خليفة شرعي للمسلمين، أما ثانيهما فهو أبوالعباس عبدالله بن محمد العباسي(140)، وأكد أن الخلافة ستبقى في أيديهم حتى يسلموها إلى عيسى بن مريم. أما خطبة مكة فكانت مزيجاً من المرونة والشدة معاً، إذ ذكّر الناس بمافضل الله به العباسيين وقال، ((والله ماقمنا الا لإحياء الكتاب والسس والعمل بالحق والعدل ورب هذه البنية ووضع يده على الكعبة لانهيج منذ

احداً))(141) الا أن يحدث بعد يومه هذا حدثاً أمَن الاسود والأبيض، ((ثم ذكر بني أمية وسوء آثارهم، وذكر العدل فحض عليه، ووعد النـــاس خيـــراً ورجـــا لهـــم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه...))(142).

وكانت هذه الخطب من أولى المناسبات التي أكد فيها العباسيون على أن حقهم في الخلافة يستند إلى حق القرابة من رسول الله(ص) أولاً وعلى حق الحرمة أي مركزهم الديني كمسؤولين عن سقاية الحجيج ورفادتهم في البيـــت الحـــرام فـــي مكة(143). وعليه نرى أن نبرة العباسيين في عهد أبي العباس ظلت تؤكـــد علـــى سياسة المهادنة والوفاق، ففيها وعد ووعيد، وفيها تحذير وترغيب(144).

موقف الدولة العباسية من الدعاة:

المعروف في تاريخ أغلب الثورات، ان الثورة تقضي على رجالها الذين قاموا بها، أي ان الثوار ينقسمون على أنفسهم. وهذا ماحدث فعلاً في أعقـــاب الثـــورة العباسية، ففي خراسان حاول أبومسلم الخراساني التخلص من الدعاة المتنفـــذين. وفي العراق حاول الخلفاء العباسيون التخلص منهم إما عن طريـــق الاغتيـــال أو بدفعهم إلى الثورة بشكل أو بآخر. ولذلك نلاحظ الكثير من الثورات والاضطرابات في عهدي أبي العباس والمنصور، كان رأسها دعاة عباسيون.

ولم تكن هذه الثورات من النوع الذي يتزعمه قادة متمردون أو ولاة طموحون، ولكنها ثورات قادها دعاة لهم سجل حافل بالاعمال الجليلة فـــي ســـبيل الـــدعوة العباسية مثل: حركة بسّام بن ابراهيم، زياد بن صالح، عبـــدالجبار الأزدي...ثـــم حركات الراوندية. كل هذا يلقي ضوءاً على استياء هؤلاء من السياسة التي اتبعتها الدولة الجديدة ومحاولتهم تبديلها.

انحراف أبي سلمة الخلال(حفص بن سليمان الخلال الهمداني)(145):

إن أول حركة تواجهنا في عهد الخليفة أبي العبـــاس(132-136هـــــ)، هـــي مؤامرة الخلال(حفص بن سليمان) الهمداني رئيس دعاة العباســـيين فـــي الكوفـــة ووزير آل محمد(146)، وكان أبومسلمة الخلال قد قضى في خدمة الدعوة العباسية

(30)سنة تقريباً مكوناً حلقة الوصل بين الحميمة ومرو(147)، ولكن بعد مقتل ابراهيم الامام على يد مروان إبن محمد الذي شك في نوايا ابراهيم، والقى القبض عليه وقتله، ثم هرب أبو العباس إلى الكوفة في صفر سنة132هـ لم يعترف الخلال بأبي العباس واشار إليه بالتخفي عن الانظار(148).

والظاهر ان ولاء الخلال كان لإبراهيم الامام(149)، ولكن بعد مقتل الأخير، غير الخلال وجهة نظره في العباسيين، واراد أن يجعل الخلافة علوية(150) فارسل ثلاث رسائل إلى الامام جعفر الصادق الحسيني وعبدالله بن الحسن المحض الحسيني وعمر أبي علي بن الحسن، داعياً اياهم للخلافة، وكان الخلال قد أمر الرسول بالذهاب اولاً إلى جعفر الصادق، فاذا قبل الأمر مزق الرسالتين الأخريين، وإذا رفض ذهب إلى عبدالله المحض وهكذا(151).

لقد كان جواب جعفر الصادق احراق الرسالة منكراً معرفته بالخلال، اما عبدالله المحض فكان متردداً أول الأمر وشاور جعفر الصادق وشخصيات أخرى(152)، فحذره الصادق من مغبة الانقياد إلى الخلال قائلاً: ((ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟ أأنت وجهت إليهم ابامسلم هل تعرف أحداً منهم باسمه وبصورته فكيف يكونون شيعتك وأنت لاتعرفهم وهم لايعرفونك)). ولكن عبدالله المحض امتعض من جواب الصادق وعده حسداً منه ووعد الرسول خيراً، ولذلك لم يكن هناك حاجة لعرض الأمر على عمر بن علي المرشح الثالث بعد ان تظاهر عبدالله بالقبول أو كانت اجابته ايجابية، ولكن المتمعن في موقف العلويين خامرهم جميعاً من محاولة أبي سلمة الخلال عرض الخلافة عليهم، وكان هذا العرض قد حدث فجأة دون مقدمات فأوقعهم في حيرة من أمرهم(153).

أما الدوافع التي دفعت بالخلال للقيام بهذه الحركة، فيختلف المؤرخون في تفسيرها، فمنهم من يقول بأنه أراد ان يجعل الأمر شورى بين بني هاشم من عباسيين وعلويين، ومنهم من يرى بأنه خاف انتقاص الأمر وفساده بعد وفاة ابراهيم الامام، وتخوف على مصير الدعوة وفشلها، الا اننا نعتقد بان الخلال لم

يكن واثقاً من أبي العباس، إذ أن علاقته به لم تكن وثيقة كعلاقة الخلال بـابراهيم الامام، وقد أدرك الخلال ان تسلم أبي العباس السلطة، ربما سيحدد من نفوذه القوي الذي أخذ يتعاظم لاسيما بعد نجاح الدعوة، وسيطرة الخراسـية على الكوفة، ولذلك حاول الخلال ان يجد شخصية(154) أخرى هاشمية غير عباسـية ينصبها خليفة ويحتفظ هو بنفوذه السياسي الكبير، ذلك انه سيكون صاحب الفضل على الخليفة الجديد وسيلعب دور(صانع الملوك) في الدولة الجديدة(155).

لقد باءت محاولة الخلال بالفشل لشك العلويين وحذرهم منه أولاً، وتردد الشخصيات العلوية بالمغامرة التي تتطلبها السياسة ثانياً، ولقوة دعاة العباسيين في الكوفة ثالثاً، فقد اكتشف الدعاة مكان أبي العباس واعلنوا ببيعته بين الناس، مما اضطر الخلال إلى الاعتراف بالأمر الواقع والبيعة.

ولم يكن من الممكن القضاء على الخلال في حينه، نظراً لسعة نفوذه وسطوته السياسبه، فابقاه وزيراً له، حتى تحين الفرصة للتخلص منه(156).

وبعد ان تسلم أبوالعباس زمام الامور، بدأ بخطط للتخلص من أبي سلمة الخلال، شرع باقصاء اتباعه والولاة الموالين له، ثم اتصل بأبي مسلم بوساطة ابي جعفر واثقاً من التخلص من أبي سلمة الخلال. ولقد لعبت المنافسة بين الخلال وأبي مسلم في مقتل الخلال، ويروى ان ابامسلم الخراساني هو الذي اقترح قتله للتخلص منه، وارسل من قتله من خراسان عام 133هـ(157).

وقبل مقتل الخلال أعلن أن الخليفة قد رضي عن الخلال واضفى إليه الهدايا والاكرام، وبعد اغتياله إذ يعيين الناس بأن الخوارج هم الذين قتلوا الخلال(158).

وقد قتل الخلال وهو في قمة مجده السياسي من الاسرة التي عمل طوال عمره لانجاح مهمتها وقال فيه الشاعر سليمان بن مهاجر(159):

ان الوزير وزير آل محمد   أودى فمن يشناك كان وزيراً(160)

وقال آخر:

ويحك من كان منذ ثلاثين عاماً   يبتغي حتف نفسه غير آل

فلما أصبح الناس إذهم بأبي سلمة مصلوباً على دار الامارة(161).

ان محاولة أبي سلمة الخلال هذه كانت تعطي تهديداً مباشراً لأمن الدولة العباسية الفتية وأركانها. ولو تحققت لحدثت اضطرابات كثيرة في الدولة العباسية الناشئة، وربما تغير التاريخ الاسلامي كله نتيجة هذه المحاولة في حالة نجاحها(162). الا ان هذا النجاح الذي كان يبتغيه الخلال لم تنفخ فيه الروح، على الرغم من محاولاته المكثفة لانجاحها، بغية تحقيق مآربه المتمثلة في نقل السلطة إلى العلويين عن طريق حياكة المؤمرات وتخطيط الدسائس من خلال نفوذه المتعاظم الذي تأصلت جذوره بحكم طول فترة خدمته المستغرقة ثلاثين عاماً، فقد عمل هذا الرجل طوال هذه الحقبة في خدمة العباسيين، وشرع بالتأمر عن طريق استغلال مركزه(163) المرموق المتجسد في تعيين ولاة الأقاليم، وارساله الجيش إلى مواقع الفتن والاضطرابات لاخمادها، وقيادته بعض الحملات العسكرية بنفسه ضد بقايا الامويين لاسيما عام 132هـ(164).

الموقف من الحركات المناوئة للعباسيين:

يقول المقريزي: ((واعلم ان السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام، ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في نفسها، بحيث انهم كانوا يسمون أنفسهم الاصرار والاسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وكان من قائميهم سنباذ واشنيس والمقنع وبابك وغيرهم، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشاً وأبومسلم الخراساني... فرأوا أن الكيد على الحيلة أنجح فأظهر قوم منهم الاسلام))(165).

من الملاحظ ان أول ظاهرة تجلب انتباه الباحث في تاريخ هذه الفترة المبكرة من العصر العباسي، هي كثرة الصعوبات التي واجهت العباسيين في الأقاليم الشرقية، ومهما كانت الظروف في الأقاليم الغربية، فان الخطر الحقيقي الذي هدد

العباسيين في أيامهم الأولى كان متأتياً من جهة بلاد فارس. ونود أن نؤكد على خصائص نراها مشتركة في هذه الحركات في بلاد فارس(ايران)(166):

1- لقد امتازت هذه الحركات بنزعة التوفيق، فجمعت آراء اسلمية وايرانية قديمة حاولت ان توفق بينها، في سبيل جمع أكبر عدد ممكن من الاتباع. فكان زعماء وقادة هذه الحركات يظهرون لكل جماعة بثوب جديد ويلوحون لكل كتلة بشعارات تستهويها(167).

2- وهناك صفة ثانية اشتركت فيها هذه الحركات، وهي تبشيرها بمجيء المنقذ المنتظر(168).

3- لقد تعلقت معظم هذه الحركات بذكرى أبي مسلم الخراساني، ذلك لأن قتل الاخير ، قد زاد من شهرته بين الفرس، لاسيما وأن الملاحم والنبوات أخذت تحاك حوله، كشخص ذي طبيعة غير عادية وكمنقذ منتظر، وأصبح رمزاً للحركات الفارسية ضد العباسيين(169).

حركة بهافريد التي حدثت في عهد أبي العباس:

لقد تمتعت خراسان بحكم شبه ذاتي خلال ولاية أبي مسلم الخراساني(132-137هـ)، الذي ضم إلى نفوذه الكثير من الاقاليم الشرقية الأخرى، وقد واجه ابومسلم حركة بهافريد، وكان عليه أن يقضي عليها، ذلك لأنها لم تكن في مصلحة العباسيين ولا الدهاقنة أو رجال الدين الفرس(170).

ولقد كان بهافريد بن فرفاردنان من مواطني زوزان، وهي مدينة تقع بين نيسابور وهراة وكانت معروفة بكونها مركزاً للثقافة وأهل الأدب، وقد جال بهافريد البلدان فزاد من سعة اطلاعه بهذا التجوال. وكان يعرف شيئاً عن الاسلام، فضلاً عن معرفته بتقاليد ديانته القديمة المجوسية(171).

وقد ثار بهافريد قبل اعلان الدعوة العباسية في رمضان 129هـ، ولم يقف ابومسلم الخراساني ضده، بل على العكس استفاد منه أول الأمر بعدّه عاملاً جديداً يزيد في ضعف الامويين في خراسان(172).

وتشير المصادر التاريخية إلى كثرة اتباعه، ولعل ذلك يعود إلى اليأس والتذمر من الاوضاع في خراسان، كما ان قابليته الشخصية على الاقناع والمحاججة لعبت دوراً كبيراً في نجاحه، هذا ونستطيع اضافة عامل آخر لعب دوراً في اتساع حركته في خراسان، وهو عدم مواجهة السلطات الاموية له، كما ان ابامسلم فسح المجال له لكي يدق مسماراً جديداً في نعش الدولة الأموية(173).

تعاليمه: لقد ادعى بهافريد النبوة، كما أظهر كتاباً باللغة الفارسية زعم انه أوحي به إليه، وبشر بأنه خليفة زرادشت الذي اعترف به كنبي، الا ان بهافريد من جهة أخرى رفض بعض تعاليم الزرادشتية وعدل عنها. ومن تعاليمه الجديدة ترك الزمزمة عند الطعام، والامتناع عن شرب الخمور وأكل الميتة، ونبذ عادة الزواج بالامهات والاخوات والبنات وبنات الأخ والخالات والعمات، وأمر بهافريد أتباعه بالصلاة سبع مرات يومياً يتوجهون فيها إلى الشمس ويركنون على رجل واحدة. ومن تعاليمه الأخرى ألا يتجاوز مهر المرأة في اثناء الزواج أكثر من(40)درهماً، والامتناع عن ذبح الحيوان حتى يبلغوا سناً معينة(147).

كما ان بهافريد كان من الداعين إلى مذهب الرجعة، ومغزاها ان الانسان لايموت وانما يختفي في مكان ما(175).

القضاء على حركته: وبعد أن سيطر أبومسلم على نيسابور سنة 131هـ، وجد تشجيعاً من رجال الدين، وقد ارسل أبومسلم شبيب بن رواح من مروالروذ الى خراسان، وتختلف الروايات عن مصيره، منها ماتنص على انه استسلم ولكنه ظل يدعي النبوة فقتل، ومنها ماتقول انه وقع في الأسر في منطقة باذغيس وحمل إلى نيسابور حيث صلب قرب باب المسجد الجامع في مدينة نيسابور، وقد وقع الكثير من اتباعه أسرى بيد الجيش العباسي.

هوامش الفصل الثالث:

1- اليعقوبي: المصدر السابق 2/235-237.

2- فان فلوتن: المرجع السابق، ص 107-119.

3- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/118؛ اليعقوبي: المصدر السابق 2/241؛ المسعودي: المصدر السابق 3/260.

4- اليعقوبي: المصدر السابق 2/24؛ المسعودي: المصدر السابق 3/254؛ فان فلوتن: المرجع السابق ، ص125-126؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص32.

5- الشهرستاني: المصدرالسابق ، 1/87.

6- الطبري: المصدر السابق 7/109-113.

7- مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص 25ومابعدها؛ المسعودي: المصدر السابق 3/252.

8- مؤلف: المصدر السابق ، ص317ومابعدها؛ ابن خلكان: المصدر السابق 1/281؛ الدوري: المرجح السابق، ص26.

9- اليعقوبي: المصدر السابق 2/240؛ بارتولد: المرجع السابق ص 65-66.

10- بتلر: فتوح العرب بمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1933م، ص 193-194؛ الدوري: المرجع السابق ، ص12.

11- بارتولد: : المرجع السابق ، ص 65-66.

12- الدوري: المرجع السابق ، ص12.

13- اليعقوبي: المصدر السابق 2/239-240، 241.

14- الطبري: المصدر السابق 8/228؛ ولهاوزن: المرجع السابق ، ص517؛ الدوري: المرجع السابق ، ص34.

15- الدوري: المرجع السابق ، ص34.

16- الدينوري: المصدر السابق ، ص 355-360؛ بارتولد: المرجع السابق، ص65؛ الدوري: المرجع السابق ، ص28.

17- بارتولد المرجع السابق ، ص65؛ ولهاوزن: المرجع السابق ، ص 534-536.

18- ولهاوزن: المرجع السابق ، ص556؛ الدوري: المرجع السابق ص36؛ لمزيد من التفاصيل يراجع الطبري: ج7/422ومابعدها.

19- الجاحظ: البيان والتبين 3/206؛ الدوري: المرجع السابق ، ص36.

20- ولهاوزن: المرجع السابق ص557؛ الدوري: المرجع السابق ، ص36.

21- الدوري: المرجع السابق ، ص36.

22- نفسه، ص 36-37.

23- فلهاوزن: المرجع السابق ، ص557؛ الدوري: المرجع السابق ، ص36.

24- Arnold, T. The Calipate. (Oxford 1929), p. 18-19;

؛ الدوري: المرجع السابق ، ص37.

25- فلهاوزن: المرجع السابق ، ص562.

26- الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، مطبعة الروم الارثوذكس(القدس) 1885م، ص40.

27- ابو الفرج الاصفهاني: الأغاني 84/16.

28- ابن عبدربة: العقد الفريد 270/3؛ الدوري: المرجع السابق ، ص39.

29- الدوري: المرجع السابق ، ص39.

30- نفسه، ص39.

31- Khuda Buksh- Islamic Civilization, vol. 1(Calcutta)n1929, p. 89-91.

32- الدوري: المرجع السابق ، ص 6-7.

33- الجاحظ: مناقب الترك، ص 6-7؛ الدوري: المرجع السابق ، ص40.

34- الدوري: المرجع السابق ، ص40.

35- Christensen: L Iran Sous Les sassanides Compenhague 1931;

الدوري: المرجع السابق ، ص41.

36- الدوري: نفسه، ص41.

37- نفسه، ص41.

38- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص256.

39- نفسه، ص256؛ فاطمة محمود الجوابرة: موسوعة الخلفاء 203/1.

40- السيوطي: المصدر السابق ، ص 258-259؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 203/1.

41- الطبري: : المصدر السابق 420/7-421.

42- عبدالحميد العبادي: صورة بحوث من التاريخ الاسلامي، الاسكندرية، 1948م، 70/2؛ محمد الخضري: الدولة العباسية، ص48؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص41-42.

43- ابن طباطبا: الفخري في الاداب السلطانية، ص128؛ السيوطي: المصدر السابق، ص257؛ فاطمة محمود: : المرجع السابق 207/1.

44- حسن الباشا: الالقاب، ص60؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص65.

45- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص41-43.

46- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص128؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص256.

47- المسعودي: المصدر السابق 266/3، 278، 293.

48- ابن قتيبة: المصدر السابق 124/2.

49- المسعودي: التنبيه والاشراف، طبعة بيروت 1965م، ص292؛ ومروج، 266/3.

50- السيوطي: المصدر السابق ، ص258.

51- أحمد مختار: المرجع السابق ، ص 41-42؛ حسن الباشا: المرجع السابق ، ص60.

52- ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ص231؛ فاروق عمر: الخلافة العباسية، 30/1.

53- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص128.

54- الزبيري: نسب القريش، القاهرة، 1953م، ص29؛ ابن قتيبة: : المصدر السابق 124/2؛ المقدسي: البدء والتاريخ 67/5.

55- ابن طباطبا: : المصدر السابق ، ص128؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص257.

56- القلقشندي: مآثر الانافة، ص170؛ فاورق عمر: المرجع السابق، 30/1.

57- اليعقوبي: المصدر السابق 243/2؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، القاهرة، 1938م، ص90.

58- الزبيري: المصدر السابق ، ص29؛ ابن قتيبة: المصدر السابق 124/2؛ المقدسي: المصدر السابق 67/5.

59- هلال الصابي: رسوم دار الخلافة، بغداد، 1964م، ص129؛ مؤل مجهول: أخبار، ص409ومابعدها.

60- المقدسي المصدر السابق 73/6.

61- ابن أعثم الكوفي المصدر السابق ، ص231.

62- السيوطي: المصدر السابق ، ص231.

63- اليعقوبي: المصدر السابق ، 243/2.

64- نفسه 211/2؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 211/1.

65- محمد الخضري: المرجع السابق ، ص49-51.

66- اليعقوبي: المصدر السابق 240/2، 245، 257.

67- نفسه، 252/2؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص124.

68- اليعقوبي: المصدر السابق 248/2-249؛ أحمد مختار العبادي: المصدر السابق، ص43.

69- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/121-122؛ محمد الخضري:المرجع السابق، ص51.

70- المسعودي: المصدر السابق 3/262.

71- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/122.

72- محمد الخضري :المرجع السابق، ص51.

73- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص139؛ فاروق عمر المرجع السابق ، 1/38؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 1/210.

74- اليعقوبي: المصدر السابق 2/248.

75- نفسه 2/248؛ فاطمة محمود: المرجع السابق ، 1/210.

76- الطبري: المصدر السابق 7/439-440.

77- ابن قتيبة: المصدر السابق 1/121-122؛ المصدر السابق 2/248؛ المسعودي: المصدر السابق 3/261.

78- اليعقوبي: المصدر السابق 2/48.

79- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/121-122؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص50.

80- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/121؛ المعارف، ص209-210؛ المصدر السابق 7/443.

81- اليعقوبي: المصدر السابق 2/248؛ ينظر: الدينوري: المصدر السابق ، ص531. إذ يقدر عدد قتلى بني أمية بـ(80) رجلاً.

82- اليعقوبي: المصدر السابق 2/248؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص50-51.

83- اليعقوبي: المصدر السابق 2/447-449.

84- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/118-119.

85- نفسه 2/123؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص43.

86- أحمد مختار العبادي :المرجع السابق ، ص43.

87- اليعقوبي: المصدر السابق 2/249؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 1/210، ولمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري في أنساب الاشراف وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح.

88- اليعقوبي: المصدر السابق 2/249؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص51.

89- فاورق عمر فوزي: المرجع السابق ، 1/40.

90- الدينوري: المصدر السابق ، ص530-531.

91- اليعقوبي: المصدر السابق 2/248-249.

92- المسعودي: المصدر السابق 373/3ومابعدها.

93- فاروق عمر: المرجع السابق ، 40/1.

94- الطبري: المصدر السابق 459/7-460.

95- ابن قتيبة: المصدر السابق 131/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق 246/2؛ محمد خضري: المرجع السابق ، ص51.

96- ابن قتيبة: المصدر السابق 131/2؛ فاروق عمر: المرجع السابق، 40/1-41.

97- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص251؛ ابن قتيبة: المصدرالسابق 123/2؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، 1333هـ، 286/6؛ فاروق عمر: المرجع السابق 43/1.

98- ابن قتيبة: المصدر السابق 123/2.

99- نفسه 123/2، اليعقوبي: المصدر السابق 251/2.

100- اليعقوبي: المصدر السابق251/2.

101- ابن قتيبة: المصدر السابق 123/2؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص50.

102- البلاذري: المصدر السابق 73/3.

103- ابن قتيبة: المصدر السابق 123/2.

104- نفسه 124/2.

105- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص200.

106- ابن الأثير: الكامل، طبعة بيروت، 1967م، 320/4-321.

107- الطبري: المصدر السابق 437/7-440.

108- المسعودي: المصدر السابق 228/3؛ محمد سهيل: المرجع السابق، ص184.

109- الطبري: المصدر السابق 425/7؛ المسعودي: المصدر السابق 242/3؛ محمد سهيل: المرجع السابق، ص184؛ ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص362.

110- الطبري: المصدر السابق 437/7-440.

111- نفسه 437/7.

112- محمد سهيل: المرجع السابق، ص189.

113- اليعقوبي: المصدر السابق 240/2؛ الطبري: المصدر السابق 454/7؛ المسعودي: المصدر السابق 272/3.

114- الطبري: المصدر السابق 450/7-451.

115- نفسه 451/7-452.

116- نفسه 7/450-451؛ المسعودي: المصدر السابق 3/272-273.

117- محمد الخضري: المرجع السابق، ص4.

118- اليعقوبي: المصدر السابق 2/220.

119- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/131.

120- اليعقوبي: المصدر السابق 2/250.

121- نفسه 2/250-261.

122- F Imar, The Compostition of Abaasid suppoit B.C.A. Baghdad. 1968.

د.أحمد مختار العباديالمرجع السابق، ص45؛ فاروق عمر: المرجع السابق ص34.

123- الطبري: المصدر السابق 7/443ومابعدها.

124- اليعقوبي: المصدر السابق 2/249؛ الطبري: المصدر السابق 7/446-448.

125- اليعقوبي: المصدر السابق 2/247.

126- نفسه 2/247.

127- فاروق عمر:المرجع السابق 1/45-48؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص44.

128- محمد سهيل: المرجع السابق ، ص150.

129- ابن الأثير: المصدر السابق 1970، 5/40؛ بارتولد: تركستان من الفتح، ص314-316.

130- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص44-45.

131- خليفة بن خياط: المصدر السابق 2/435-436.

132- محمد كرد علي: خطط الشام 5/16.

133- Ostrog orsky, G: Ahistory of Byzantine states, Trans by Hussey. Oxford, 1956, p. 167.

134- اليعقوبي المصدر السابق 2/249-251.

135- نفسه 2/250.

136- Jafri, S.H.M: The early development of Legitimate shism, ph. Dd. So. London 1966.

137- اليعقوبي: المصدر السابق 2/251-252؛ فاطمة محمود: المرجع الصابق1/203.

138- ابن قتيبة: المصدر السابق 2/118؛ اليعقوبي: المصدر السابق 2/246.

139- اليعقوبي: المصدر السابق 2/251-252.

140- نفسه 2/244.

141- نفسه 2/245.

142- ابن قتيبة: المصدر السابق 118/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق 245/2؛ المسعودي: المصدر السابق 270/3.

143- اليعقوبي: المصدر السابق 245/2، فاروق عمر: المرجع السابق 55/1.

144- فاروق عمر: المرجع السابق ، 55/1.

145- المسعودي المصدر السابق 284/3.

146- الجهشياري المصدر السابق ، ص86؛ اليعقوبي: المصدر السابق 418/2؛ ابن خلكان: المصدر السابق 195/2-197.

147- محمد الخضري: المرجع السابق ، ص52-53.

148- ابن قتيبة: المصدر السابق 120/2؛ المسعودي: المصدر السابق 270/3.

149- المسعودي: المصدر السابق 268/3-270.

150- اليعقوبي: المصدر السابق 349/2؛ مؤلف مجهول: العيون 222/3؛ الطبري: المصدر السابق 457/7-458؛ المسعودي: التنبيه، ص339؛ ابن الأثير: المصدر السابق 436/5-437؛ ابن خلكان: المصدر السابق 332/1.

151- الجهشياري: المصدر السابق ، ص86؛ اليعقوبي: المصدر السابق 243/2؛ المسعودي: المصدر السابق 268/3؛ المقدسي: المصدر السابق 67/6؛ الدوري: المرجع السابق، 43/1.

152- اليعقوبي المصدر السابق 248/2.

153- الطبري: المصدر السابق 457/7-458؛ المسعودي: المصدر السابق 269/3؛ ابن الأثير: المصدر السابق 436/5-437.

154- اليعقوبي المصدر السابق 244/2؛ المسعودي: المصدر السابق 268/3.

155- اليعقوبي: المصدر السابق 248/2.

156- المسعودي: المصدر السابق 268/3-269.

157- ابن قتيبة: المصدر السابق 120/2-121؛ اليعقوبي: المصدر السابق 246/2.

158- الجهشياري: المصدر السابق ، ص90؛ اليعقوبي: المصدر السابق 246/2؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص52-53.

159- اليعقوبي: المصدر السابق 246/2.

160- نفسه 246/2؛ المسعودي: المصدر السابق 285/3؛ ابن خلكان: المصدر السابق 195/2-196.

161- ابن قتيبة: المصدر السابق 121/2.

162- ابن قتيبة: المصدر السابق 145/1؛ أحمد عبدالعزيز محمود: الأمن في بغداد خلال العصر العباسي الأول، ص140.

163- مؤلف مجهول: العيون، 3/275-276؛ الطبري: المصدر السابق 155/8، 159؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص148-150؛ الصفدي: نكت الهميان، القاهرة، 1911م، ص310-311.

164- دومنيك سورديل: الوزارة العباسية، جزءان بالفرنسية، دمشق، 1960م، 82/1؛ فاروق عمر فوزي: الجذور التاريخية للوزارة العباسية، بغداد، 1986م، ص17؛ أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق، ص141.

165- المقريزي: الخطط 181/4-190.

166- فاروق عمر: المرجع السابق 64/1.

167- نفسه، ص64.

168- نفسه، ص64.

169- نفسه، ص64.

170- نفسه، ص64.

171- النيروني: الاثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزك، 1913م، ص210، ابن النديم: الفهرست، ص344؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص38.

172- البيروني المصدر السابق ، ص210؛ ابن النديم: المصدر السابق ، ص344؛ الخوارزمي: المصدر السابق ، ص38.

173- البيروني المصدر السابق ، ص210؛ ابن النديم: المصدر السابق ، 483.

174- البيروني المصدر السابق ، ص210؛ ابن النديم المصدر السابق ، ص344، 384.

175- ابن النديم: ا المصدر السابق ، ص344؛ فاروق عمر: المرجع السابق 67/1.

الفصل الرابع

الخليفة المنصور 136-158هـ:

هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن عليّ، وأمّه سلامة البربرية(1) أم ولد(2)، ولُد بالحميمة سنة 101هـ، ولما انتقل أبوالعباس من الحميمة إلى الكوفة، كان فيمن معه، وهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، كان العضد الأقوى والساعد الأشد لأبي العباس في تدبير الخلافة(3).

وفي السنة التي توفي فيها أبوالعباس، عقد لأخيه أبي جعفر(4)، وكان إذ ذاك أميراً على الحج، فأخذ عيسى بن موسى البيعة له بالانبار وبايعه الناس في كل مكان عقب ذلك الاّ عبدالله بن علي عمه ومن معه في اليوم الذي توفي فيه أخوه في 13ذي الحجة سنة 136هـ(5)، واستمر خليفة إلى ان توفي يوم الاحد، سابع ذي الحجة سنة 158هـ، فكانت خلافته 22سنة هلالية إلاّ ستة أيام(6).

ولاية العهد:

في سنة136هـ، عقد أبوالعباس لأخيه أبي جعفر الخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين، ومن بعد أبي جعفر إلى عيسى بن موسى بن محمد بن علي(7)، وكتب العهد بذلك(8). وصيّره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتم أهل بيته معنوناً: ((من عبدالله وليّه إلى آل رسول الله والأولياء وجميع المسلمين(9) و دفعه إلى عيسى بن موسى))(10).وقد ابتدأ ابوالعباس بفعله هذا، وأصبحت ولاية العهد مثار متاعب لخلفاء هذا العصر، ولاسيما بسبب ولاية العهد لأكثر من واحد، واستنفذ التفكير فيها كثيراً في نشاطهم، التي سبق بها في عهد بني أمية، وهي تولية اثنين ولاية العهد، وكانت من أسباب ماأصاب بني أمية من الخلاف والفرقة(11).

وفاة أبي العبّاس:

أُصيب السفاح بالجدري(12) وهو بالانبار، وتوفي بها في 13 ذي الحجة سنة 126هـ (13) ، ودُفِنَ بالانبار في قصره، وبلغت وفاته أباجعفر وهو عائد من

حجته(14)، وبقي في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر(15).

الخلافة العباسية في عصر القوة:

المنصور:

يتفق المؤرخون بأن الخليفة أباجعفر المنصور يعد مؤسس الخلافة العباسية الحقيقي وباني عزها ومجدها وقوتها(16)، يقول عنه ابن طباطبا: ((ان المنصور هو الذي اصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس واخترع اشياء...))(17) ويقول عنه يزيد بن عمر بن هبيرة آخر ولاة الامويين على العراق ((مارايت رجلاً في حرب أو سلم أمكر وأنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور...))(18).

لقد استطاع المنصور أن يقضي على كل الأخطار المحدقة بالدولة الجديدة وان يصفي المتمردين الواحد بعد الآخر، فبعد ان قضى على منافسة عمه عبدالله بن علي العباسي في الشام وتخلص من خطر أبي مسلم الخراساني(19)، ثم قضى على حركات العلويين والخوارج ومؤامرات الفرس المتكررة(20).

وكان لاستحداث عاصمة جديدة للعهد الجديد ببناء بغداد المدينة المدورة مدينة السلام نتائجه المهمة، ولاسيما وان موقعها كان في اقليم عربي هو العراق. وقد لعبت دون شك الاعتبارات السياسية والمناخية والدينية والاقتصادية والادارية دورها في اختيار المنصور موقع بغداد، ولكن الواجب الأول لمدينة السلام، هو ان تكون معسكراً للجند العباسي، ومركزاً لدواوين الدولة الجديدة. واستمر بناء بغداد منذ سنة 145هـ حتى 149هـ مع فترة انقطاع. ثم بنى المنصور الرصافة على الضفة الغربية لدجلة سنة 151هـ وأمر ولي عهده المهدي بالانتقال إليها(21).

المنصور والقضاء على المناوئين:

أولاً: تمرد الراوندية:

ان هذه الفرقة تمردت في خراسان بعد تأسيس الدولة العباسية مباشرة بقيادة عبدالله الراوندي، وقد قضى العباسيون عليها هناك بسرعة وسهولة(22). ومما

يرويه الطبري عن هذه الجماعة قائلاً((ان رجلا يدعى الأبلق، وكان أبرص تكلم بالغلو، زاعماً ان روح عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم في الأئمة واحداً بعد الآخر، وإنهم الالهة، وهؤلاء الغلاة استحلوا المحرمات، فكان رجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على أمرأته، وبلغ ذلك إلى سمع(أسد بن عبدالله) فقتلهم جميعاً في بغداد))(23).

واعتقد بعضهم بحلول روح الله في الخليفة المنصور، وكانوا يأتون إلى القبة الخضراء داخل بغداد، ويقذفون بأنفسهم على الأرض، فيموتون ودعى بعض من هؤلاء بالراوندية، وهم قوم من خراسان، كانوا يقولون بتناسخ الارواح(24)، ويدعون ان الارواح تنتقل من أجساد إلى أخرى بعد إنسلاخها عن موت أصحابها، وحلولها في غيرهم ليعيشوا ماقدرلهم من عمر، وقد أتى بعض منهم إلى قصر الخليفة المنصور، وشرعوا بالطواف حلوله، قائلين هذا قصر ربنا، ويروي عن أبي بكر الهذلي، قوله كنت واقفاً بباب المنصور، فلما خرج الخليفة هتف رجل من الراوندية قائلاً هذا ربنا الذي يرزقنا(25).

وقال المنصور مغتبطاً ان يدخلهم الله عزوجل في النار في طاعتنا، أحب إليّ من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا، ومع ذلك قام الخليفة بحبس بعضهم، فهاج أقرانهم(26)، وذهبوا إلى السجن وأخرجوا نحواً من مئة رجل، فأغلقت ابواب بغداد بأمر من المنصور من قبل رجالات أمن الدولة، وعمت الفوضى، فأمر الخليفة المسؤولين عن حفظ أمن المدينة بالقبض عليهم تمهيداً لمعاقبتهم، فقبض على(200)مئتين منهم وعاقبهم حفظاً على سلامة الخليفة وأمن السلطة معاً(27).

وجاءت هذه المساندة البارزة للخليفة في المحنة من مالك بن هيثم الخزاعي، الذي شكل سياجاً أمنياً غير قابل للاختراق حول قصر الخليفة صائناً إياه من النهب والسلب على أيدي الغوغاء، فضلاً عن معاصرة عثمان بن نهيك في ذات القضية وكذلك معن بن زائدة الشيباني(28). وفي الحقيقة ان حركة الراوندية لم

تقتصر على الشؤون الدينية، بل كان خطرها يكمن فيما تثيره من الفزع والهلع في أوساط الناس والاضطرابات في بنية الأمن الفوقية والتحتية(29).

ثانياً: حركة عبدالله بن علي:

ولي المنصور الخلافة سنة 136هـ، والاخطار لاتزال محيطة به، فكان يدرك شجاعة وطموح عمه (عبدالله بن علي) ومركزه الحصين في جيشه، وان صحت رواية المسعودي بان(اباالعباس) جعل ولاية العهد لمن قتل مروان بن محمد، وعبدالله بن علي هو الذي قتله، فان ذلك يقوي مركزه وألهب طموحه(30).وماكاد عبدالله بن علي يسمع بوفاة أبي العباس، حتى خرج على المنصور فجمع جنده وطلب منهمراً ان يبايعوه، وادعى ان أباالعباس جعل له العهد حين أرسله لمقاتلة مروان بن محمد. فبايعه القواد والجند وكان عامة جيشه من أهل الشام، وهم يثمنون اضطراب أحوال العباسيين، ويأملون بأن ترجع السلطة إليهم، ولذلك تبعوا عبدالله على الرّغم من كرههم الشديد لفظائعه(31). فانتدب المنصور أبا مسلم الخراساني لقتال عمه(عبدالله) وهو يتأمل ان يتخلص من أحدهما وقد عبر وزيره أبو أيوب المورياني عن وجهة نظره حين قال:((نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبدالله بن علي الا أنا نرجو واحدة))(32).ولم يكن أبو مسلم راغباً في قتال عبدالله، إذ يبين اليعقوبي انه قال لكاتبه:((إمضِ إلى خراسان وأخل بين هذين الكبشين فأيهما غلب كتبنا إليه، سمعنا واطعنا فراى أنا قد أنعمنا عليه...))(33). ولكن كاتبه أقنعه بعد ذلك، ثم ان جيش عبدالله كان يضم عدداً كبيراً من الخراسانيين، وكان المنصور يأمل أن يستلهم بارسال أبي مسلم الخراساني. ودارت الحرب بين أبي مسلم وعبدالله (5) شهور تقريباً 136-137هـ، وانتصر أبو مسلم على عبدالله، أما العوامل التي ساعدت على خذلان جيش عبدالله فهي(34):

1- خشي عبدالله بن علي أن يخذله الخراسانيون في ساعته الحرجة، فقتل منهم (17)الفاً فأضعف بذلك جيشه، كما انه شك في اخلاص القائد حميد بن قحطبة وهرب إلى أبي مسلم وبذلك خسر عبدالله قائداً محنكاً ومطلعاً على خططه(35).

2- استطاع أبومسلم الخراساني ان يحول عبدالله في مركزه الحصين بنصيبين، حيث تجنب عبدالله وأدعى انه لم يأت لمقاتلته، وانما جاء والياً على بلاد الشام فخاف الشاميون على أهلهم من أبي مسلم وألّحوا على عبدالله باتباعه، فلما فعل بعد تردد رجع ابو مسلم وخندق في نصيبين(36).

3- قام أبومسلم بحركة عسكرية تمكن من تمزيق صفوف عبدالله، فضم أكثر الميمنة إلى الميسرة، فلما ضم الشاميون أكثر ميسرتهم إلى ميمنتهم هجم أبو مسلم الخراساني بسرعة بالقلب مع بقية الميمنة على ميسرة أهل الشام فشتت نظامهم ودحرهم سنة 137هـ، فهرب عبدالله إلى أخيه سليمان بن علي والي البصرة واختفى عنده، ثم سلمه سليمان سنة 139هـ(37) إلى أبي جعفر المنصور، بعد ان أخذ له اماناً، فسجنه المنصور ثم تخلص منه بعد تسع سنين(38).

لقد حاول عبدالله بن علي العباسي، أن يستغل أهل الشام في تنفيذ مخططاته ضد المنصور، ولكن يبدو ان أهل الشام حاولوا استغلاله ايضاً ليصبروا عن سخطهم من الدولة الجديدة، وأسفهم لزوال دولتهم الدولة الاموية. ومهما يكن من أمر فان كلا الفريقين لم يحقق مايصبو إليه(39).

ثالثاً: تمرد أبي مسلم الخراساني ومصيره:

لقد واجه أبومسلم الخراساني الكثير من الحركات والانتفاضات في خراسان، بعد نجاح الدعوة (الثورة) العباسية، فكانت هذه الحركات تقاد كما راينا سابقاً من دعاة عباسيين، انقلبوا على العباسيين أو شيعة علويين أو راوندية، ولكن ابامسلم خرج من كل ذلك القائد الذي لامنافس له في خراسان، وبدأت نفوذه يتسع خارج خراسان في اقاليم ايران الأخرى، فقد قتل مثلاً والي فارس الذي عينه الخليفة ابوالعباس وعين بدله والياً جديداً(40)، فكانت قراراته كما راينا سابقاً تتصادم مع قرارات وأوامر الخليفة، ولذلك لم يعد الخليفة أبوالعباس وأبوجعفر يتحملان سلطته الواسعة(41). لقد اصاب كتاب الفخري كبد الحقيقة حين صور العلاقة بين الخليفة المنصور وأبي مسلم، فقال ((وكأن المخترع للدولة (أي ابامسلم) يكون عنده من

الدالة والتبسط ما تأنف منه نفوس الملوك (أي المنصور) فكلما زاد تبسطه زادت الأنفة عندهم حتى يوقعوا فيه.

فقد ادعى أبومسلم بانه صانع الدولة العباسية، ولولاه لما قامت(42) لها قائمة كما أنه غدا أقوى شخصية في خراسان بعد تخلصه من كبار رجالات الدعوة العباسية، وكان تعيين الخليفة أبي العباس(43) له والياً على خراسان بمثابة اعتراف بأمر واقع فعلاً. واستطاع ابومسلم الخراساني خلال مدة قصيرة ان يتخلص من منافسيه، فقتل شيبان بن سلمة الحروري، وشيخ الأزد علي بن جديع الكرماني. وفي الوقت الذي زار فيه الأمير أبو جعفر خراسان في خلافة أخيه أبي العباس، قتل ابومسلم نقيب النقباء سليمان بن كثير الخزاعي وابنه دون الحصول على موافقة أبي جعفر، أو أخذ موافقة الخليفة(44).

كما ان ابامسلم تخلص من دعاة آخرين لهم مكان حافل في الدعوة العباسية، وهكذا توطدت سلطته في خراسان بعد أن صفّى كافة الشخصيات القوية أو الطموحة في خراسان واقاليم المشرق الاسلامي(45).

لقد كان رأي ابي جعفر في أبي مسلم الخراساني يتمثل في قوله لأخيه الخليفة: ((لست خليفة ولا آمرك بشيء ان تركت ابا مسلم ولم تقتله))(46). لقد اقترح ابو جعفر على أخيه الخليفة أبي العباس عدة مرات ضرورة التخلص من أبي مسلم بسبب ظهور طموحاته الخطرة وتآمره على سلامة الخلافة العباسية(47) وكان آخر هذه الاقتراحات حين زار أبومسلم الخراساني البلاط العباسي في العراق سنة 136هـ ومعه الأموال والرجال والخزائن، وطلب امارة الحج، ولكن الخليفة اعتذر لأبي مسلم بذريعة ان أخاه أباجعفر سيكون أميراً للحج(48). لقد حاول أبو العباس اغتيال أبي مسلم الخراساني عدة مرات، كان آخرها يوم مر أبومسلم بمدينة الهاشمية يريد الحج سنة 136هـ، إلا ان الخليفة عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة وأرغم الحاج أخاه أبا جعفر على قتله(49).

وفي طريق الحج كان موكب أبي مسلم يضاهي موكب أبي جعفر في أبهته وعظمته واسرافه، وفي طريق الرجوع حدث ان توفي الخليفة أبوالعباس موصياً لأبي جعفر بالخلافة(50)، ولكن أبامسلم وصل بعد وصول نبأ وفاة الخليفة أبي العباس حيث تأخر أبومسلم في البيعة لأبي جعفر خليفة جديداً. وقد راودت أباجعفر فكرة قتل أبي مسلم قبل الوصول إلى العراق، ولكنه عدل عنها بعد أن استشار صحابته بذلك، لأنه كان ازاء خطر عمه(عبدالله بن علي) في الشام، حيث كان ابوجعفر يتوقع ان يثور هذا العباسي الطموح، وكذلك خطر محمد ذي النفس الزكية في الحجاز(51). وعلى الرغم من كثرة الروايات وتناقضها، فالظاهر أن ابامسلم تأخر في إعطاء البيعة لأبي جعفر، الا انه بعد ان بايعه أبدى استعداده للمساعدة تجاه الاخطار المحتمل حدوثها، وقد أمره الخليفة أبو جعفر بالاسراع إلى الكوفة والسيطرة عليها قبل حدوث الشغب.

وفي الكوفة يظهر أبومسلم لأول مرة نواياه الخطرة تجاه المنصور، فيعرض على ولي العهد عيسى بن موسى، ان يتعاونا سوية لتنحية الخليفة وتنصيب عيسى خليفة المسلمين، وقد أنكر عيسى ذلك وحذره من مغبة الخطة وفشل المشروع، على أن الظروف التي واجهت أباجعفر كانت حرجة ولم يكن هناك مجال للقضاء على أبي مسلم الخراساني، فقد تمرد عبدالله بن علي في الشام وقضى أبومسلم على تمرده، وكان ارسال أبي جعفر لأبي مسلم لمواجهة عبدالله حركة بارعة ذلك لأن الخليفة سينتفع إذا قتل أي منهما، أبومسلم أم عبدالله(52).

على الرغم من ان ارسال أبي مسلم إلى الشام حال دون رجوعه إلى خراسان مركز نفوذه وقوته، كما وان الخليفة لم يعط أبامسلم القيادة الكاملة لكل القوات العباسية في الشام، بل أرسل كتائب أخرى بقيادة الحسن الطائي وصالح بن علي العباسي، وكان هذان القائدان غير مرتبطين بأبي مسلم، كما كانت لديهما أوامر بمراقبة تحركات ونوايا أبي مسلم(53). وبعد القضاء على حركة تمرد عبدالله بن علي وهروبه إلى البصرة، نوى أبومسلم الرحيل إلى خراسان، ولكن الخليفة

عاجله بارسال وفد يحصي غنائمه وأمواله التي حصل عليها من عبدالله، وقد أثار هذا العمل أبا مسلم وقواده، ورفضوا تسليم الأموال(54) على اعتبار انها غنائم توزع على المقاتلة، وتكلم بكلمات نابية على الخليفة(55)، ولكن الأخير تصرف بحذر وذكاء، فكتب إلى أبي مسلم يعلمه انه لم يكن في نيته أخذ الغنائم، بل انه تنازل حتى عن حصة بيت المال(الخمس) وانه سيرسل جوائز معينة إلى القواد بمناسبة الانتصار، وطلب الخليفة من أبي مسلم مقابلته لأمر مهم لم يذكره(56).

أما أبومسلم الخراساني فقد عزم على الرحيل وكتب إلى الخليفة: ((انه لم يبق لأمير المؤمنين اكرمه الله عدو الاّ امكنه الله منه، وقد كنا نروي عن ملوك ساسان ان أخوف مايكون الوزراء، إذا كنت الدهماء فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء بعهدك ماوفيت حريون بالسمع والطاعة، غير انها من بعيد تقارنها السلامة(57)، فان ارضاك فانا كأحسن عبيدك وان أبيت الا ان تعطي النفس ارادتها نقضت ما أبرمت عن عهدك ضناً بنفسي))(58) فأجابه الخليفة (قد فهمت كتابك وليس صفتك صفة اولئك الوزراء المهششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم) وارسل أبو جعفر هذه الرسالة مع كبار البلاط وبعض الهاشميين الذين طلبوا منه ان يقوم إلى الخليفة حيث ولاه الشام ومصر، فأجاب ابومسلم: ((هويوليني الشام وخراسان لي))(59) ولم يكن مقتنعاً بنوايا المنصور، ولذلك استمر في سفرته إلى خراسان(60).

ان هذه اللحظة الحاسمة من العلاقة بين الخليفة وأبي مسلم شهدت سلسلة جديدة من المناورات السياسية التي ضمتها الرسائل المتبادلة بين أبي مسلم والخليفة، على ان الذي باغت نظرنا في هذه الرسائل الجديدة، هي تلك التي أرسلها أبومسلم لغرابتها في الألفاظ والنص، وعلى الرغم من قوة اسنادها فان طبيعة متنها تجعلنا نشك في صحتها، ذلك لأن أبا مسلم يهاجم في هذه الرسائل ابراهيم الامام مفجر الدعوة العباسية، ويصفه بالتطرف وبأنه حرف القرآن طمعاً في الدنيا ومكاسبها، وأنه أباح له القتل بالشك من أجل انجاح الدعوة والتخلص من الخصوم وتثبيت

سلطان العباسيين، وفي رواية أخرى في سبيل تثبيت حكم العباسيين وطمس حق العلويين(61). وانه لمن الصعب تصور أبي مسلم وهو يكتب مثل هذه الرسالة، ثم يسمح لنفسه بعدها بمقابلة الخليفة، ولكنه إذا كانت هذه الرسالة صحيحة، فهي تظهر أبامسلم في حالة نفسية عصبية لايحسد عليها، إذ انه شعر بأن كرامته قد جرحت بعدم تقييم الخليفة لموقفه في اثناء الدعوة(الثورة) وقضائه على أعداء الدولة وآخرهم عبدالله بن علي، لاسيما وأن ابامسلم كان معتزاً بنفسه وباعماله في سبيل الدعوة، ولذلك اندفع إلى كتابة هذه الرسالة وهو في حالة شديدة من الغضب(62). ولكن الخليفة المنصور ظل رابط الجأش مسيطراً على أعصابه، حذراً في اتخاذ المواقف لئلا يجعل أبامسلم يفلت من قبضته، وقد استطاع في نهاية المطاف باستغلاله بعض أصحاب أبي مسلم مثل عيسى بن موسى وجرير بن يزيد بن جرير والأخير تمكن، ان يقنع أبامسلم بضرورة مقابلة الخليفة في موقع المدائن(63). ولم يجد أبومسلم الخراساني طريقاً آخر الاّ الطريق الذي يوصله إلى الخليفة، لاسيما بعد أن سد أبوجعفر في وجهه طريق خراسان بتعيينه والياً جديداً هو خالد الذهلي الذي أرسل رسالة إلى أبي مسلم يعلمه فيها(64)

بأن الطاعة خير من المعصية ويحذره من العودة إلى خراسان دون موافقة الخليفة، وهكذا كان لابد لأبي مسلم ان يقابل الخليفة، لقد كانت المقابلة الأولى بين الخليفة وأبي مسلم ودية، وفي المقابلة الثانية كان الخليفة قد هيأ رئيس الحرس عثمان بن نهيك وشبيب بن رواح جماعة من الحرس لقتل أبي مسلم بعد أن يأمرهم بذلك(65).

أما ماحدث في المقابلة الأخيرة فيختلف المؤرخون فيه، ونود ان نشير إلى ان المصادر تزخر بالروايات الموضوعة ذلك لأن المؤرخين ذهبوا مذاهب شتى في تفسير سبب مقتل أبي مسلم، ووضعوا تفسيرات متنوعة من نسج خيالهم، ثم ان حب الرواة العرب لعنصر الاثارة في رواياتهم جعلهم يضفون كثيراً من الزركشة على الحوادث، وكانت بعض الوقائع التي اشار إليها المؤرخون فيما يخص المقابلة

تستند مثلاً إلى احداث وقعت في السابق، وسببت غضب الخليفة على أبي مسلم ولكن لانستطيع الجزم انها كانت سبباً مباشراً لقتله كما يزعم هؤلاء الرواة. ان العدواة بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم ترجع إلى أيام أبي العباس، فقد أشار أبوجعفر على الخليفة بقتل أبي مسلم عدة مرات، والواقع ان خليفة مثل المنصور لم يكن ليحتمل والياً قوياً مثل أبي مسلم(66).

وقد يكون المستحسن ان نعطي صورة لما يصوره لنا المؤرخون عن طبيعة المقابلة والإتهامات التي وجهت إلى أبي مسلم:

1- لقد ذكّر الخليفة ابامسلم بتحريض عيسى بن موسى على التمرد ضده في الكوفة.

2- عاتبه على تقدمه محله في الحج.

3- لقد عاتب أبا مسلم لعدم تحتيه له وسلامه عليه، حينما زار الأخير البلاط في عهد أبي العباس.

4- وبخه لأنه قدم اسمه على اسمه في بعض المراسلات(67).

5- زجره لأنه ناداه باسمه لابكنيته في بعض المناسبات.

6- تهجم عليه لأنه إدعى النسب العباسي(68) من نسل سليط بن عبدالله بن العباس(69).

7- وبخه لأنه أراد خطب إمرأة عباسية، وهي آمنة بنت علي ابن عمة الخليفة(70).

8- عاتبه لأنه تأخر عليه في البيعة بعد سماعه بوفاة ابي العباس.

9- ذكره الغنائم التي حصل عليها بعد قضائه على عبدالله بن علي بن العباس في الشام ولاسيما مخلفات عبدالله العباسي نفسه(71).

10- وهناك اتهامات أخرى غير مهمة من ناحية الواقع التاريخي، وفي نهاية المقابلة وجه الخليفة تهماً مهمة إلى أبي مسلم وهي:

أولاً: قتله سليمان بن كثير الخزاعي مع كل خدماته في سبيل الدعوة، وقتله أفلح بن مالك الفزاري أحد الشيوخ الموالين للدولة العباسية. وأجاب أبومسلم بانه شك في سليمان الخزاعي وقتله استناداً إلى السلطة المخولة إليه من ابراهيم الامام(72).

ثانياً: واجهه الخليفة بالسؤال المحرج، لماذا قررت السير إلى خراسان من دون استئذاننا بذلك، ولم يكن لأبي مسلم جواب الا ان يذكر المنصور بخدماته في سبيل انجاح الدعوة، فأجابه الخليفة بأن العباسيين بما لهم من مكانة وكفاءة، هم الذين أوصلوا الدعوة إلى النجاح وليس لأبي مسلم شيء فإنهم لو أرسلوا مكانه أمة أو أمرأة إلى خراسان لقامت بمثل ماقام به أبومسلم(73). لقد ذكر المؤرخون كل هذه التهم، ولكن يظهر أن القليل منها كان موضوع مناقشة في المقابلة الأخيرة، ولو ان معظمها كان صحيحاً من الناحية التأريخية، وبما كان من العوامل المساعدة التي ألبت الخليفة على أبي مسلم، لكن قتل أبي مسلم جاء بسبب تعاظم نفوذه بعد نجاح الدعوة في خراسان والاقاليم الشرقية(74)، وحتى في البلاط العباسي، حيث كان له جواسيس مثل أبي الجهم بن عطية الباهلي، ولذلك قال الخليفة له قبل قتله ((ولقد ارتقيت مرتقياً صعباً))(75) ووصفه قائلاً:

لقد اكتنفتك خلال ثـلاث جلس عليك محذور الحمام

خلافك وامتناعك ترتميني وقودك للجماهير العظـام

وقتل أبومسلم في نهاية المقابلة، وقال للخليفة قبل قتله (استبقني لعدوك)(76) فقال له الخليفة (وأي عدو أعدى لي معك)، وقد رمى رأسه على أتباعه مع النقود فلن يحرك أحد منهم ساكناً وقال احدهم: لقد بعنا سيدنا بالدراهم(77).

بعد ان تخلص الخليفة من أبي مسلم علق على ذلك قائلاً: (إذا مد إليك عدوك يده فاقطعها ان استطعت والاّ فقبلها).

والجدير بالذكر ان التهم التي القيت على أبي مسلم بعد مقتله من أنه كان ذا ميول علوية أو ينادى بآراء متطرفة بعيدة عن الاسلام، أو أنه كان زنديقاً ليس لها أساس الصحة، فقد بقي أبومسلم موالياً للعباسيين، حتى خلافة أبي جعفر، وإذا

كانت هذه التهم صحيحة، فانها يجب ان توجه أولاً إلى العباسيين قبل ان توجه إلى أبي مسلم الوالي المخلص للقضية العباسية(78).

لقد انتهت حياة أبي مسلم ولكن ذكراه بقيت ولاسيما في الأقاليم الايرانية، فالكثير من هذه الحركات في هذه المناطق، رفع شعار الثأر له كوسيلة لتبرير التمرد ضد العباسيين. وأكثر من ذلك فقد أصبح اسمه اسطورة نسجت حولها قصص مبالغ فيها، كما واصبح المنقذ الذي سيعود إلى هذه الارض ليخلص العناصر المتذمرة والضعيفة من العباسيين، وهذا بطبيعة الحال لايعني ان أبامسلم كان يشارك هذه الحركات مبادءها وأهدافها، أو أن له صلة شخصية بهذه الجماعات ولكن هؤلاء الناس الضعفاء والمحرومين كانوا بحاجة إلى قائد رمزي، يكون بمثابة المنقذ لهم من التهم إلى حالة أفضل، ولم يكن هناك أحسن من أبي مسلم زعيماً سياسياً منقذاً منتظراً(79).

المنصور والعلويون من آل الحسن:

لم ينس العلويون حقهم في الخلافة منذ مقتل الحسين في كربلاء عام 61هـ. ولما قامت الدعوة العباسية، انخرط بعضهم فيها ظناً منهم بأنها طالبية. وعندما انتهت الدعوة(الثورة) بانتقال الخلافة إلى آل العبّاس، رأى هؤلاء، ولاسيما الفرع الحسني، أن العبّاسيين خدعوهم، واستأثروا بالخلافة مع أنهم أحق بها. وحاول العبّاسيون من جانبهم، في مستهل حياتهم السياسية، أن يتعاونوا مع العلويين لإعطاء دولتهم الناشئة الفرصة لتثبيت أقدامها، ثم بدأ الفريقان في التباعد شيئاً فشيئاً(65). والواقع أن أول الخارجين من العلويين على حكم العباسيين، كان محمد بن عبدالله بن الحسن المحض المعروف بالنفس الزكية، وقد انطلق من المدينة المنورة، ثم أخوه ابراهيم الذي خرج في المشرق، ودانت له البصرة والاهواز وفارس والمدائن، في حين ركن الامام جفعر الصادق، وهو من الفرع الحسيني فانه لم يشترك في الحركة ضد العباسيين، بل اتخذ سياسة التريث(التقية) إلى أن

يأتي الوقت المناسب. ولهذا كان الامام جعفر الصادق موضع اطراء المنصور في الخطابات التي تبادلها مع النفس الزكية(67).

ولم يخف المنصور شكوكه وامتعاضه من آل الحسن للأسباب الآتية:

1- استمرار محمد ذي النفس الزكية وأخيه ابراهيم ورفضهما البيعة للعباسيين واختفائهما عن الانظار(68).

2- ادراك الخليفة المنصور بأن الحركة العلوية أصبحت رمزاً للمعارضة ضد العباسيين، ذلك لأن الكتل المستاءة التي أخفق العباسيون في كسبها نقلت ولاءها إلى العلويين، وأخذت تدعو لهم سواء كان ذلك باخلاص أو بمجرد التظاهر بولائهم واتخاذهم واجهة سياسية.

3- ان ادعاء محمد بن عبدالله بن الحسن المحض(محمد النفس الزكية)، بأنه المهدي المنتظر شكل خطراً كبيراً على العباسيين، ذلك لانه جذب إليه كثيراً من الجماهير المعدمة والضعيفة سواء كانت علوية أوغير علوية في ميولها وأهوائها. باعتبار ان المنقذ هذا سينقذها من وضعها السيء وحالتها التعسة(70).

ولقد كانت هذه المناورة من محمد النفس الزكية بارعة، ذلك لأن الطبقات الفقيرة أو الضعفاء من الناس كانت قد فقدت رجاءها في الدعوة العباسية وخلفائها باعتبارهم منقذين، وأخذت تنظر بعين دعم وارتياح إلى حركة جديدة ومنقذ جديد، وكان العلويون هم البديل الحقيقي والطبيعي للعباسيين، وأصبح محمد النفس الزكية بديلاً للمنقذ العباسي(71).

وهكذا فان خيبة أمل المعدومين والضعفاء من الناس بالعباسيين جعلهم ينخرطون في صفوف المنقذ الجديد النفس الزكية، لا بعدّه علوياً أحق من العباسيين بالحكم، ولكن بعدّه مهدياً ينتظرون منه أن يشيع ويحقق آمالهم بعد فشل العباسيين في تحقيقها(72). وكان الخليفة المنصور يشك في نوايا محمد النفس الزكية ويخشى من طموحه في الخلافة، وقد ازدادت شكوكه عندما حج سنة 140هـ، وتخلف محمد وأخوه ابراهيم عن المثول بين يديه، وكانا يقيمان في

الحجاز في مكان غير معروف ولا يعرف فعالياتهما عدا الحسن بن زيد بن الحسن الذي حذر المنصور من نيات محمد النفس الزكية(73).

لهذا اهتم المنصور بالبحث عنهما واستطلاع أخبارهما، فأوعز إلى ولاته في الحجاز بمراقبة إبني الحسن والتضييق عليهما. وحينما حج المنصور سنة 144هـ، قبض على آل الحسن جميعاً، وأرسلهم إلى العراق وسجنهم بالكوفة، لأنهم يتسترون على المكان الذي يوجد أو يختفي فيه محمد النفس الزكية. فأما عن مصيرهم فالاساطير والروايات المصطنعة والحقيقية(74) كثيرة ومتشابكة، بحيث يعذر التفريق بينها، على ان المؤكد هو مقتل ثلاثة، منهم عبدالله بن الحسن المحض ومحمد بن عبدالله العثماني ومحمد بن ابراهيم بن الحسن بأمر من الخليفة المنصور. أما الباقون فماتوا في السجن بسبب سؤ معاملتهم، ولم يطلق سراح غير الخطرين سياسياً بعد فشل حركة محمد النفس الزكية(75).

ورأى المنصور بعد ذلك أن يستعمل أساليب الدهاء، ليعجل من ظهور محمد النفس الزكية بحركته قبل أن يستفحل خطره. فدس له عيوناً يتظاهرون بأنهم اتباعه ويوهمونه بأن دعوته قد عمت البلدان. كذلك أوعز الخليفة إلى قواده بأن يكتبوا إلى محمد ويخبرونه بأنهم معه ويدعونه إلى الظهور(76).

وانخدع محمد بهذه الحيلة إذ كان يقول لأتباعه: ((لو التقينا لمالَ إليّ القواد كلهم))(77). وفي أول من شهر رجب عام 145هـ خرج محمد النفس الزكية من مكمنه، وأعلن عن حركته في المدينة المنورة(78)، وكان متفقاً مسبقاً ((مع أخيه ابراهيم على أن يتحرك هو الآخر، وفي الوقت نفسه بمدينة البصرة في جنوب العراق، حتى يقع الخليفة المنصور بين نارين. وأتتهم كتب أهل البلدان ووفودهم، فأخذ رياح بن عثمان المرّيّ عامل أبي جعفر فأوثقه بالحديد وحبسه... فلما بلغ أباجعفر أراد الخروج إلى المدينة المنورة، ثم خاف أن يدع العراق مع مابلغه من أمر ابراهيم، فوجه عيسى بن موسى الهاشمي ومعه حميد بن قحطبة الطائي في جيش عظيم، فصار إلى المدينة، وخرج محمد إليه مع أصحابه، فقاتلهم في شهر

رمضان، ومضى أصحابه إلى المجلس فقتل رياح بن عثمان))(79) ثم خطب خطبة يندد بها المنصور(80).

قال أبو الشدائد لما ظهر محمد النفس الزكية وتوجّه إليه عيسى بن موسى:

أتتك النجائب والمُقْرَباتُ بعيسى بن موسى فلا تَعْجَلِ(81)

ان الرسائل التي تبودلت بين محمد النفس الزكية وأبي جعفر المنصور ربما كانت أهم وأطرف وجه للعلاقات العباسية العلوية في العصر العباسي الأول لأنها(82):

أ- عكست آراء زعيمين متنافسين بشأن مسألة شائكة هي الخلافة.

ب- لقد كانت الرسائل ذات أهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين إذ بينت وجهة نظرهما ودافعت عنها بشدة(83).

ج- اعتبرت الرسائل بمثابة اعلان للحرب وتبرير للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم(84).

وقامت الحرب بين الفريقين، وكان وضع محمد النفس الزكية في الحجاز سيئاً للغاية من الناحية الاستراتيجية، لان الحجاز قطر قاحل فقير في غلاته ورجاله وسلاحه، يضاف إلى ذلك أن المنصور قد قطع عنه الاقوات والمؤن الواردة إليه من الشام ومصر، وطمر خليج أمير المؤمنين في مصر، وهي القناة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر لامداد الحجاز بالغلال. هذا إلى جانب أن محمداً حفر حول المدينة المنورة خندقاً اقتداء برسول الله عام 5هـ في غزوة الاحزاب (الخندق)، فاتم بذلك الحصار الاقتصادي عليه. فلما وصل الجيش العباسي تخلى عن محمد النفس الزكية، كثير من اتباعه فضعفت قوته بهزيمته وقتله وارسال رأسه إلى المنصور في منتصف رمضان سنة 145هـ(85).

ثم تحول القائد عيسى بن موسى بعد ذلك إلى قتال ابراهيم في جنوب العراق. وهناك عند قرية باخمري بالقرب من الكوفة التقى الفريقان في معركة حاسمة هزم فيها الجيش العلوي وقتل ابراهيم في أواخر ذي القعدة سنة 145هـ ولذا سمي

بشهيد باخمري(86) ((وأخذ رأسه، فوجه به إلى أبي جعفر المنصور وهي في الكوفة، فوضع بين يديه، واذن للناس فجعلوا يدخلون، فينالون من ابراهيم واخيه وأهله، ... وأتاه الحسن بن زيد، فعرض عليه الرأس فلما رآه استنقع لونه وتغير وجهه، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد قتلته صواماً قواماً...))(87).

ونظم الشاعر دعبل بن علي الخزاعي الموضع الذي قتل فيه ابراهيم المعروف بباخمري الذي يبعد مسافة ستة عشر فرسخاً من الكوفة من أرض الطف فقال في قصيدة له، ونقتبس عدداً من الابيات لتبيان موقفه(88):

مدارس آيات من تلاوة　　　ومنزل وحي مقفر العرصات

قبور بكوخان وأخرى بطيبة　　　وأخرى بفخ يالها صلوات

وأخرى بأرض الجوزجان محلها　　　وقبر بباخمري لدى الغربات

هذا مااتصل بأحداث الاخوين، وهنا تنبغي الاشارة إلى أن الامام مالك بن أنس، امام دار الهجرة(المدينة) اتهم بالميل إلى حركة(دعوة) محمد النفس الزكية، وأنه كان يفتي أهل المدينة خلال هذه الدعوة، بأنه ليس على مكره يمين أو طلاق. وهو يقصد بذلك أن من بايع أباجعفر المنصور مكرهاً، فهو في حل ببيعته وله ان يبايع محمداً النفس الزكية. وقد لحق مالك أذى كبير من جراء ذلك، اذ ضربه العباسيون بالسياط ومنعوه من الخوض في هذا الحديث(89).

وعلى الرغم من ان الخليفة المنصور تبرأ من هذا العمل، وألقى تبعته على والي المدينة جعفر بن سليمان فان هذا الحادث جعل لمالك بن أنس ومذهبه المالكي مكانة مرموقة في بلاد المغرب والأندلس(90). وتشير الروايات التاريخية ان كره مالك للعباسيين، كان من الأسباب التي جعلت الأمويين في الأندلس يعتنقون المذهب المالكي، ويجعلونه المذهب الرسمي لدولتهم وذلك لعدائهم الشديد للعباسيين(91). وماأقدم الخليفة على قتل الرمزين العلويين الا لخطورتهما على أمن الخلافة، لان بقاءهما كان يؤدي بالضرورة إلى خلق أوضاع أمنية غير مستقرة تدفع الخلافة العباسية ثمنها غالياً، وانطلاقاً من الشعور بصيانة اركان أمن الدولة

العباسية من التقويض المحتمل، عمد المنصور إلى تحسين مدينته بغداد، بشكل يجعل من الصعب اختراقها، والدليل الذي يترجم هذا الشعور، هوانه لما حمل إلى المنصور رأس ابراهيم عام 145هـ، ورآه قال: ((لقد ثبت هذا الرأس دولتنا بعدما أضعفها))(92).

الا ان هذا الاجراء لم يؤدِ بالضرورة إلى انهاء مشاكلاته مع العلويين، ومن المعلوم ان لكل فعل رد فعل، وكان رد الفعل هذا تفاقم السخط وتعاظم النقمة، فبلغ الغيظ أقصى مداه، في أوساط العلويين ضد العباسيين(93)، ولاسيما في بغداد، تمثل في تأليب الناس عليهم في الاسواق واثارة الشغب واحداث الفوضى.

غير ان هذه الفعاليات والنشاطات المناهضة، لم تكن خافية على الخليفة المنصور، فتدارك الوضع الأمني، ورد الصاع صاعين ضد هؤلاء مستعيناً بعيونه ورجالات سلطته، فالقى القبض على يحيى بن زكريا، احد الميالين للعلويين عام 157هـ، وكان هذا الرجل يشغل وظيفة المحتسب في بغداد، فقتله بهدف بث الرعب في قلوب المناوئين والمهددين للخلافة العباسية، وقطع دابر كل موظفي الدولة من ذوي المراتب الحساسة(94)، كيحيى المحتسب، فبقاء هذا النمط من العناصر في وظيفة خطيرة سينخر بنية السلطة العباسية من الاساس.

ويلاحظ ان المنصور كان يكابد تناقضاً صارخاً لامزيد عليه بين أقواله وأفعاله، لأنه يقول بلسانه ماليس في قلبه، فهو يوصي ابنه بكل ماهو عدل وانصاف واستقامه، ويأتي بنقيضها، والدليل على ذلك قيامه بقتل معارضيه ايا كان اتجاههم ومشاربهم مادامت مخالفة للسلطة واخفاء بعض القتلى منهم في غرف مغلقة، بعيداً عن أنظار كائن من كان من رجالات دولته(95)، بل حتى ولده الذي هو ولي عهده(96)، وكان يتبع اساليب بالغة العنف والقسوة مع خصومه، فقد روى كل من الطبري وأبي الفرج الأصفهاني ان(محمد إبن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب) أحد رموز العلويين يقال له الديباج الأصفر حضر بين يدي الخليفة، فقال ماجاء بك قال لتحبسني مع أهالي المحبوسين لديك، فغضب عليه غضباً شديداً،

وقال له أما والله لأقتلنك قتلة ماقتلتها أحداً من أهل بيتك، فأمر الخليفة بوضعه في اسطوانة ثم بنى عليه وهو حي(97).

لقد نجم رد فعل المنصور من قوة ايمان هذا الرجل العلوي بمبدئـه وتمـسكه الشديد بعقيدته، فآثر الموت مع أهله على الحياة من دونهم، فأقدم على اختيار هذا المصير بلا خوف من الردى، لامتلاء قلبه بما يؤمن ويعتقد به، تحـدياً لـسلطة المنصور وتشجيعاً لموقف أصحابه، وكان الخليفة يتوجس الخيفـة مـن هزيمـة وصرامة هؤلاء ان بقاءهم خارج قبضة السلطة يثير نقمة الناس عليه ويضعضع أركان سلطته(98).

ان قضية الديباج الأصفر، قد فجرت مكنونات حقد العلويين في بغداد، وخلقـت اجواء مشحونة بحملات الاستنكار والاحتجاج والسخط فغير المنـصور اسـلوب تعامله مع العلويين، إذ حبس (الحسن بن معاوية بن عبدالله بن أبي جعفر بن أبي طالب)(99)، وظل في الحبس إلى ان مات الخليفة المنصور، فاختار الابقاء عليـه في السجن حياً، لامتصاص هذه النقمة من جهة واحتواء خطورته فيما لو بقي بين ظهراني أصحابه من جهة أخرى(100).

فضلاً عن الحالات التي سبق ذكرها، هناك حالات أخرى ضربنا بها صـفحاً، تجنباً للاسهاب والإطالة واكتفينا على سبيل الحـصر لا القـصر، باحـدى هـذه الحالات المتمثلة في الايقاع برجل من ولد الأشتر النخعي، إذ وشوا به عند الخليفة المنصور، فذكروا له انه يميل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبـي أعظـم مـن نقمتك، وعفوك أعظم من ذنبي ان كنـت مـذنبا(101)،فـلان قلـب المنـصور متأثراًبسحر بيانه وعذوبةلسانه فأخلى سبيله بعد العفو عنه(102).

يستشف من هذا ان جهاز أمن الخليفة كان محيطاً بكل مايجري ويـدور بـين الرعية في بغداد، ولما ارتاب في ميل رجل إلى العلويين وتعصبه لهـم، أخبـر الخليفة بأمره، وبعدما دار من الحديث بينهما إستقر رأي الخليفة على براءته مـن تلك الوشاية وعفا عنه واطلق سراحه(103).

بناء مدينة بغداد:

ولما جاء الخليفة المنصور سكن الهاشمية لمدة قصيرة، ثم بنى مدينة أخرى سماها الهاشمية(104) أيضاً وهي تقع بين الحيرة والكوفة، ثم تحول إلى الكوفة، اثر حركة قامت بها جماعة من الراوندية سنة 141هـ، هددت هذه الحركة حياة المنصور نفسه بالخطر(105)، فكرهها وتحول إلى الكوفة ثانية، لانه كان عليماً بأن هذه المدينة العصية لايمكن ان تواليه، لقوة الميول العلوية فيها، ولهذا فقد فكر في بناء مدينة أخرى، ترتبط بالاسرة العباسية الجديدة، وتحقق المزايا التي ينشدها الخليفة في عاصمة لدولة مترامية الاطراف(106).

وقام الخليفة المنصور نفسه بارسال وفود خاصة إلى مناطق مختلفة، للتعرف على أحسن موقع لبناء عاصمته العتيدة، وقد رشح بعض مستشاريه مدينة بارما التي تقع إلى الشمال، فذهب المنصور وأعجب بالمكان(107). الا انه قال ((صدقتم هو هكذا ولكنه لايحمل الجند والناس والجماعات، وانما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم، مع موافقته لي ولاتغلو عليهم في الاسعار، ولاتشتد فيه المؤونة، فإني ان اقمت في موضع لايجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار. وقلت المادة واشتدت المؤونة، وشق ذلك على الناس، وقد مررت في طريق على موضع فيه، مجتمعة هذه الخصال، فانا نازل فيه وبائت فيه، فان اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه))(108).

ولما كانت هذه المنطقة لاتستطيع بمزاياها الذاتية، ان تحقق الوفرة في الطعام لجنده وأصحابه، اعرض عنها. وقام بجولات بمحاذات نهر دجلة حتى وصل إلى الموصل(109)، ثم عاد إلى المنطقة التي تقع فيها بغداد حالياً، وارسل بعض خواصه إلى القرى المجاورة ليأتيه بتقارير تتعلق بامكانية اتخاذ بغداد أو مايجاورها عاصمة لملكه(110). وتبين له ان بغداد هي المكان الأمثل، الذي يمكن أن تشيد فيه مدينة لاترتبط بولائها، لاحدى السلالات أو الجماعات السياسية السابقة، أو تلك التي تناهضه كالعلويين(111) الذين يهددون كيان الخلافة العباسية

أمنها مثلاً(112). وقد اعتقد المنصور أن أية عاصمة يجب ان تتوافر فيها اسس معينة، كقربها من مصادر المياه الوفيرة ووقوعها وسط الدولة العباسية(113)، وصفاء هوائها وسهولة طرقها وتوافر المزارع والموارد فيها، وسهولة الانتقال والتجارة عن طريق البر والنهر، إلى المناطق القريبة والبعيدة منها وامكانية الدفاع عنها، لوجود عدد من الانهار التي تستطيع أن تتخذ موانع دفاعية طبيعية ضد المهاجمين، هذه العوامل كلها قد رجحت للمنصور، أن يبني عاصمة ملكه في بغداد التي تتوافر فيها الوسائل الدفاعية، وقد اختار ان تكون المدينة المدورة، محاطة بأسوار من كل جانب(114).

ويتوسطها قصره، والمسافات المحيطة به متساوية الأبعاد، وهذا مايحقق مصلحته الدفاعية والأمنية إذا نشأت على هذا الطراز، وبالعكس، أي اذا كانت مبنية على شكل مربع أو مستطيل فانها تضره عسكرياً(115)، فضلاً عن حرصه على المساواة بين موظفيه في القرب منه، مستهدفاً تثبيت الاستقرار والأمن ضماناً لسلامة حياته، بعيداً عن الاحتمالات المتوقعة لغير صالحه(116).

وعليه جرى تخطيط الأزقة والشوارع والاسوار والمساحات وقصور بغداد بالرمل، وكذلك قصر الخلد، والمسجد الجامع الذي ارتبط بالقصر بنفق سري زيادة في الحيطة، وتوفير الأمن واليقظة طمعاً في تكريس الجانب الدفاعي، وقد أمر المنصور بوضع حبوب القطن فوق الرمال واشعالها ليلاً، واستطاع بهذا الاسلوب ان يأخذ فكرة تامة عن المدينة المراد انشاؤها، للتأكد من ايفائها بالضرورات الأمنية والدفاعية المطلوبة، وكان ذلك في سنة 145هـ، إذ تم وضع حجر الاساس لتشييد المدينة في السنة ذاتها(117). وقد حرص المنصور كل الحرص على ان تكون للمدينة أربعة أبواب كبيرة(118)، وهي باب البصرة وخراسان والشام والكوفة تؤدي إليها، ووجود هذه الأبواب أيامئذٍ كان يوفر مزيداً من الأمن والأمان، ولو ان اعداءً له هاجموه من باب الكوفة(119) مثلاً، فانه باستطاعته الخروج من الأبواب الأخرى، وجلب المعدات اللازمة، لمكافحة

ومعالجة الذين جاءوا من باب الكوفة، ويصدق الشيء نفسه على بقية الأبـواب، وجعل أبوابها الاربعة على تدبير العساكر في الحروب وحرص على ان تكون هذه الأبواب مرتبطة بالدهاليز التي تضيق عند نهاياتها، ومنفتحة على الارباض التـي يقوم فيها الحرس زيادة في التحوط الدفاعي والأمني(120).

وأمر بايصال الترع إلى الخندق المحيط بالسور الأول(121)، وبنى على الاسوار أبراجاً كبيرة يتخذها المكلفون بالأمن مواقع دفاعية لمراقبة الناس ذهابـاً وايابـاً، سواء أكان داخل المدينة أم قرب أسوارها الخارجية(122). ومد الخليفة المنـصور قنوات مغلقة بالساج تدخل إلى داخل المدينة المدورة(123)، وتسقي مرافقها العامـة والخاصة، وهكذا تتوافر المياه بغزارة في كل مكان فيها صيفاً وشـتاءً، ضـماناً لأمن السلطة ولعدم فسح المجال لأعداء الخلافة العباسية باستغلال شـحة الميـاه كسلاح لتعكير الوضع العسكري والأمني في مدينة بغداد(124).

وأمر الخليفة بحفر خندق واسع يحيط بسور المدينة الخارجي، ووضع على هذا الخندق، عدداً من الجسور المتحركـة ترفـع وتقـام بحـسب موافقـة الـسلطة العباسية(125). وظل الخليفة يتابع بناء المدينة المدورة، ويرسـل إليهـا العمـال والبنائين والحرفيين والفنيين من كل انحاء الدولة، واستمر البناء اعواماً خمسة من 145هـ إلى 149هـ، حتى اكتمل ثم انتقل إليها الخليفة ورجالات مـن دولتـه، وكثر من الرعية المحترفين حرفاً مختلفة(126).بيد أن المنصور سرعان ماوجد ان هذه المدينة الصغيرة، التي لاتزيد مساحتها على ميل في ميل مربع أخذت تكـتظ بالسكان، مما كان يهدد بقيام اضطرابات كثيرة، نتيجة الخلافات بين الجماعـات السكانية القاطنة في بغداد، وهو أمر يهدد الخليفة نفسه في عقر داره، كمـا انهـا كانت تخلو من الخضرة ومرافق الراحة، وبناء على نصيحة لأحد البطارقة الروم، في أثناء زيارته بغداد عام 157هـ(127)، امر المنصور باخراج اصحاب الحرف والباعة والقصابين إلى المنطقة التي تعرف بالكرخ، وقد إتسعت هذه المنطقة كثيراً فيما بعد، واجتازت نهر الصراة، وامتلأت المنطقة الواقعة بين باب الكوفة وبـاب

البصرة، وأحل مكان هؤلاء الشرطة والحراس لتوفير الأمن للمدينة، ولم يكتف بذلك لتعزيز أمنه الدفاعي، بل قد جلب بعد زيارته للحج عام 160هـ(128) نحواً من خمسمئة من أنصاره الموالين له، فأسكنهم داخل المدينة المدورة، لتحصين مدينته من الناحية العسكرية(129).

وفي قلب بغداد بنى الخليفة قصره المسمى بقصر الذهب أو قصر باب الذهب، وبنى فوقه قبة خضراء عالية ترى من أطراف بغداد، وفي أعلاها تمثال لفارس بيده رمح يتحرك في اتجاه الريح. وكانت العامة يعتقدون أنه يتحرك نحو اعداء الدولة. وبجوار القصر بنى الخليفة المسجد الجامع، كما أقام على جوانب الميدان قصور الامراء ودواوين الحكومة المختلفة، مثل بيت المال وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الجند وخزانة السلاح...الخ وكان المنصور لايسمح لأحد بالدخول إلى الرحبة إلاّ راجلاً(130). لم يكتف المنصور ببناء بغداد، بل بنى في عام 151هـ مدينة أخرى(131) تعرف باسم الرصافة أو رصافة بغداد أو بغداد الشرقية، لأنها تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، في مقابل بغداد الغربية ثم ربط بين المدينتين بجسور ثلاثة على نهر دجلة. ولقد بنيت الرصافة في الأصل لتكون معسكراً للجيش الخراساني(133)، الذي يقوده ابنه المهدي، ثم مالبثت الرصافة أن نمت وازدهرت حتى فاقت بغداد حسناً واتساعاً وفي ذلك يقول الشاعر العباسي علي بن الجهم(134):

عيون المها بين الرصافة والجسر   جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولاأدري

وفضلاً عما ذكرنا ينبغي ان لاننسى دور الاسواق عند تشييد بغداد، فقد ذكر اليعقوبي ان الخليفة المنصور حدد في سوق بغداد لكل صاحب مهنة، مايحصل عليه من الأذرع، وخصص لكل حرفة قطعة محددة من الأرض يمارس عليها حرفته، وسرعان ما ازدهر عمران المدينة، وضاقت بأهلها، فرأى الخليفة المنصور ان ينقل الاسواق بتجارها إلى خارج المدينة حماية للامن والاستقرار وتوخياً للنظافة فيها(135)، ونتيجة لهذا العمل تعددت الاسواق، والملحوظ انها كانت

تقع في اطراف المحلات، أي انه كان يوجد نوع من الانفصال بين المنطقة السكانية والاسواق، وربما كان ذلك يعود إلى اسباب دفاعية واجتماعية وأمنية(136). ولقد أخذ الخليفة المنصور بنصيحة البطريق الرومي(137) الذي أوضح، ان بغداد مزدحمة وستكون مكاناً للسوقة وذوي الأغراض المعادية الذين يخلون بالأمن العام، من خلال فتح أبواب السوق ليلاً، ولايؤمن ان يكون فيهم جواسيس ومن يسترق الأخبار(138). وهناك سبب آخر يعود إلى تمرد أحد العلويين وهو ابو زكريا يحيى بن عبدالله العلوي عام 157هـ ببغداد، فاضطر الخليفة إلى اخماد الفتنة والقضاء عليها، فأمر أبوجعفر بقتله على يد حاجبه يقال له موسى، على باب الذهب في رحبة المدينة، تقوية لأمنها(139).

الخليفة المنصور والحركات المعارضة:

1- حركة استاذ سيس:

وهي حركة قامت سنة 150هـ في منطقة باذغيس وأهل هراة وسجستان وغيرها من عامة خراسان(140)، وساروا حتى التقوا هم وأهل مَرْو الرّوذ، فخرج إليهم الأجثم المروروذي، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى قتل الأجثم وكثر القتل بين صفوف أهل مرو الرّوذ(141)، وهزم عدد من قواد الجيش العباسي، إلى ان وجه إليهم المنصور خزيمة بن خازم الذي استطاع من الحاق الهزيمة باستاذيس في سنة احدى وخمسين ومائة(142). وتعد هذه الحركة بانها فارسية في مبادئها وتهدف إلى تحقيق المبادئ التي نادى بها فريد وفشل في تحقيقها فتمكن خازم من اسره وحمله إلى أبي جعفر المنصور إلى بغداد، فقتله(143).

2- حركة سنباذ:

تمدنا رواية الطبري بأنه كان من اتباع أبي مسلم الخراساني، ولذلك كانت حركته كردة فعل لقتل أبي مسلم ودعى بثأره. وقد بدأت حركة سنباذ في مدينة نيسابور والمناطق المجاورة لها(145)، وقد كان مصيباً في اختياره هذا المكان،

نظراً لأهميته الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية، بعدّه محل إقامة الوالي العباسي، وقد حاول أن يضم سكان طبرستان والديلم والجبال سنة 137هـ(146).

لم يتفق المؤرخون في وصف سنباذ، فعدّه الطبري(147) انه كان مجوسياً، أما المسعودي(149) فعدّه خرمياً من مقاطعة الجبال عش الخرمية، في حين يصفه نظام الملك بانه كان مزدكياً(150). شرع سنباذ يبشر الفرس والمجوس بان حكم العرب المسلمين صائر إلى الزوال، وأن دولة الفرس آتية لاريب فيها، وشجع أتباعه وأنصاره بالذهاب إلى الحجاز لهدم الكعبة. واستبدالها بالشمس قبلة للفرس بدلاً من الكعبة في أثناء الصلاة والعبادة.

لقد توسعت حركة سنباذ في نيسابور وتحركت صوب مدينة الري واحتلتها ومن ثم نحو همدان مما اضطر الخليفة المنصور إلى تجهيز حملة كبيرة بقيادة جهور بن مرار العجلي، والتقى الجيشان في موقعة جرجنبان الواقعة بين الري وهمدان، وقد أظهر قائد الجيش العباسي شجاعته ومقدرته العسكرية على إلحاق الهزيمة بجيش سنباذ(151)، الذي فرّ من أرض المعركة(152)، متوجهاً إلى مقر أمير طبرستان الذي لم يكن راغباً في احداث الشرخ في علاقته مع الخليفة العباسي، ولذا دبر له مؤامرة وقتل، ولم تستمر حركته الامدة شهرين ونصف تقريباً(153).

3- حركة اسحق التركي:

علاوة على ماسبق ذكره من الحركات، فقد ظهرت حركة أخرى باسم اسحق، بعد موت أبي مسلم الخراساني سنة 137هـ(154)، واستمرت حركته المناهضة للخلافة العباسية حتى سنة 140هـ، وقد اختلفت الروايات فيما يخص أصل اسحق هذا، فمنها ماتقول إنه احد دعاة أبي مسلم ارسله للدعوة باسمه نيابة عنه إلى بلاد الترك. ورواية أخرى تشير إنه أحد أولاد يحيى بن زيد العلوي الذي قتل في الجوزجان سنة 125هـ أيام ولاية نصر بن سيار الوالي الأموي. وفي رواية أخرى إن إسحق هذا كان تركيا في الأصل يعيش في تركستان(155).

وأما مايتعلق بمبادئه فتشابه مانشره سنباذ في حركته، التي تؤكد عـودة أبـي مسلم وينقذ الناس من حالتهم التعسة. وقد انتهت حركة اسحق التركي على يد خالد الذهلي الوالي العباسي في خراسان وثم قتل صاحبها(156).

4- حركة أشناس:

ومن الملاحظ ان هناك حركة أخرى حسبت نفـسها علـى معارضـة حكـم العباسيين(157)، وهي حركة أشناس التي قامت سنة 150هـ في منطقة بـاذغيس، وكانت فارسية في مبادئها، وتهدف إلى تحقيق المباديء والأفكار التي فشل فـي تحقيقها حركة بها فريد، وشن عليهم الخليفة حملة شعواء وقبـر حـركتهم قبـل استفحال أمرها، وان نصيبها كان الفشل كذلك(158).

موقف المنصور من ولي عهده:

قلنا ان أبا العباس قبل وفاته عقد لأخيه المنصور وجعله ولي عهد المـسلمين، وجعل من بعده ابن أخيه عيسى بن موسى، وقد كان المنصور في السنين الأولى من خلافته يستعين بعيسى بن موسى في الملمات، ويلقى به في خضم الاحـداث ليدفع به النوازل، وقد قال له المنصور عندما ثار العلويون: والله مايراد الا أنا أو أنت. فإما أن تذهب لقتالهم أو أذهب أنا؛ وقد كان عيسى يتقبل هذا بمزيـد مـن الآراء، وهي أليس ولي عهد المسلمين، وهذا الملك سيؤول إليـه يومـاً؟ ولكـن المنصور كان يريد شيئاً آخر. فإنه ماكاد يحس باستقامة الأمور إليه على مايهوى، حتى كشف عن نيته، ليزحزح عيسى بن موسى ويقدم عليه ابنـه المهـدي، وان ارتكب من أجل ذلك أبعد الشطط، وأوقع الناس في الحرج، إذ كانوا قـد أقـسموا أغلظ الايمان أن يحترموا الوثيقة التي دونها السفاح(159). وواجه الخليفة المنصور عيسى بالأمر وطلب منه زحزحة نفسه ليتقدم المهدي عليه في ولاية العهـد مـن بعده، وخلع عيسى بن موسى عنها(160)، وقد تم ذلك عـام 147هـ(161)، بعـد مؤامرات كثيرة ساهم أعوان المنصور في حبكها، وبعد ان بقي عيسى بن موسى محتفظاً بها مده ثلاثة عشر عاماً، فقد أثار هذا الأمر نزاعات كثيرة بين مؤيـدي

عيسى بن موسى، والمتعاطفين مع خطوات المنصور في تولية ابنه المهدي(162). فكان بعض المجان من أهل الكوفة إذا مرَّ به عيسى بن موسى يقول((هذا كان غداً فصار بعد غدٍ))(163).

وقد تنازل عيسى إلى المهدي على أن يكون ولياً للعهد من بعده. ومقابل ذلك منحه الخليفة المال والقطائع ونفذ ماكان قد كتبه في آخر رسالة عيسى((تنازلْ عنها تنلْ منها عوضاً في الدنيا وتأمن تبعتها في الآخرة))(164). ويشير الطبري إلى أن عيسى حين أعلن عن تنازله قال: ((إني قد سلمت ولاية العهد محمد بن أمير المؤمنين وقدمته على نفسي. فقال أبو عبيدالله ليس هكذا أعزالله الأمير ولكن قل ذلك بحقه وصدقه وأخبر بما رغبت فيه فأعطيت قال نعم قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبدالله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشرة الآف درهم وثلاثمائة الف بين ولدي وسبعمائة الف لفلانة امرأة من نسائه بطيب نفس عني وحب لتصييرها إليه لأنه أولى بها وأحق وأقوى عليها وعلى القيام بها... وختم الميثاق وشهد عليه الشهود))(165)، وفي سنة 151هـ عاد المهدي من خراسان فجدد المنصور البيعة له ولإبنه المهدي ولعيسى بن موسى من بعده. وكان الناس يقبلون يدي المنصور وابنه ويمسحون على يد عيسى فقط(166). ومهما يكن من أمر فإن هذه الروايات تشير إلى التأزم الذي ظهر بمجرد سماع الهاشميين والقادة بأن الخليفة قد اقترب إلى نهايته أوتحسسوا أنه قدمات فعلاً، مما يؤكد أن لعيسى أنصاراً مايزالوا يعترفون بحقه. وقد سافر منارة مولى الخليفة المنصور مسرعاً إلى بغداد ومعه مرسوم الخلافة وشاراتها ليسلمها إلى المهدي(167).

سياسة المنصور الخارجية:

أ- علاقته بالدولة البيزنطية:

تركزت سياسة المنصور الخارجية أولاً في الخطر المجاور لبلاده وهو الخطر البيزنطي، وكان البيزنطيون قد انتهزوا فرصة انشغال العباسيين بمشكلاتهم وحركاتهم الداخلية، وأخذوا يغيرون بقيادة الامبراطور قسطنطين الخامس على

ثغورِ المسلمين من أعالي نهر الفرات شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً بين فينة وأخرى. فدمروا حصونها وعاثوا فيها فساداً وتخريباً شمالاً ويميناً(168).

لهذا كان أول عمل اهتم به الخليفة المنصور، هو إعادة تحصين تلك الثغور وتنظيم وسائل الدفاع فيها بغية مقاومة البيزنطيين. وكانت هذه الثغور تنقسم على منطقتين رئيستين(169):

1- منطقة الثغور الجزرية، وهي التي خصصت للدفاع عن الجزيرة أو شمال العراق، ومن أهم حصونها ملطية والمصيصة ومرعش.

2- منطقة الثغور الشامية، وتقع غرب الثغور الجزرية، وقد خصصت للدفاع عن الشام ومن أهم حصونها طرطوس وأطنة(أذنة).

فالمنصور حصن هذه المناطق أحسن تحصين، وجعل لها حكما ادارياً مستقلاً، وحشد فيها الآف المقاتلين(170) والمرابطين ومنحهم الاقطاعات والمزارع، وبنى لهم البيوت والاصطبلات(171)، انفق عليهم الاموال عن سعة(172)، كما وضع لهم نظاماً يسيرون عليه في غاراتهم على الأراضي البيزنطية وهو نظام الصوائف والشواتي(173).

وقد امتازت منطقة الثغور الشامية، بأن الحملات التي تخرج منها كانت برية وبحرية في آن واحد. وقد لعبت اساطيل الشام ومصر دوراً مشتركاً مهماً في غزوات هذه المنطقة.

وهكذا تمكن المنصور أن يضع حداً لمطامع البيزنطيين وعدوانهم، بفضل هذا النظام الثغري الذي وضع نواته والذي ازدهر في عهد خلفائه من بعده(174).

سياته تجاه المغرب والاندلس:

المعضلة الثانية التي اهتم بها المنصور في سياسته الخارجية وركز عليها، هي محاولة إستعادة المغرب والاندلس إلى حاضرة الخلافة العباسية، كما كانت في عهد بني أمية 41-132هـ، لقد كانت الدعوة في المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامي لتلك البلاد قائمة لخلافة دمشق الاموية التي ماكاد ينتهي أجلها سنة

132هـ، حتى سيطرت على دست تلك البلاد، دويلات اسلامية مستقلة تدين بمذاهب مختلفة(175).

تولى ابوجعفر المنصور الخلافة ولم تكن دعائمها قد توطدت بعد، حيث قامت في المغرب دولتان خارجيتان احداهما تدين بالمذاهب الصفرية، وهي دولة بني مدرار أو بني واسول الصفرية، التي قامت في منطقة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى سنة 141هـ، ومؤسسها كان سودانياً أسود اللون يدعى عيسى بن يزيد المكناس الصفري(176).

أما تسميتها بدولة بني مدرار أو بني واسول فنسبة الى اسم ثالث ملوكها أبي القاسم سمعون بن واسول الملقب بمدرار.

والدولة الخارجية الثانية هي الدولة الرستمية الاباضية(177)، التي قامت في المغرب الأوسط سنة 144هـ، ومؤسسها رجل فارسي الأصل وهو عبدالرحمن بن رستم. وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة تاهرت التي بناها عبدالرحمن بن رستم سنة 150هـ تقع في غربي الجزائر(178).

ولم تقتصر هذه الحركات الاستقلالية على المغربين الأقصى والأوسط، بل امتدت أيضاً إلى المغرب الأدنى الذي يطلق عليه اسم افريقية. وذلك عندما استقل بها بعض المغامرين وقطعوا الخطبة للمنصور، ونزعوا شعار العباسيين.

ولم يقف المنصور أمام هذه الحركات مكتوف الأيدي، بل أرسل الحملات العسكرية، البرية والبحرية، إلى المغرب لإعادة سلطان الخلافة على تلك البلاد. الا ان نفوذه لم يتجاوز مصر والقيروان، حيث ظل الرستميون في المغرب الأوسط، والمداريون في المغرب الأقصى يحكمون تلك البلاد حكماً مستقلاً(179).

وما يقال عن المغرب يقال عن الأندلس أيضاً، التي فرّ إليها عقب سقوط الدولة الأموية عام 132هـ، أمير أموي وهو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذي لقب بالداخل لدخوله الاندلس عام 138هـ(180) واستطاع هذا

الأمير بمساعدة ومعاضدة القبائل اليمنية أن ينتصر على المضرية(181) ويحالفه الحظ أن يستقل بحكم الأندلس(182).

وطمع الخليفة المنصور في استرداد الأندلس واعادتها إلى حاضرة الخلافة العباسية كما كان الحال في عهد الدولة الأموية 41-132هـ، ولذا اتفق مع زعيم عربي من سكان مدينة باجة في غرب الأندلس جنوب البرتغال حالياً اسمه العلاء بن مغيث الجذامين ووعده بامارة الأندلس ان هو انتصر على خصمه وبعث إليه بلواء الدولة العباسية وبسجل يؤكد فيه تعيينه على الأندلس(183).

أخذ أبوالعلاء يدعو الناس سراً إلى طاعة الخليفة المنصور، واستطاع أن يضم إليه العناصر الساخطة على عبدالرحمن، ولاسيما القبائل اليمنية التي كانت تريد الانتقام من عبدالرحمن بسبب ميله إلى المضرية. بيد ان هذا الحكم الذي كان يراود أبا العلاء، لم ير النور، حين أعلن ثورته في مدينة باجة سنة 147هـ، واستطاع عبدالرحمن أن يشتت شمله وقتل العلاء وعدداً كبيراً من رجاله، فخاب أمل الخليفة المنصور به(184)، ومنذ ذلك الوقت صار عبدالرحمن يلقب بصقر قريش(185).

وفاة الخليفة المنصور:

في عام 158هـ، شَخَصَ المنصور من مدينة السلام(بغداد) متوجهاً إلى مكة المكرمة في شهر شوال(186)، فلما صار في منازل الكوفة(187)، عرض له وجعه الذي توفي به، ولم يزل يزداد شيئاً فشيئاً حتى وصل بستان ابن عامر، فاشتد به ألمه، ثم صار غلى بئر ميمون، وهو يسأل عن دخول الحرم، ويوصي الربيع بما يريد(188).

ولقد اختطفته يد المنون في سحر السبت 6ذي الحجة سنة 158هـ، ولم يحضره عند وفاته إلاّ الربيع الحاجب، فكتم موته ومنع النساء وغيرهن من البكاء عليه، ثم أصبح فحضر أهل بيت الخلافة، فأخذ الربيع بيعتهم لأمير المؤمنين المهدي ولعيسى بن موسى من بعده، ثم دعا بالقواد والولاة فبايعوا(189) الواحد تلو

الآخر، وتوجه العباس بن محمد بن علي ومحمد بن سليمان بن علي إلى مكة المكرمة ليبايعا الناس، فبايعوا المهدي(190).

ثم أخذوا يعملون في تهيئة جهاز المنصور فبدؤا بغسله ومن ثم كفنه، وجعلوا رأسه مكشوفاً لكونه مات محرماً، وصلى عليه ابنه صالح، فكانت ولايته 22سنة، ودفن ببئر ميمون(191)، حيث حفر للمنصور مائة قَبْر، ودفن في احداها، لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس، ودفن في غيرها للخوف عليه(192).

هوامش الفصل الرابع:

1- السيوطي: المصدر السابق ، ص256.

2- اليعقوبي: المصدر السابق 254/2.

3- السيوطي: المصدر السابق ، ص259.

4- اليعقوبي: المصدر السابق 254/2.

5- الطبري: المصدر السابق 471/7.

6- اليعقوبي: المصدر السابق 254/2؛ محمد سهيل: المرجع السابق، ص154؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص55.

7- المسعودي: المصدر السابق 294/3.

8- الطبري: المصدر السابق 470/7؛ محمد الخضري:المرجع السابق ، ص54.

9- اليعقوبي: المصدر السابق253/2-254.

10- الطبري: المصدر السابق 470/7.

11- فاطمة محمود: المرجع السابق 210/1.

12- الطبري: المصدر السابق 470/7.

13- اليعقوبي: المصدر السابق 254/2.

14- الطبري: المصدر السابق 471/7.

15- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص46؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص152.

16- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص 135-136.

17- نفسه، ص136-137؛ فاطمة محمود الجوابرة: المرجع السابق، 213/1.

18- اليعقوبي: المصدر السابق 256/2-257.

19- نفسه 263/2.

20- نفسه 261/2.

21- مؤلف مجهول: أخبار العباس وولده، ص199؛ الجاحظ: الحيوان 83/7.

22- النوبختي: فرق الشيعة، ص41؛ الطبري: المصدر السابق 83/8؛ الأشعري: مقالات الاسلاميين، ص22؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص253-254؛ ابن طباطبا: المصدر السابق، ص142؛ أحمد أمين: المرجع السابق 291/3.

23- الدينوري: المصدر السابق، ص384؛ الطبري: المصدر السابق 83/8؛ ابن الجوزي: المصدر السابق ، ص62؛ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم: التاريخ 231/1؛ أحمد العزيز محمود: المرجع السابق، ص120.

24- ابن الاثير: المصدر السابق 502/5؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص120؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص50.

25- ابن الأثير: المصدر السابق 502/5؛ ابن طباطبا: المصدر السابق، ص143؛ ابن خلدون: المصدر السابق 185/3؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 345/1؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص120.

26- ابن الاثير: المصدر السابق 502/5؛ ابن طباطبا: المصدر السابق، ص143.

27- الجهشياري: المصدر السابق، ص122؛ مؤلف مجهول: العيون، 122/3.

28- ابن تغري بردي: النجوم 345/1؛ فاروق عمر: المرجع السابق68/1.

29- اليعقوبي: المصدر السابق 252/2-254؛ المسعودي: المصدر السابق 294/3؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص56.

30- اليعقوبي: المصدر السابق 254/2-255؛ فاطمة محمود: المرجع السابق214/1-215.

31- اليعقوبي: تاريخ 255/2.

32- نفسه 255/2.

33- نفسه 256/2-257؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 215/1؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص56-57.

34- اليعقوبي: تاريخ 255/2.

35- نفسه 256/2؛ المسعودي: مروج 302/3.يبدو ان هناك مبالغة كبيرة في عدد القتلى.

36- اليعقوبي: المصدر السابق 257/2.

37- ابن قتيبة المصدر السابق 124/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق 257/2-258؛ المسعودي: المصدر السابق 315/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق 216/6.

38- فاطمة محمود: المرجع السابق 217/1.

39- ابن قتيبة: المصدر السابق 117/2-118.

40- المسعودي: المصدر السابق 260/3؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص58، 60، 61.

41- محمد الخضري: نفسه، ص59-60.

42- السمعودي: المصدر السابق 254/3.

43- نفسه 304/3؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص58-59.

44- المسعودي: المصدر السابق 258/3.

45- ابن قتيبة: المصدر السابق 132/2.

46- أحمد مختار العبادي :المرجع السابق، ص45.

47- ابن قتيبة: المصدر السابق 132/2؛ المسعودي: المصدر السابق 302/3.

48- ابن قتيبة: المصدر السابق 132/2؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص45.

49- المسعودي: المصدر السابق 294/3.

50- اليعقوبي: المصدر السابق 255/2.

51- نفسه 255/2.

52- نفسه 254/2-255.

53- نفسه 255/2.

54- نفسه 256/2.

55- نفسه 256/2؛ المسعودي: المصدر السابق 302/3؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص48؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص302.

56- اليعقربي: المصدر السابق 256/2.

57- ابن قتيبة: المصدر السابق 132/2-133.

58- نفسه 133/2؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص48.

59- محمد الخضري: المرجع السابق ، ص58-59.

60- ابن قتيبة: المصدر السابق 132/2-133.

61- نفسه 133/2.

62- نفسه 133/2؛ المسعودي: المصدر السابق 302/3.

63- اليعقوبي: المصدر السابق 256/2.

64- الطبري: المصدر السابق 421/7-428؛ فاروق عمر: المرجع السابق 77/1؛ عبدالجبار الجومرد: هارون الرشيد 35/1.

65- اليعقوبى : المصدر السابق 256/2-257؛الطبرى :المصدر السابق 66/9-67؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص153.

66- ابن قتيبة: المصدر السابق 222/2؛ الطبري: المصدر السابق 457/7-458.

67- الطبري: المصدر السابق 552/7.

68- ابن قتيبة: المصدر السابق 222/2؛ الطبري: المصدر السابق 457/7-458.

69- المسعودي: المصدر السابق 438/3؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص149؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، ص177.

70- الطبري: المصدر السابق 552/7ومابعدها.

71- نفسه 552/7ومابعدها.

72- المسعودي: المصدر السابق 306/3ومابعدها؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص149.

73- المسعودي: المصدر السابق 309/3-310.

74- نفسه 310/3.

75- الطبري: المصدر السابق 559/7؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص51.

76- ابن الأثير: المصدر السابق 531/5؛ أحمد مختار: المرجع السابق، ص51.

77- المسعودي: المصدر السابق 306/3.

78- اليعقوبي: المصدر السابق 263/2.

79- المسعودي: المصدر السابق 307/3.

80- الطبري: المصدر السابق 562/7.

81- الطبري: المصدر السابق 566/7؛ ابن الأثير: الكامل طبعة ليدن، 1867م، 115/5؛ فاروق عمر: المرجع السابق 82/1.

82- الطبري: المصدر السابق 566/7-567ومابعدها.

83- نفسه 572/7ومابعدها.

84- نفسه 581/7ومابعدها.

85- اليعقوبي: المصدر السابق 264/2.

86- نفسه 265/2؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص53.

87- المسعودي: المصدر السابق 308/3.

88- ابن قتيبة: المصدر السابق 148/2.

89- نفسه 149/2.

90- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص53.

91- الصفدي: الوافي بالوفيات 31/6-32؛ أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق، ص80.

92- الطبري: المصدر السابق 52/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 574/5و 13/6.

93- الطبري: المصدر السابق 52/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 574/5؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص80.

94- الطبري: المصدر السابق 102/8-107؛ ابن الاثير: المصدر السابق 18/6-20؛ ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، 2213/3.

95- الطبري: المصدر السابق 102/8-107، ابن الاثير: المصدر السابق 18/6-20؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص83.

96- الطبري: المصدر السابق 586/7؛ ابو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص200؛ محمد حسين الاعرجي: جهاز المخابرات في الحضارة الاسلامية، دمشق، 1998م، ص74؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص84.

97- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص130.

98- الصفدي: الوافي 274/12-275.

99- نفسه 274/12-275؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص84.

100- الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، 1952م، 188/1؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص84.

101- الأبشيهي: المصدر السابق 188/1؛ أحمدعبدالعزيز: المرجع السابق، ص85.

102- الأبشيهي: المصدر السابق 188/1، أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص85.

103- اليعقوبي: البلدان، ليدن، 1891م، ص237؛ الطبري:تاريخ، تحقيق محمد أبو ابراهيم فضل، القاهرة، 1967م، 6/7؛ شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، القاهرة، 1966م، ص15.

104- ابن الفقيه الهمداني، بغداد(مدينة السلام)، 1977م، ص77؛ الطبري: المصدر السابق 505/7-507؛ ابن كثير: البداية، القاهرة، 1932م، 75/1-76.

105- بارما: جبل بين تكريت والموصل، يعرف اليوم بجبل حمرين. ياقوت: معجم البلدان 320/1.

106- الطبري: المصدر السابق 615/7-616.

107- نفسه 615/7-616؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، القاهرة، 1982م، ص324.

108- اليعقوبي: البلدان، ص324؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، طبعة بولاق، 1284هـ، 196/3-197.

109- الطبري: المصدر السابق 617/7؛ عبدالجبار ناجي: دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، البصرة، 1986م، ص277؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص16.

110- Encyclopaedia of Eslam, vol, part, I. art Baghdad, p. 565.

جمال حمدان: جغرافية المدن، ص112.

111- Lapidus: Muslim cities in the later Ages pp. 106-109.

112- اليعقوبي: المصدر السابق ص154؛ الطبري: المصدر السابق 651/7؛ البيروني: المصدر السابق ، ص270؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، 558/5.

113- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص238؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، بيروت، د.ت، 72/1؛ بارتولد: تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة، 1968م، ص74-75؛ رمزية الاطرقضي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، د.ت، ص138.

114- Richard coke: Baghdad the city of pease, London, 1927, p. 31.

115- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص238؛ ابن الفقيه: المصدر السابق ، ص35.

116- البلاذري: فتوح البلدان 361/2؛ الطبري: المصدر السابق 618/7؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 70/1.

117- اليعقوبي المصدر السابق 651/7-654؛ شوقي ضنيف: المرجع السابق، ص16.

118- الطبري:المصدر السابق 651/7-654؛الخطيب البغدادي:المصدر السابق 77/1-78.

119- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص238؛ الطبري: المصدر السابق 651/7-654؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 77/1-78.

120- الطبري: المصدر السابق 619/7؛ الخطيب: تاريخ 73/1؛ ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق ، ص32.

121- البلاذري: المصدر السابق 184/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق ، ص239.

122- الخطيب: المصدر السابق 73/1؛ كارل بروكلمان: المرجع السابق، ، ص178.

123- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص250؛ شوقي ضيف: المرجع السابق، ص17؛ عمادالدين عبدالسلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد، 1967م، ص165-169.

124- الطبري: المصدر السابق 572/7؛ الخطيب: المصدر السابق 67/1.

125- الطبري: المصدر السابق 654/7-655؛ الخطيب: المصدر السابق 70/1؛

Richard coke: op. cit, pp. 48-49.

126- الخطيب: المصدر السابق 78/1؛ ابن الجوزي: مناقب بغداد، نشر محمد بهجت الأثري، بغداد، 1342هـ، ص14؛ كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وطورطيس عواد، بغداد، 1954م، ص65؛ رمزية الاطرقضي :المرجع السابق، ص35.

127- الطبري: المصدر السابق 654/7؛ الخطيب: المصدر السابق 80/1؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص19.

128- الطبري: المصدر السابق 133/8؛ المسعودي: المصدر السابق ، 360/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، 49/6.

129- أحمد مختار العبادي :المرجع السابق،ص57؛محمد الخضري:المرجع السابق،ص79.

130- الذهبي: العبر، 230/1-231.

131- ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق ، ص55؛ الخطيب: المصدر السابق 116/1.

132- البلاذري: المصدر السابق 361/2؛ ابن الفقيه المصدر السابق ، ص28؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص78-79.

133- البلاذري: المصدر السابق 361/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق ، ص239-340.

134- محمد عبدالستار: المدينة الاسلامية، ص255-256؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص24؛

Benet, f. The Ideology of eslam orbiazation of comparative sociology. Vol, Iv. 1963.

135- اليعقوبي: المصدر السابق 374/2؛ مؤلف مجهول: العيون 244/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق 57/5؛ ابن كثير: المصدر السابق 97/10؛ حسين علي المسري: تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، 1982م، ص88؛ هوتسما وفنسنك: دائرة المعارف الاسلامية(مادة بغداد)، القاهرة، 1969م، 391/7.

136- اليعقوبي: المصدر السابق 374/2؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق ، 295/3؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق ، 35/2.

137- الطبري: المصدر السابق 653/8؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق 244/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق 57/5؛ ابن كثير: المصدر السابق 98/10؛ حسين علي: المرجع السابق، ص88؛ هوتسما ونفسنك: دائرة المعارف 391/7.

138- الطبري: المصدر السابق 53/8؛ عبدالجبار ناجي: المرجع السابق، ص289.

139- الطبري المصدر السابق: 29/8.

140- نفسه 29/8-31.

141- اليعقوبي: المصدر السابق 266/2.

142- نفسه 266/2.

143- الطبري المصدر السابق: 131/8؛ الشهرستاني المصدر السابق ، ص187.

144- الطبري: المصدر السابق 495/7.

145- المسعودي: المصدر السابق 305/3-306.

146- الطبري المصدر السابق: 495/7.

147- نفسه 495/7.

148- المسعودي: المصدر السابق 5/3.

149- نظام الملك: سياسة نامة وسير الملوك، لندن 1960م، ص267-268.

150- نسفه، ص267-268؛ ابن الاثير: المصدر السابق 368/5؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص202-203؛ فاروق عمر :المرجع السابق 106/1-107.

151- المقدسي: البدء 82/6.

152- المسعودي: المصدر السابق 306/3.

153- الطبري: المصدر السابق 495/7؛ المسعودي: المصدر السابق 306/3.

154- عبدالعزيز الدوري: العصر ، ص87؛ فاروق عمر: المرجع السابق 109/1.

155- ابن النديم: المصدر السابق ، ص345.

156- الأشعري: مقالات استنابول، 1929م، ص98؛ ابن النديم: المصدر السابق ، ص344-345؛ البغدادي: الفرق، القاهرة، 1910م، ص81؛ عبدالعزيز الدوري: المصدر السابق ، ص87-88؛ بارتولد: تركستان، ص198.

157- فاروق عمر: المرجع السابق 105/1.

158- عبدالعزيز الدوري:المرجع السابق، ص91؛ بارتولد: المرجع السابق، ص198.

159- ابن الاثير: المصدر السابق 122/6؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص

160- ابن الاثير: المصدر السابق 122/6؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص154-156؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق ، ص292؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص137.

161- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص457؛ الطبري: المصدر السابق 673/8-674؛ المسعودي: المصدر السابق 234/3؛ ابن واصل الحموي: المصدر السابق ، ص500؛ عبدالجبار الجومرد: : المرجع السابق ، ص424.

162- الطبري المصدر السابق: 24/8-25؛ ابن الاثير: المصدر السابق 577/5-580؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص154-156.

163- البلاذري: أنساب، ص503؛ الطبري: المصدر السابق 9/80ومابعدها.

164- الجهشياري: المصدر السابق ، ص127؛ أحمد مختار: المرجع السابق، ص66.

165- الطبري: المصدر السابق 25/8.

166- نفسه 24/8-25. ينظر؛ البلاذري: أنساب، ص4-5؛ الجهشياري: المصدر السابق ص127.

167- الطبري: المصدر السابق: 39/8؛ فاروق عمر: المرجع السابق 122/1.

168- ابن قتيبة: المعارف، ص379؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص155؛ فاروق عمر: المرجع السابق126/1.

169- البلاذري: المصدر السابق ، 1987م، 263/3؛ اليعقوبي: المصدر السابق 253/2؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص80؛

Vasiliev, AA, History yhe Byzantine Empire 2vols, Madison, 1958, VI, p. 220.

170- البلاذري: المصدر السابق 262/3-263؛ محمد سهيل: المرجع السابق، ص154.

171- البلاذري: المصدر السابق 264/3.

172- نفسه 364/3.

173- نفسه 263/3.

174- نفسه 261/3؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص80.

175- حسن محمود أحمد الشريف: العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1973م، ص156ومابعدها.

176- نفسه، ص407.

177- الاشعري: المصدر السابق 183/1؛ المبرد: المصدر السابق 1041/3؛ نايف محمود: الخوارج، ص234.

178- الشهرستاني: الملل 134/1.

179- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص63.

180-نفسه، ص63.

181- محمد الخضري ، المرجع السابق ص79.

182- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، القاهرة، 1949م، 17/2، 40-41؛ الكتبي: عيون التواريخ، المكتبة الوطنية باريس، 1/2؛ ابن خلدون: المصدر السابق 211/1، 22/2؛ ليفي بروفنسال: تاريخ أسبانيا المسلمة، ص74ومابعدها.

183- حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: المرجع السابق ، ص407؛ فاروق عمر: المرجع السابق 342/1؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص64.

184- ابن عبدربه: العقد الفريد، القاهرة، 1940م، 201/3؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، 343/1؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص64.

185- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ليدن، 1951م، 51/2؛ بروفنسال: المرجع السابق ، ص74؛ فاروق عمر: المرجع السابق 342/1؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص64.

186- ابن عبدربه: المصدر السابق2 201/3؛ ولمزيد من التفاصيل يراجع عن صقر قريش: أنطوني فون آيزن: عبدالرحمن الداخل صقر قريش أو أمير أمية، ترجمة عبدالرحمن الكتاني، دار الكتاب الثقافي، دار المتنبي، عمان، بدون تاريخ.

187- اليعقوبي: المصدر السابق272/2.

188- المسعودي: المصدر السابق 317/3.

189- الطبري: المصدر السابق114/28؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص86.

190- الطبري: المصدر السابق 114/8.

191- اليعقوبي: المصدر السابق 272/2؛ الطبري : المصدر السابق 108/8.

192- الطبري المصدر السابق: 114/8؛ المسعودي: المصدر السابق 318/3.

193- الطبري 114/8؛ أحمد مختار: المرجع السابق، ص66؛ محمد الخضري:المرجع السابق، ص86.

الفصل الخامس

المهدي 158-169هـ

هو محمد المهدي بن المنصور، وأمه أروى بنت منصور الحميرية، وكانت تكنى أم موسى، ولد المهدي بالحميمة سنة 126هـ، وعندما تولى المنصور الخلافة كان المهدي في العاشرة من عمره(1)، وكان عيسى بن موسى ولياً لعهد المنصور تبعاً لعهد أبي العباس، ولكن المنصور عني عناية خاصة بالمهدي ليؤهله لولاية عهده، فاتجه لتحقيقه، كما اتجه لتعليمه فنون القتال وقيادة الجيش، كان أبوه يرشحه لولاية العهد فولاه سنة 141هـ، وكان عمره (15)سنة، قيادة الجنود المتوجهة إلى بلاد خراسان(2)، وأمره أن ينزل الري، حينما وقعت فتنة عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي عامل المنصور على خراسان وتمرد عليه(3)، ومن الطبيعي أن الخليفة المنصور وضع مع ابنه خيرة القواد ومشاهير الأبطال ليضمن النصر لجيش المهدي، عقب انتصار المهدي في هذه المعارك والحروب تزوج ريطة بنت عمه أبي العباس سنة 144هـ.

امتدت خلافته عشر سنوات تقريباً، وجاء إلى الحكم والبلاد منهوكة القوى من كثرة ما أريق فيها من دماء، فكان الناس كما وصفهم المنصور في وصيته لإبنه: ((انى تركت الناس ثلاثة أصناف، فقيراً لايرجو(4) الاغناك، وخائفاً لايرجو إلاّ أمنك، ومسجوناً لايرجو الفرج إلاّ منك)).

ولذلك كان من الضروري أن يتخذ المهدي سياسة لينة يداوي بها الجراح والنفوس، ويجمع بها الشمل: أمر باطلاق من كان في سجن المنصور، الاّ من كان منه تبعة من دم أو قتل، ومن كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد، أو من كان لأحد منه مظلمة أو حق(5)، فالذين أطلقهم، ممن كان جُرمهم سياسياً، أمّا أرباب الجنايات والمحبوسون لحقوق مدنية(6)، فإنهم ظلوا في حبسهم ولاسيما العلويين، وكان ممن أطلق: يعقوب بن داود(7)، وأمر لهم بجوائز وصلات

وأرزاق، ولم يطلق أحداً إلاّ وكساه ووصله على قدره، حتى بلغ إلى عبدالله بن مروان، وكان في الحبس من أيام الخليفة أبي العباس، فأمر بتخلية سبيله، وأعطاه عشرة الآف درهم فقال له عيسى بن عليّ: إنّ في أعناقنا بيعة له، وقد كان هذا الرجل وليّ عهد أبيه، ففعل مافعل من ردّ الأموال، وإطلاق المحبّسين، وأمن الخائفين، وصلات المعدمين(8).

كذلك عمل المهدي على استرضاء أهل الحجاز الذين سبق ان عاملهم المنصور بكل شدة وعنف لتأييدهم حركة محمد النفس الزكية عام 145هـ(9)، فحينما حج المهدي سنة 160هـ(10)، وزع على أهل الحجاز أموالاً طائلة، وأعاد إليهم الغلال والحبوب الواردة في بلاد مصر والشام. وكان الخليفة المنصور قد قطعها عنهم خلال حركة محمد النفس الزكية(11). كذلك ضم إلى حرسه الخاص عدداً من الجنود الحجازيين يبلغ الخمسمائة كوسيلة لاسترضائهم، أو لحفظ التوازن بين العجم والعرب في جيشه، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة الأنصار تعرف بهم(12).

أما من جهة أهل الشام، فقد عمل المهدي أيضاً على اكتساب مودتهم فزارهم في بلادهم ونزل دمشق والقدس وفرق عليهم الأموال، وعمل على إزالة الخلافات التي بين القبائل المختلفة هناك ولاسيما بين آل بكرة وآل زياد(13).

وقد بث المنصور دعاية واسعة هدفها إقناع الناس بأن محمداً هو المهدي المنتظر يجابه بذلك دعايات العلويين حول المهدية سواء الحسينيين والحسنيين أو الحنفية. فأستغل قابلية الشاعر مطيع بن أياس على وضع الحديث واشاعته بين الناس وفحواه أن محمداً بن المنصور هو المهدي الذي سيملأ الأرض عدلاً. ولم تقتصر هذه الدعاية للمهدي في بغداد(14)، بل شملت الأقاليم كلها كالموصل والحجاز.

حيث أشار إسماعيل القسري والي الموصل إلى محمد قائلاً: حين سأله الخليفة المنصور متى يظهر قحطانيكم يا اسماعيل؟ فقال: ((قد ظهر فهو المهدي ولي عهد

المسلمين ابن أمير المؤنين ابن اختنا... وأشار الاعلم الهمداني في الحجاز إلى محمد المهدي قائلاً: ((جاءت الروايات وظهرت فيه العلامات))(15).

وأول عمل قام به الخليفة المهدي هو تنفيذ وصية والده(16)، التي تتعلق بالمحبوسة فأطلقها(17)، وهي الاموال التي حبسها والده، وكان يجلس للمظالم بنفسه(18)، وان اهتمام الخليفة المهدي بأمر المظالم جعله محبوباً لدى الناس(19)، فقد عمل على أن يسود الأمن أرجاء دولته، ووفر العدالة لجميع رعاياه(20)، وادرك الخليفة المهدي أن أباه المنصور قد تولى الخلافة في فترة قلقة، ولهذا السبب فقد إمتلأت السجون بخصومه السياسيين أو ممن يخشاهم على حياته وأمن خلافته(21)، ويعود الفضل في ذلك إلى التقارير الأمنية التي كانت تصله عن كل صغيرة وكبيرة، ثم يدرسها الخليفة المهدي ويقرر الرأي الصائب بشأنها(22).

وعلى أثر ذلك أدرك ان هذه الحقبة الحرجة قد انتهت دون رجعة، وان الدولة العباسية قد نجحت في توطيد أركانها، وكسب محبة الناس، الا ان المهدي لم يكتف بالنظر في رقاع الدعاوي بعناية، بل زاد على ذلك، إنه كان يقابل الناس المتظلمين ليستمع إلى شكاواهم مباشرة(23)، كالذي وقع (لسور بن مساور) الذي شكا إلى الخليفة المهدي وكيله الذي يسمى(عافية القاضي) الذي قد غصب ضيعة له فردها المهدي إلى صاحبها بعد ثبوت حقه فيها(24).

ويلاحظ تضاؤل دور صاحب المظالم في عهد المهدي بعد ان كان قوياً في عهد والده، لانه زاد على أبيه في الاهتمام والرعاية بالمتظلمين، فكان يقابلهم بنفسه ليستمع إلى شكاواهم مباشرة، وهذا يشعر بأنه قد مسك بزمام أمور دولته بيديه ومنح أجهزة الدولة ودوائرها الأمنية والعسكرية سواء بسواء، دوراً أكثر فاعلية بدلاً من أن يتركز في يد صاحب المظالم لوحده(25).

ولما كثرت الشكاوى في عهده فتح شباكاً من حديد في قصره، يلقي من خلاله المتظلمون رقاع دعاواهم في جميع أرجاء دولته، فينظر فيها الخليفة بنفسه مباشرة دون الاعتماد على الآخرين من رجالات حكمه، وهذه تعد خدمة جليلة بعينها

تمتص نقمة الناس الذين يعدّون أنفسهم في عداد المتظلمين، ويؤدي اقدام الخليفة على هذا العمل، إلى تنشيط الجهاز القضائي لاداء مهامه بشكل أدق، خشية متابعة الخليفة لشكاوى الناس(26).

ومما أجراه من الاصلاح، أمره ببناء قصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان ابو العباس بناها في القادسية إلى زيالة، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس، وترك منازل المنصور التي بناها على حالها. وأمر باتخاذ المصانع لصهاريج الماء في كل منهل(27) وهي حيضان أو أحواض تبنى وتملأ من مياه الآبار حتى يكون الاستقساء سهلاً على رجال القوافل الذين لاينقطع مرورهم من تلك الجهات، وأمر بتجديد الاميال والبراك وحفر الركايا من المصانع، وجعل لذلك عاملاً خاصاً يقوم به، وأمر أن يجري على المجذومين وأهل السجون في جميع الآفاق؛ حتى لايحتاج المجذومون إلى المشي في الطرق وسؤال الناس، فيكونون سبباً في انتشار الأمراض والاسقام والأوبئة، وحتى يكون للمسجونين مايقوم بأودهم فلايموتوا جوعاً إلاّ من كان له أهل يسألون عنه(28).

فضلاً عن ماسبق، أقام الخليفة المهدي البريد بين مدينة رسول صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة واليمن، بغالاً وإبلاً. ولم يقم هناك بريد قبل ذلك(29). ولم يقتصر الأمر على الأعمال التي سبق الكلام عليها، بل تتابعت مواكب أعماله، ومنها زيادته في مساحة المسجد الحرام، فأدخل فيه دوراً كثيرة مما يحيط به(30).

ومما يؤخذ على الخليفة المهدي، أنه اتجه إلى جعل الخلافة لأبنيه الهادي والرشيد ولكن عيسى بن موسى الذي كان والياً للعهد بعد المهدي بوصية من المنصور(31)، كان يقف حائلاً دون تحقيق هذه الرغبة، وبعد ان بقي عيسى بن موسى محتفظاً بها مدة ثلاثة عشر عاماً(32)، فقد أثار هذا الأمر نزاعات عديدة بين مؤيدي عيسى بن موسى، والمتعاطفين مع خطوات المنصور في تولية ابن المهدي(33). ومن سوء حظ عيسى بن موسى أنه عانى الأمرين الاضطهاد والتعسف بسبب ولاية العهد كما يقول الجهشياري: ((ولما حال الحول على

المهدي في الخلافة تقدم إلى معاوية إبن عبدالله المعروف بأبي عبيدالله موالى الاشعريين فناظرة عيسى بن موسى على أن يخلع نفسه من ولاية العهد، فناظره وقال له: ان المنصور قدم المهدي عليك وعوضك، فإن اخرجت نفسك من هذا الأمر عوضك المهدي ماهو أنفع لك وأبقى عليك، وإن أبيت استحل منك المحظور بمعصيتك وخلافك أمره، وقد لزمتك طاعته ووجب عليك القبول منه))(34).

ويضيف المؤرخ ابن الأثير أن عيسى رفض أن يذعن لهذه الرغبة فأوعز المهدي إلى أمير الكوفة أن يعمل على الإضرار به، ولكن هذا لم يجد سبيلاً إلى الاضرار بعيسى لأنه كان مقيماً بالرحبة بالقرب من الكوفة. وكان لايتردد على الكوفة إلاّ قليلاً. فاستقدمه المهدي غلى مدينة بغداد فامتنع عن القدوم، ولكن الخليفة المهدي أرغمه على الحضور، وأوعز إلى بعض رجالاته لينكلوا به ويسيموه العذاب في بغداد، وإزاء هذا التعنت لم يجد عيسى بدا من الاستسلام، فخلع نفسه، واستطاع المهدي بذلك أن يجعل ابنه الهادي ولياً للعهد سنة ستين ومائة. وفي سنة ست وستين ومائة أخذ المهدي البيعة بولاية العهد لابنه هارون الرشيد ليكون خليفة للمسلمين بعد أخيه موسى الهادي(35)، فقال بعض الشعراء:

كَرِهَ الموتَ أبو موسى وقد كان في الموت نجاةٌ وكَرَمْ(36)
خَلَعَ الملكَ وأضحَى مُلبَساً ثوبَ لومٍ ماتُرى منه القدم

اهتمام المهدي بالأسواق:

وفضلاً عما ذكرنا ينبغي أن لاننسى دور الاسواق، حيث أمر الخليفة المهدي بجباية أسواق بغداد، وعمل عليها الأجرة، وجعل سعيد الحرشيّ على ذلك، فكان أول الخلفاء العباسيين ماجبيت أسواق بغداد، فيقال إنّه قام إليه رجل فقال: ((عندي نصيحة، يا أمير المؤمنين! فقال: لمن نصيحتك هذه، لنا أم للعامة أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين! قال: ليس الساعي أعظم عورة وأفحش لؤماً من قابل سعايته، ولن تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي غيظك، أوعدواً فلا نعاقب لك عدوك. ثم أقبل على الناس، فقال: لأعلمن ما تنصح لنا إلاّ بما لله فيه رضى

وللمسلمين صلاح، فإنّما لنا الأبدان وليس لنا القلوب، من استتر عنّا لم نكشفه، ومن أبدانا طلبنا توبته، ومن أخطأ علينا أقلناه عثرته. إني أرى التأديب لوالٍ لايعطف إذا استعطف، ولا يعفو إذا قدر، ولايغفر إذا ظفر، ولايرحم إذا إسترحم، من قلّتْ رحمته واشتدّتْ سطوته وجب مقته وكثر مبغضوه))(37). وسار الخليفة المهدي على خطة أبيه في نقل الاسواق إلى الكرخ(38)، ومن المعروف ان الاسواق تلعب دوراً كبيراً في الاضطرابات والقلاقل في أية مدينة من المدن بسبب نشوب الاختلافات المذهبية(39).

لذا بادر الخليفة إلى نقل الاسواق إلى خارج عاصمة الخلافة(40)، فقد كان يشرف على كل سوق وكل مهنة رجل مختص يسمى متولي السوق(41)، ويوفر لأصحاب الحوانيت الحراس لحماية أسواقهم ليلاً، خوفاً من تحركات العيارين أو هجوم اللصوص(42) ومتابعة العابثين(43).

موقف الخليفة المهدي من العلويين:

ومن أبجديات المعرفة البشرية، ان الانسان يصمد أمام الرصاص، ولكنه لايصمد أمام المنطق، والمنطق المناهض السلطوي يفرض نفسه على المهدي في هذه الحالة، إذ تولد لديه الهاجس الدفاعي والأمني من كل من هب ودب حوله، فاحتاط بحكم فطنته لكل حادث بحسب أهميته، كالحركات والتمردات(44) والانتفاضات التي واجهها سواء أكانت من قبل العلويين أو غيرهم من المناهضين المستهدفين استلاب السلطة منهم، والحري ذكره هنا، هوا ان الخليفة المنصور(والده) أول من احدث شرخاً بين العباسيين والعلويين وهم فروع لدوحة واحدة، وذلك بايذائه بعضاً من العلماء وقتل بني عمومته من العلويين(45).

أما المهدي بعد انتقال الخلافة إليه، فإن عهده قد تميز بالهدوء النسبي، بعد الحركات العنيفة التي كادت أن تعصف بالكيان العباسي في عهد والده، واعمال معول الهدم في صرح دولته، فاتخذ المهدي اجراءات كثيرة من شأنها التخفيف من الشدة التي اصابت الرعية(46) أيام والده، تجسدت في إطلاق سراح السجناء

السياسيين ومنهم العلويون(47)، وإعادة الاموال والضياع المصادرة إلى ذويها(48)، واظهار إستعداده على التسامح مع الطالبيين، وكان تودده إلى يعقوب بن داود الخطوة الأولى في هذا المضمار(49).والحقيقة إن هذا التودد والتحبب نحو يعقوب بن داود، لم يكن بدافع الحاجة إلى خبرات هذا الرجل العلوي، بل كان بهدف تثبيت سلطة متينة الاركان مستديمة السلطان، ولم يتحقق ذلك الاّ بتصفية الخلافات وفض النزاعات بالطرق السلمية بين المنتمين إلى السرحة الواحدة، وهي سرحة الهاشميين(50)، وبخلاف ذلك كانت الخصومات تتأهل أكثر فأكثر وتكون عاقبة الأمر غير محمودة، فيعترض أمن السلطة للزحزحة ان لم نقل إلى الزوال، وزيادة في ترضية العلويين بادر المهدي إلى تعيين يعقوب بن داود وزيراً، كما اتخذه أخاً له في الله(51)، واغدق عليه الأموال وأقطعه الضياع(52).

الا ان يعقوب بن داود لم يقف عند حدود صلاحياته التي منحه اياها الخليفة، فحين سلمه الخليفة المهدي (الحسن بن ابراهيم العلوي) الذي كان سجيناً، اطلق أبو داود سراحه دون الرجوع إلى رأي الخليفة في الأمر، وهذا الموقف تعارض كلياً مع مصلحة السلطة، لاسيما الجانب الأمني، إذ ان هذا الإجراء قد شكل تهديداً مباشراً يمس أمن السلطة(53).

ولم يكن الخليفة المهدي يتوقع من وزيره المقرب أن يقوم بمثل هذا العمل الذي ينم عن تعاطف دفين في صدره مع العلويين(54)، واتاحة الفرصة لهذا المعارض للهرب والعمل على تنظيم صفوف من سيلتف حوله من المناهضين لسلطة المهدي، ونتج عن تصرف الوزير ظرف مناسب لخصومه، فأوغروا صدر المهدي عليه(55)، مثيرين نقمة العامة والخاصة على الخليفة، وكانت النتيجة قيام الشاعر بشار بن برد بهجاء المهدي لانصرافه إلى مجالس الشرب واللهو والمتعة والانس(56)، قائلاً:

لاياس فقير من غنى أبدا   تعبد الذي نال يعقوب بن داود
قد صار من بعد اشراف على تلف   وبعد غل على الزنديق مشدود

أخا لمهدي خـــــلق الله كلـــــهم   يوفى به فوق أعناق الصناديـد

لقد أثارت ثرثرة الشاعروإنطلق يهجو الخليفة المهدي ظناً منه ان بريق زخارف الدنيا خطف بصر المهدي وسلب بصيرته وألهاه عن شؤون رعيته فاستوزر رجلاً كان يخر في بنية أمن الدولة، لو ترك على حاله مدة اعانته على التنسيق مع المعارضين العلويين(57)، والقاء الجنب على مهاد الرفه، غافلاً إلى حدما عن الضعف الذي أصاب أجهزته، بسبب تخويله وزيره الصلاحيات الواسعة، على الرغم من تعاطفه الخفي مع العلويين، ولوكان جهاز أمن الخليفة دقيقاً في رصد نشاطات المعارضة العلوية، ورفع التقارير بشأنه إلى الخليفة، وإنصراف المهدي إلى مجال اللهو والملذات مرضياً حبل الغفلة عن قصد أو غير قصد، لما كتب ليعقوب الوزير إرتقاء هذا المنصب الخطير، واستغلاله لصالح المناهضين العلويين(58)، مستثمراً هذه الفرصة مسترسلاً في تنفيذ مايختلج في صدره، وأول ماقام به من افعال تتعارض مع مصلحة السلطة العباسية وأمن الخليفة، اقدامه على إطلاق سراح المعارض العلوي(الحسن بن ابراهيم)، ثم إظهار اعتقاده عند من يثق بهم بوجوب اسناد الخلافة إلى أكبر ابناء العباسيين، فقد قيل انه كان يرى ان الإمامة هي في أكبر أولاد العباس، وان اعمام المهدي أحق بها من المهدي(59) نفسه. ولم يطلق هذا القول إلاّ لحاجة في نفسه لايصعب على الباحث اكتشافها، وهي دفع الناس إلى الانفضاض من حول المهدي، وحث الناس بشكل غير مباشر على القيام بنشاطات مضادة له وكل ذلك كان ينم عن ميوله العلوية ومعاداته المضمرة للسلطة العباسية التي عجلت بعزله، بعد افتضاح أمره فبادر الخليفة إلى ايداعه السجن(60).

فضلاً عن ماذكر نرى ان هناك سبباً آخر لايخفى دوره من رسم نهايته، بعد وضع حد لنفوذه تمثل في حسد الموالين للمهدي. فضلاً عن نقمة العامة ضده، فسعوا إلى تحجيمه ثم إنهاء دوره، قائلين ان الشرق والغرب في يد يعقوب بن داود وأصحابه، وتسلطه قد تجاوز الحدود المسموح بها وأدركت الأجهزة الأمنية

مدى خطورته وتنامي نفوذه، وخلصت إلى نتيجة مفادها انه يكفيه ان يكتب إلى انصاره والمتعاطفين معه يحثهم على الحركة فلا يتأخرون عن تلبية طلبه فيثورون خلال يوم واحد، للهيمنة على السلطة ثم تسليمها إلى رمزهم العلوي المعارض(اسحق بن الفضل)(61) .

وباسناد من الشيعة الزيدية وعلى رأسهم (الحسن بن صالح بن حي) المتعاون مع العلويين عام 168هـ(62)، وكان ذا تأثير بالغ في إثارة نقمة الناس ضد العباسيين، بسبب قدرته الفائقة في هذا المجال، بكونه فقيهاً متكلماً ومؤلفاً قديراً وله كتب في التوحيد والامامة، وليس غريباً ان يسارع المتأثرون بقوة حججه ومنطقه إلى الاستجابة لاسيما انه داخل مدينة بغداد(63).

ولو لم يتخذ الخليفة المهدي هذا الاجراء، لكانت خطوات يعقوب بن داود ستؤدي إلى مزيد من عدم الاستقرار بسبب تواصل نشاطات المعارضة، كالتي قاموا بها أيام المنصور(64).

الحركات المعادية في عهد الخليفة المهدي:

1- حركة المقنع الخراساني:

في ايران حدثت الدعوة العباسية رجة فجرت لدى الايرانيين تحسساً جديداً، كان من نتائجه ظهور حركات إيرانية متعددة تدعو إلى إعادة مجد ايران القديم بتقاليدها، ودياناتها الموروثة والقضاء على العروبة والاسلام، فكانت حركات بها فريد وسنباذ واسحق الترك وأستاذيس والمقنع مظهراً من مظاهرها(65)، الذي خرج في ناحية مرو بهدف تقويض الحكم الاسلامي-العربي، واقامة الدولة الفارسية(66)، إن المقنع رفع شعارات مختلفة منها:

1- إدعى الألوهية ولذلك فإن إطلاق اسم نبي عليه يعدّ خطأ من الناحية التاريخية.

2- نادى بالحلول والتناسخ فقال ((ان الله خلق آدم في صورته ثم في صورة نوح ثم صورة إبراهيم ثم موسى وعيسى ومحمد(α) إلى أبي مسلم الخراساني ثم إليه))، ولذلك طلب من أتباعه السجود له(67).

3- إدعى بإنه بعد وفاته سيعود إلى هذه الأرض لينشر العدل وليحكم أتباعه هذا العالم(68).

4- قدس أبامسلم الخراساني ونادى بأفضليته حتى على الرسل.

5- طالب بالثأر لمقتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب.

6- اسقط الفرائض من صوم وصلاة وزكاة.

7- طبق تعاليم مزدك على أتباعه ولاسيما مايخص منها إباحة النساء والأموال في مابينهم(69).

8- أباح الحق لاتباعه بقتل كل من يخالفهم في المعتقد وأن يسبوا نساءهم وأطفالهم ويسلبوا وينهبوا ممتلكاتهم.

وهو رجل فارسي من مدينة مرو ومن رجال أبي مسلم المقربين إليه واسمه هاشم بن حكيم، وقد لقب نفسه بالمقنع لأنه كان يضع على وجهه قناعاً موشى بالذهب كي يخفي وجهه الدميم المشوه، كما يزعم أتباعه. وكان ظهور المقنع في عهد المهدي، قد أقلق الخليفة ظهوره، ولاسيما أن اتباعه كثروا وأحرز بعض الانتصارات، وأسر كثيراً من نساء المسلمين وأطفالهم، وبدأ يهاجم القرى والقوافل الاسلامية وزاد خطره على السلطة مما حدا بحميد الطائي والي خراسان إلى الأمر باعتقاله(70).

وعندئذٍ هرب المقنع مع أصحابه وأتباعه إلى بلاد ماوراءِ النهر(71)، واستقر في كش في حصن سنام، وحاصره الجيش العباسي مدة من الزمن، وبدأ الجيش يضيق الخناق عليه شيئاً فشيئاً وسيطر على منافذ القلعة، لذا جمع المقنع نساءه وأصحابه المخلصين له وأخبرهم بأنه سيختفي، وأنه عائد بعد مدة من الزمن سيملأ الأرض عدلاً بعد إزالة الظلم والجور، ثم سقى أصحابه شراباً مسموماً فماتوا جميعاً وألقى

بنسائه وأطفاله في تنور معد لهذا الغرض وأحرقهم جميعاً، ولم يكتف عند هذا الحد، بل أذاب النحاس والقطران في التنور فألقى بنفسه فيه حتى لايعلم العباسيون بجثته وبجثة عائلته خوفاً من التمثيل بهم بعد مماتهم(72)

وهكذا انتهت حركة المقنع سنة 163هـ على أوثق الروايات التاريخية(73).

2- حركة يوسف بن ابراهيم البَرم(74):

في سنة 166هـ خرج يوسف بن ابراهيم، وهو الذي أطلق عليه يوسف البَرم بخراسان متمرداً على خلافة المهدي(75)، وهو رجل من موالي ثقيف ببخارى، يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتمع معه خلق من الناس، ولمازاد خطره على الخلافة العباسية، أرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني الذي قاد جيشاً كبيراً بغية القضاء عليه قبل استفحال أمره في المنطقة، فتوجه إليه يزيد ودخلاً في معركة شرسة، فأقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فتمكن القائد يزيد من أسر يوسف البرم، وبعثه إلى المهدي، وكان معه بعض أصحابه الذين وقعوا في الأسر كقائدهم في أثناء المعركة، فلما انتهى بهم إلى النّهروان حمل يوسف البرم على بعير قد حُوّل وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، وما ان حط رحالهم في بغداد، أدخلوه على الخليفة، الذي أعطى أوامره إلى قائده هرثمة بن أعين أن يتعامل معهم، الذي أقدم على قطع يدىْ يوسف ورجْليه وضرب عنقه مع عنق أصحابه، ولم يكتف عند هذا الحد، بل صلبهم على جسر دجلة الأعلى، لكي لايتقدم أحدٌ إلى احداث اضطراب الأوضاع في خراسان أو أي إقليم آخر(76).

3/حركة الزندقة(77):

إنتشرت في المجتمع الاسلامي منذ العصر الأموي ظاهرة الزندقة(78)، وازدادت حدة ونشاطاً في العصر العباسي الأول. وقد أطلقت الكلمة في الأصل على أتباع الديانات المجوسية، ثم تدرّجت فشملت الملحدين، والمتشككين في الدين، ثم إتسع مدلولها ليشمل الشعوبية، واستخدمت السلطة العباسية هذا المدلول

الاصلاحي لضرب خصومها السياسيين والدينيين، وأطلقت أخيراً على بعض الخلفاء والمجّان والظرفاء(79).

فيعرف المسعودي(80) الزنديق بانه الشخص الذي ترك الاظستا-الكتاب المقدس لدى الزرادشية، واتبع الزند وهي شروح وتفسيرات جديدة للاظستا. أما ابن قتيبة(81) فيشير إلى أن الزندقة كانت في قريش أخذوها من الحيرة قبل الاسلام. في حين ان الجاحظ يربط الزندقة بالشعوبية من حيث طبيعتها وأهدافها المعادية للتراث العربي والاسلام معاً. أما ابن النديم(82) فيرى ان الزنادقة تعد من ضمن المانوية، بينما يتفق كل من الصولي(83) والثعالبي(84)، بأن الزنديق لم يكن أكثر من ماجن ظريف. وهناك من يذهب إلى أن الزنادقة هم من يبطنون الكفر ويتظاهرون بالاسلام(85).

والحقيقة أن الزندقة حركة سياسية مغلّفة بإطار فكري ديني منظم، ينادي أتباعها بنشر مذهب المانوية بكل مايحويه من عقيدة دينية وتراث فكري، كبديل للتراث الاسلامي-العربي، وهي دعوة مجوسية ترمي إلى هدم الدولة الاسلامية من أساسها، واقامة الدولة الفارسية مكانها(86).

أدرك الخليفة المهدي مدى الخطر الذي يشكّله الزنادقة على الدين والدولة معاً، فتتبعهم في سائر الآفاق من خلال حملات منظمة(87)، حين تولى الخلافة بعد والده وزاد عليه في هذا المضمار بحق أهل الالحاد والزندقة، وما أبقى من سبيل إلى التطلب معهم إلاّ سلكه للقضاء على هذه الفئة الضالة والمضلة وعدم فسح المجال أمام عبثها بأمن الخلافة وسلطتها، فتطلع إليهم وفتك بهم دون رأفة خشية انتشار هذه الظاهرة الخطيرة واستفحال أمرها بين الناس(88).

فلم يتردد المهدي في قتل كائن من كان، إذا حامت حوله شبهة الزندقة، أو ثبتت بحقه التهمة(89) فعلاً، كما يتضح ذلك في قتله ابن وزيره المتهم بهذه التهمة، وهو (صالح أبو عبدالله بن معاوية) ويرجح بعض المؤرخين سبب قتله إلى الحسد الذي أوغر به الحساد صدر الخليفة، ولكن هذا الترجيح مردود على أصحابه، لأن

القتيل تعرض لاختبار من الخليفة، فثبت انه نسي القرآن الكريم، بعد حفظه، فاستدل بذلك على إنضمامه وانخراطه إلى هذه الفئة، فلولا انتماؤه إليها وانغماسه في أفكارها الهدامة على صعيد السلطة، ألا وهو القرآن الذي يعد ستور الخلافة العباسية آنئذٍ يرجعون إليه في كل صد غيرة وكبيرة تخص شؤون السلطة والرعية(90).

وبلغ من تشدد المهدي وتصلبه مع الزنادقة انه كان يبحث عنهم في الآفاق من كل حدب وصوب، بوساطة حرسه الخاص وأجهزة أمنه الأخرى(91)، فاذا ظفر بأحدهم قتل دون تمهل عند توافر الأدلة، وعلى النقيض من ذلك كان يخلي سبيلهم كما حدث لكل من (داود بن روح بن حاتم، اسماعيل بن مجالد، محمد بن أبي أيوب المكي، ومحمد بن طيفور) عام 166هـ وهم متهمون بالزندقة، فلما مثل هؤلاء بين يدي الخليفة ،تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود بعد استتابتهم أخلى سبيلهم(92).

لقد استمر في حربه الشعواء ضد هؤلاء الزنادقة على الرغم من مكانتهم زلتهم الاجتماعية من دون ان يحسب لمراتبهم الثقافية والأدبية حساباً في جهة تمردهم على الاسلام، فشمل القتل بشار بن برد الشاعر المعروف لدى الخاصة والعامة عام 167هـ لكونه مرمياً بالتهمة نفسها التي أطاحت برؤوس الكثيرين من الزنادقة والمشتبهه فيهم(93).

والجدير ملاحظته هو ان المهدي قد تولى زمام السلطة عام 158هـ، ولم يدرِ ي خلده بادئ ذي بدء تاسيس جهاز خاص بمكافحة الزندقة إلاّ بعد استفحال امرهم وتنامي نفوذهم وتأثيرهم على وضع الناس بشكل ملحوظ(94)، فقرر استحداث جهاز خاص على رأسه صاحب الزندقة أوكل إليه مهمة مجابهة هؤلاء واجتثاث جذورهم واستئصالها من بين ظهراني الرعية كي لايتيسر المجال لهم يبثون سمومهم القاتلة في النفوس.

ثم صور الخليفة أساليب المكافحة فخصص سجناً خاصاً بالمتهمين بالزندقة لعزلهم عن السجناء الآخرين كي لايتأثر هؤلاء بأفكارهم وبمبادئهم، فضلاً عن توسيع صلاحيات صاحب الزندقة لتمكينه من تقوية مركزه وعدم ترك من هب ودب للعبث بالسلطة العباسية(95).

ولم يقتصر الخليفة المهدي على مكافحة الزنادقة في حياته، بل أوصى ابنه الهادي بملاحقة هؤلاء، فقد قال المهدي في وصيته لموسى الهادي يوماً حين قدم إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب فضرب عنقه(96)، كي يكون عبرة لغيره وترسيخاً لثوابت أمن دولته، ثم أوصى إبنه(97) قائلاً: ((يابني ان صار لك هذا الأمر، فتجرد لهذه العصابة، يعني أصحاب ماني...كإجتناب الفواحش...فرفع فيها الخشب وجرد فيها السيف... لو عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عيناً تطرف))(98).

ولم يقف المهدي عند حدود الوصية، بل تحداها إلى قتل كل من اتهم بالزندقة سواء أكان ذلك أمراً حقيقياً أم أنه نتيجة وشاية، كما حدث لكل من عبدالرحمن بن سعيد الأبرص(99) وعمارة بن حمزة(100)، وحماد بن عجرد(101)، ومطيع بن اياس، وكان الخليفة المهدي جزاراً للزنادقة(102)، على الرغم من عفوه عن جماعة من هؤلاء عام 161هـ ومنهم(داود بن روح بن حاتم ومحمد بن طيفور) اللذين أقرا بزندقتهما فاستتابهما فقبلا التوبة فأخلى سبيلهما(103).

ولقد أدرك المهدي أهمية سلاح آخر لايقل فعالية وتأثيراً عن سلاح المال والطاقة البشرية المتجسدة في الأجهزة الأمنية، وهو سلاح الفكر المتجسم في النقاش والجدال المنطقي القائم على الأدلة والبراهين فزج به إلى ساحة المعمعة الفكرية للرد على الزنادقة(104)، فأقدم على تقريب العلماء والفقهاء الضالعين في الفكر الاسلامي والراسخين في علومه طالباً منهم تصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين(105)، وطلب من الجدليين وأصحاب الرأي مناقشة الزنادقة وتفنيد أقوالهم، فأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين

وأوضحوا الحق للشاكين، مستهدفين تصحيح المسار الفكري ونفض غبار الانحراف عنه(106).

ومما يستحق الذكر هو أن الزندقة لم تقتصر على الرجال فقط، بل تفشت في الأوساط النسوية ايضاً(107).

موقف المهدي من الشعوبية:

ولم يقتصر الخليفة المهدي على مكافحة الزنادقة؛ بل ناهض الشعوبية التي تعد حركة فكرية اجتماعية قامت بها فئات غير عربية، بهدف ضرب العالم العربي الاسلامي من خلال ثقافته وتراثه، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية ومهاجمة التراث العربي الاسلامي والتشكيك بدور العرب التاريخي(108)، ولما كانت العروبة والاسلام صنوين مترابطين لايمكن فصلهما خلال القرن الأول الهجري وحتى نحو نهاية القرن الثاني الهجري، لذلك لم تهمل الشعوبية الإسلام، بل هاجمته محاولة بث روح التشكيك في قيمه ومبادئه ونشر روح الاستخفاف والاستهتار عموماً تحت ستار الظرف والمجون ومن هنا ارتبطت الشعوبية بالزندقة(109).

ولقد أدرك المهدي أهمية استخدام سلاح آخر لايقل فعالية وتأثيراً عن سلاح المال والطاقة المتجسدة في القوة المسلحة في هدم كيان الأمة والتشكيك في ذاتها سياسياً وحضارياً، وهو سلاح الفكر المتجسم في الشعوبية(110).

وهاجمت الشعوبية انساب العرب وأظهرت أنها أنساب اسطورية. فقرر الخليفة المهدي الرد على الشعوبية، حيث قام المثقفون العرب من جانبهم بتحدي الشعوبية على النطاق الفكري والجدل المنطقي القائم على الأدلة والبراهين، فزج به إلى ساحة المعمعة الفكرية للرد على عناصرها، فأقدم على تقريب العلماء والفقهاء الضالعين في الفكر الاسلامي والراسخين في علومه، طالباً منهم تصنيف كتب الجدل في الرد على الشعوبيين والملحدين، وطلب من الجدليين وأصحاب الرأي مناقشة الشعوبيين وتنفيد اقوالهم، فأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه

الملحدين وأوضحوا الحق للشاكين، مستهدفين تصحيح المسار الفكري ونقض غبا الانحراف عنه(111).

ولو غض المهدي الطرف عن هؤلاء، لعظم شأنهم وصار لهم نفوذ يصعب التصدي لها، وكانوا يشكلون خطراً عظيماً على الدين والدولة معاً، لذلك أعلن الخلفاء العباسيون حرباً ضروساً عليهم وقبروا حركتهم التي تفوح منها رائحة هد ونسف العروبة والاسلام سواء بسواء(112).

لذا أدرك أنصار وأصحاب العروبة والاسلام من المثقفين ميول أهل العصر الجديدة وأساليب الشعوبيين لاجتذابهم، فكتبوا سلسلة من المقالات والرسائل والكتب التي تمس مظاهر محسوسة عند أهل العصر، وهكذا نشأ أدب عربي إسلامي موافق لذهنية وعقلية العصر ومرتكز على الأسس الموضوعية للعلوم الإنسانية العربية. وقد نجح الجاحظ المتوفي عام 255هـ(113) وهو المثقف المعتزلي المتسلح بالمنطق وأساليب الجدل اليونانية في دحض تقولات وخزعبلات الشعوبية والبت في مجموع كتبه ورسائله التي ألفها.

ولم تقف المسيرة عند الجاحظ، بل جاء ابن قتيبة الدينوري المتوفي 276هـ، ليكمل جهود الجاحظ في هذا الميدان، فزود مثقفي عصره بمقتطفات مما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف الانسانية استقاها من مصادرها الأصلية متبعاً طريقة الجاحظ التوفيقية المرنة واسعة الأفق(114). وهكذا فقدت الشعوبية فاعليتها أمام مرونة أنصار العروبة، فاعترف الكتاب الشعوبيون ومن لف لفهم من الملحدين بفشلهم في الصراع(115).

العلاقة بالبيزنطيين:

استمرت حرب الحدود بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية ناشطة في عهد الخليفة المهدي، وقام الطرفان بغارات متبادلة(116)، لم تغيّر من الوضع الجغرافي على الأرض، وفي خطوة لافتة، استغل المهدي الفوضى التي أعقبت وفاة الامبراطور الرابع واعتلاء زوجته إيرين عرش الأمبراطورية في

عام(164هـ/781هـ)، فجّهز حملة عسكرية ضخمة عهد بقيادتها إلى ابنه هارون، وأمره بمهاجمة القسطنطينية، توغل هارون في عمق الأراضي البيزنطية حتى بلغ خليج القسطنطينية(117)، وهدد العاصمة البيزنطية، فاضطرت الامبراطورة إيرين التي رأت نفسها في موقف حرج لايتيح لها التصدي للتوغل الإسلامي(118)، أو المساومة، للخضوع لشروط هارون بدفع الجزية وتبادل الأسرى، على أن يستمر الصلح لمدة ثلاثة أعوام(119) وقال مروان بن ابي حفصة في هذه الغزوة لهارون:

أطفْتَ بقُسطنطينيةِ الروم مُسْنِداً　　　إليها القَنا حتى اكتسلي الذُّلَّ سورها

ومارمْتَها حتى أتَتك مُلوكُها　　　بِجزْيَتها والحَرْبُ تُغلي قدورُها(120).

وفاة المهدي:

خرج المهديّ من بغداد لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر المحرم سنة 169هـ(121) إلى الجبل، فنزل قرية يقال لها الرَّذّ من أرض ماسبذان، وخرج يتصيّد، فأقام سائر يومه يطارد، واتبعت الكلاب ظبياً، وأمعن في الطلب، وإقتحم به الفرس في أثره، فصدمه باب الخربة، وحُمل إلى مضاربه، فتوفي لثمان بقين من المحرّم سنة 169هـ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة(122).

وقيل إنه أصبح ذات يوم، فقال لعليّ بن يقطين ولجماعة من جلسائه وأصحابه المقربين منه، أصبحت اليوم جائعاً، فأُتى بخبز ولحم بارد، فأكل منه المهدي وأكل أصحابه معه، ثم قال، إنّي داخل هذا البَهْو فنائم فيه، فلا تنبهوني حتى أنتبه! فدخل فنام، ونام القوم في الرواق، فما راعهم إلاّ بكاؤه، فسارعوا إليه، حيث سألوه عن حاله، فقال: هذا مانصه((أرأيتم مارأيت؟ قالوا: مارأينا شيئاً! قال: رأيت في المنام شيخاً لو رأيته بين مائة ألف لعرفته، وهو آخذ بعضادة البَهْو، وهو يقول(123):

كأني بهذا القَصر قد باد أهلُه　　　وأوحَشَ منه ركنهُ ومنازِلُهْ

وصارَ عميدُ القصرِ من بعد بَهجة　　　ومُلكِ إلى قبرٍ عَلَتْه جنادلُه

فلم يبق إلاّ ذكرهُ وحديثُه　　　تنادي عليه مُعولاتِ حلائلُهْ(124)

فلم يمر بعد ذلك إلاّ عشرة أيام حتى إختطفته يد المنون، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً، وصلى عليه إبنه عليّ بن ريطة، ودفن بالرّذ، وقيل عن موته، إنه مات مسموماً(125)، وقال سلْم الخاسر يرثيه في قصيدة منها(126):

وباكية على المهدى عَبْرَى ... كأنَّ بها، وماجُنّتْ، جنونا

وقد خَمَشَتْ محاسنها وأبدت ... غدائرَها وأظهرت القُرُونا

لئن بلى الخليفة بعد عز ... لقد أبقى مساعِيَ مايَلينَا

سلام الله عده كل يوم ... على المهديِّ حين ثوَى رَهينا

تركنا الدين والدنيا جميعا ... بحيث ثوى أميرُ المؤمنينا.

هوامش الفصل الخامس:

1- فاطمة محمود: المرجع السابق 219/1.

2- الطبري:المصدر السابق 507/8-508.

3- محمد الخضري: المرجع السابق ، ص87.

4- اليعقوبي: المصدر السابق 276/2؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص67.

5- الطبري: المصدر السابق 117/8.

6- نفسه 117/8.

7- نفسه 117/8.

8- اليعقوبي: المصدر السابق 262/2-263.

9- نفسه 262/2-263.

10- نفسه 277/2.

11- أحمد مختار العبادي:المرجع السابق، ص67.

12- الطبري: المصدر السابق، 133/8.

13- نفسه 129/8؛ أحمد مختار: المرجع السابق، ص68.

14- فاروق عمر: المرجع السابق، ص118-119.

15- البلاذري: المصدر السابق ، 1938م، ص566؛ الازدي: المصدر السابق ، ص187.

16- المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص161؛ عطا سلمان: النظر في المظالم، ص111.

17- الطبري: المصدر السابق 134/8؛ ابن الأثير: المصدر السابق 57/5-58.

18- الماوردي: الاحكام السلطانية، ص78؛ ابو يعلي الفراء: الاحكام السلطانية، القاهرة، 1938م، ص59؛ النويري: نهاية الأرب 207/6؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، بيروت، 1853م، مج3 ق127/1.

19- المسعودي: المصدر السابق 323/3؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص217؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق، ص49.

20- ابن دحية الكلبي: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، بغداد، 1946م، ص31.

21- علي حسين الخربوطلي: المهدي العباسي، ص55؛ د.أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص151.

22- علي حسين: المرجع السابق ، ص55.

23- ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق ، ص46؛ المسعودي: المصدر السابق 322/3؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق، ص196-197؛ حمدي عبدالمنعم: ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصاته، بيروت، 1983م، ص40.

24- الطبري: المصدر السابق 173/8-174؛ الأزدي: المصدر السابق ، ص255-256؛ ابن الأثير: المصدر السابق 83/6.

25- ابن الفقيه الهمداني: المصدر السابق ، ص46؛ المسعودي: المصدر السابق 323/3؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص89.

26- ابن الفقيه: المصدر السابق ، ص46؛ المسعودي: المصدر السابق 323/3؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق، ص196-197؛ حمدي عبدالمنعم: ديوان، ص81.

27- الطبري: المصدر السابق 136/8.

28- نفسه 195/8؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص89.

29- الطبري: المصدر السابق 192/8؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص89-90.

30- الطبري: المصدر السابق 195/8؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص90.

31- ابن الأثير: المصدر السابق 122/6؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص154-155؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق، ص292.

32- الطبري: المصدر السابق 24/8-25؛ ابن الأثير: المصدر السابق 577/5.

33- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص457؛ الطبري: المصدر السابق 373/8-374؛ المسعودي: المصدر السابق 334/3؛ ابن واصل الحموي: المصدر السابق ق1ج500/2؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق ، ص424.

34- الجهشياري: المصدر السابق ، ص145-146؛ فاطمة محمود الجوابرة: المرجع السابق 226/1-227.

35- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص457؛ الطبري: المصدر السابق 124/8-128؛ المسعودي: المصدر السابق 234/3؛ ابن واصل الحموي: المصدر السابق ق1ج500/2؛ عبدالجبار الجومرد: المصدر السابق ، ص424؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 227/1.

36- الطبري: المصدر السابق 127/8.

37- اليعقوبي: المصدر السابق 280/2.

38- البلاذري: المصدر السابق 361/2؛ ابن الخطيب البغدادي: المصدر السابق 82/1، 43/12.

39- الطبري : المصدر السابق 468/8؛ ابن الجوزي: المنتظم، حيدر آباد، 1359هـ، 146/8؛ بدري محمد فهد: العامة في بغداد خلال القرن الخامس الهجري، بغداد، 1967م، ص37؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص25.

40- البلاذري: المصدر السابق 361/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق ، ص239-241؛ الطبري: المصدر السابق 653/7.

41- ابن الاعثم الكوفي: المصدر السابق ، 275/8.

42- الذهبي: العبر في من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1960م، 76/3؛ رمزية الأطرقضي: المرجع السابق، ص223.

43- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص239؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 2/1؛ كي لسترانج: بلدان الخلافة، ص31؛ أحمد عبدالعزيز:المرجع السابق، ص26.

44- ابن قتيبة الدينوري: المصدر السابق 161/1-163، 164؛ مؤلف مجهول: العيون، 222/3، 223.

45- السيوطي: المصدر السابق ص305؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص86.

46- التنوخي: الفرج بعد الشدة، 19/3-22؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق 79/1؛ أحمد شلبي: التاريخ الاسلامي، القاهرة، 1978م، 258/3-259.

47- اليعقوبي : المصدر السابق 394/2-395؛ المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ الاصفهاني: مقاتل، ص398؛ ابن الأثير: المصدر السابق 41/6.

48- ابوحيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، القاهرة، 1953م، 34/2؛ ابن الاثير: المصدر السابق 30/6.

49- الطبري: المصدر السابق 117/8-118؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، طبعة بيروت، 1965م، ص343؛ أحمد شلبي: المرجع السابق 118/3-119.

50- الازدي: تاريخ الموصل طبعة القاهرة، 1967م، ص236؛ المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ ابن الأثير: المصدر السابق 38/6؛ غوستاف فون فربناوم: شعراء عباسيون، ترجمة د.محمد يوسف نجم، بيروت، 1959م، ص99.

51- ابن الأثير: المصدر السابق 38/6؛ ابن خلكان: المصدر السابق 20/7-24؛ ابن تغري: المصدر السابق 37/2-38.

52- المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ والتنبيه والاشراف، ص343؛ ابن الأثير: المصدر السابق 70/6-72؛ ابن خلكان: المصدر السابق 23/7-24؛ عبدالرحمن سبط بن قنيتو الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك في سير الملوك، تحقيق، مكي السيد جاسم، بغداد، 1962م، ص133.

53- الذهبي: المصدر السابق 247/1؛ الصفدي: نكت الهميان، القاهرة، 1911م، ص310-311؛ ابن خلدون: المصدر السابق 211/3.

54- نفسه.

55- عبدالرحمن سبط: المصدر السابق ، ص102؛ الذهبي: المصدر السابق 247/1؛ الصفدي: المصدر السابق ، ص310-311.

56- الطبري: المصدر السابق 156/8؛ محمد صادق عفيفي: بشار بن برد: دراسة وشعر، بيروت، 1983م، ص9.

57- الطبري: المصدر السابق 156/8؛ ابن المصدر السابق: الكامل 70/6؛ ابن خلكان: المصدر السابق 22/7؛ أحمد أمين: ضحى ، 292/3.

58- الطبري: المصدر السابق 125/8؛ المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص87.

59- الطبري : المصدر السابق 125/8؛ المسعودي: المصدر السابق 382/3؛ ابن الاثير: المصدر السابق 94/6.

60- الطبري : المصدر السابق 125/8؛ المسعودي : المصدر السابق 382/3؛ ابن الاثير : المصدر السابق 94/6.

61- ابن الاثير: المصدر السابق 94/6.

62- ابن النديم: المصدر السابق ، ص175.

63- نفسه، ص175.

64- ابن الأثير : المصدر السابق 43/6ومابعدها؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق 79/1.

65- ولهاوزن: الخوارج والشيعة، القاهرة، 1958م، ص140؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، ص137.

66- النوبختي: فرق الشيعة، ص28، 41؛ النرشخي: تاريخي بخاري، طهران، 1939م، ترجمة انجليزية للمستشرق فراي، 1931م، ص63-74؛ مؤلف مجهول: العيون 3 ص273؛

البغدادي: المصدر السابق ، ص243؛ ابن الاثير: المصدر السابق 25/6-26؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص244-245.

67- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص69.

68- فاطمة محمود: المرجع السابق 226/1.

69- فاروق عمر: المرجع السابق 142/1.

70- النرشخي: المصدر السابق ، ص63-74؛ ابن الاثير: المصدر السابق 25/6، 34.

71- البيروني: المصدر السابق ، ص211؛ البغدادي: المصدر السابق ، ص257؛ ابن الاثير: المصدر السابق 13/6.

72- فاروق عمر: المرجع السابق، ص144.

73- الطبري: المصدر السابق 144/8؛ النرشخي: المصدر السابق ، ص63، 74؛ البيروني: المصدر السابق ، ص211؛

Wiet: G. "L`empire nēobyzantin des, Omayyades εt Impire neo. Sassainde ded, Abbasided, ìn cahiers d`histoire madi ale, 1953, pp. 63-71.

74- الطبري: المصدر السابق 124/8.

75- اليعقوبي: المصدر السابق 278/2.

76- نفسه 278/2؛ الطبري: المصدر السابق 124/8.

77- الزندقة: هي كلمة فارسية الأصل(زندقطرد) وعربت لتصبح زند الحياة ومعناها دوام الدهر، ابن دريد: جمهرة اللغة العربية، حيدر آباد، الدكن، 1345هـ، 504/3؛ الفيومي: المصباح المنير، صححه مصطفى السقا، القاهرة، د.ت، 75/1، ينظر، عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص110؛ عبدالله سلوم السامرئي: الشعوبية حركة مضادة للاسلام، بغداد، 1984م، ص81.

78- المسعودي: المصدر السابق 259/1؛ أحمد شلبي: المرجع السابق 216/3؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص155.

79- المسعودي: المصدر السابق 168/2.

80- نفسه 168/2.

81- ابن قتيبة: المعارف، دار الكتب، 1960م، ص621.

82- ابن النديم: المصدر السابق ، ص334؛ فاروق عمر: المرجع السابق، ص151.

83- الصولي: أدب الكاتب، القاهرة، 1341هـ ص.

84- الثعالبي: ثمار القلوب، تحقيق محمد أبوالفضل، القاهرة، 1965م، ص128.

85- ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، بيروت، 1961م، 127/1. ولمزيد من التفاصيل عن الزندقة، يراجع: سميرة الليثي: الزندقة والشعوبية، القاهرة، 1968م، ص24.

86- عباس محمود العقاد: التفكير فريضة اسلامية، ص67.

87- الجهشياري: المصدر السابق ، ص165؛ ابن كثير: المصدر السابق 149/12.

88- اليعقوبي: المصدر السابق 400/2؛ شاكر الكتبي: فوات الوفيات، دار صادر، 1973م، 400/3-401؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص317-319؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص104.

89- اليعقوبي: المصدر السابق 400/2-401؛ المسعودي: المصدر السابق 381/3؛ الثعالبي: ثمار القلوب، تحقيق، محمد أبو الفضل، القاهرة، 1965م، ص46.

90- اليعقوبي: المصدر السابق 400/2؛ الطبري: المصدر السابق 139/8-140؛ المسعودي: المصدر السابق 381/3؛ الثعالبي: ثمار، ص46؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص104.

91- مؤلف مجهول: العيون 179/3؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص161؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص109-110.

92- الطبري: المصدر السابق 163/8؛ ابن الأثير: المصدر السابق 73/6.

93- ابن الأثير: المصدر السابق 74/6؛ الصفدي: الوافي 114/13-145؛ ابن كثير: المصدر السابق ، 108/12.

94- ابوالفرج الاصفهاني: المصدر السابق 307/14-308.

95- نفسه 307/14-308؛ غرس نعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي: المصدر السابق دمشق ، ص193؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص108.

96- اليعقوبي: المصدر السابق 340/2؛ الطبري: المصدر السابق 220/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 104/6-105.

97- اليعقوبي: المصدر السابق 400/2؛ ابن خلكان: المصدر السابق 462/2؛ السيوطي: المصدر السابق ص32.

98- الطبري: المصدر السابق 220/8؛ بسام العسلي: فن الحرب الاسلامية في العصر العباسي، بيروت، 1988م، 513/2.

99- الخطيب البغدادي: المصدر السابق 84/11-85.

100- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 230/12.

101- الجاحظ: الحيوان 443/4؛ ابوالفرج: المصدر السابق 272/11، 305/14-307؛ الثعالبي: ثمار، ص176؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 343/3.

102- شاكر الكتبي: فوات 400/3-401؛ الصفدي: الوافي 300/3.

103- الطبري: المصدر السابق 163/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 73/6؛ شاكر الكتيبي: فوات 400/3-401؛ الصفدي: المصدر السابق 300/3؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص111.

104- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص112.

105- المقريزي:كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة، 1934م، 15/1؛ عبدالله سلوك السامرائي: الشعوبية، ص161؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص 113-114.

106- المقريزي: المصدر السابق 15/1؛ عبد سلوم:المرجع السابق، ص161؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص112.

107- الطبري: المصدر السابق 191/8؛ أحمد عبدالعزيز:المرجع السابق، ص113.

108- الثعالبي: المصدر السابق ، ص128؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص113-114.

109- فاروق عمر: المرجع السابق، ص164-165.

110- المقريزي: السلوك، 15/1؛ عبدالله سلوم: المرجع السابق ، ص81؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص112.

111- فاروق عمر: المرجع السابق 164/1-165.

112- سميرة الليثي: المرجع السابق ، ص24.

113- الجاحظ: الحيوان 28/1؛ ثلاث رسائل، ص42.

114- ابن قتيبة: المعارف، دار الكتاب، 1960م، ص621.

115- فاروق عمر: المرجع السابق 170/1.

116- الطبري: المصدر السابق 144/8-145.

117- خليفة بن خياط: المصدر السابق 171/2؛ اليعقوبي: المصدر السابق 282/2؛ الطبري: المصدر السابق 152/8-153.

118- الطبري: المصدر السابق 8/152-153؛ رستم أسد: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1988م، 1/295.

119- الطبري: المصدر السابق 8/151-153؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص156.

120- الطبري: المصدر السابق 8/153؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص93.

121- الطبري: المصدر السابق 8/187؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص74.

122- اليعقوبي: المصدر السابق 2/281؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 1/227.

123- اليعقوبي: المصدر السابق 2/281.

124- نفسه 2/282؛ السمعودي؛ المصدر السابق 3/332.

125- اليعقوبي: المصدر السابق 2/282؛ المسعودي : المصدر السابق 3/333؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص95-96.

126- السيوطي: المصدر السابق ، ص273-274.يبظر سلم الخاسر (ت 168ه/802م) انه شاعرخليع ماجن، من اهل البصر من الموالى ، ابطن الكفر واظهر الاسلام . ابن المعتز: طبقات الشعراء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1956م، ص93؛ ابن النديم : المصدر السابق ، ض473.

الفصل السادس

الهادي169ه

الهادي أبومحمد موسى بن المهدي بن المنصور، وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران(1)، بويع بالخلافة بما سبذان، وكان غائباً بجرجان، وأخذ له أخوه هارون البيعة(2)، وكتب إليه بالخبر، وأرسل إليه بخاتم الخلافة وبالقضيب والبُردة والتعزية والتهنئة(3)، وكان ذلك في 22محرم سنة 169هـ. وارتحل من جرجان بعد ثلاثة أيام إلى العراق، فنزل بعيسا باد(4)، وكان المهدي بنى هذا الموضع، فاكمله موسى الهادي، وكان به منزله. وكان يسمى موسى أطْبِق؛ لأن شفته العليا كانت تقلص، فكان أبوه وكل به في حضره خادماً كلما رآه مفتوح الفم قال: موسى أطبق، فيفيق على نفسه ويضم شفتيه، فشهر بذلك(5).

وفي بغداد عقدت الخيزران زوجة المهدي اجتماعاً ضم الربيع بن يونس نائب الخليفة المهدي، ويحيى البرمكي لبحث الموقف، على الرغم من ان الأخير اعتذر عن الحضور، فقد تقرر في الاجتماع اعطاء الجند راتب سنتين تجنباً لشغبهم بعد سماعهم بموت الخليفة، كما تقرر في الاجتماع اعلام الولايات بموت المهدي والبيعة للهادي خليفة ولها رون ولياً للعهد(6).

قيل: لاتعرف امرأة ولدت خليفتين إلاّ الخيزران أم الهادي والرشيد، ووالدة بنت العباس العبسية زوج عبدالملك بن مروان ولدت الوليد وسليمان، وشاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد كسرى ولدت للوليد بن عبدالملك يزيد الناقص وابراهيم، ووليا الخلافة(7). وقال عنه، كان يتناول المسكر، ويلعب، ويركب حماراً فارهاً، ولايقيم أبهة الخلافة، وكان مع ذلك فصيحاً، قادراً على الكلام، أديباً، تعلوه هيبة، وله سطوة وشهامة(8). فضلاً عماسبق، كان جباراً، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المُرهَفةِ، والأعمدة، والقِسِيِّ الموترة، فاتبعه به في ذلك، وكثر السلاح في عصره(9).

شخصية الهادي:

المصادر والمراجع العربية تصف الهادي بالقوة الجسمانية وبالغلظة والشراسة، والقوة والبأس، فيتحدث أن أحد الخوارج حاول أن يقترب منه بهدف قتله، وكان الخليفة بمفرده، فلم يتحرك إلى أن قرب منه الخارجي، فصاح: اقتلاه فظن الخارجي أن وراءه الحراس، فالتفت وراءه فهجم الخليفة عليه وانتزع سيفه وقتله(10). وهذا يدل على رباطة جأشه. فضلاً عن ذلك يقال عنه أنه كان يثب على فرسه وعليه درعان من الفولاذ، وهذا يدل على قوته(11).

هذا ولاننسى ان الهادي كان يحب الغناء والشرب واللهو(12)، فقرب إليه ابراهيم الموصلي المغني العراقي المشهور، وابنه اسحاق الموصلي. ويقال انه اعطى ابراهيم الموصلي مبلغ خمسين ألف دينار لأنه غناه ثلاث أبيات أطربته. ولهذا كان ابراهيم يقول: ((والله لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب))(13).

وكان الهادي حازماً لايشغله اللهو ولايبعده عن واجبه تجاه الرعية، بل يعطي الجد وقته، ويدع للهو مجالسه، لم يستفد من ولاءٍ أكثر مما يجب أن يستفيد ولا أودى منه جاد وان سبب جده للهادي بعض الضيق والخناق، بيت المال فليأخذ منه ماشاء(14).

موقفه من العلويين:

خلافة الهادي كانت مدتها قصيرة، سنة واحدة تقريباً، ويبدو أن سياسة اللين التي اتبعها المهدي مع العلويين من قبل قد فشلت تجاههم إذ نجد الهادي يتبع معهم سياسة شديدة قاسية. فيقطع عنهم الأرزاق والمؤن والصلات التي أجراها لهم أبوه المهدي قبله(15)، كما يأمر عماله هنا وهناك بل هنالك بمراقبتهم والتضييق عليهم رويدا رويداً. لاشك ان أخلاق الخليفة الهادي التي تتصف بالقسوة المفرطة، كانت من العوامل المهمة التي ينبغي أن يعمل حسابها عند الكلام عن دوافع هذه الحركة. اما السبب المباشر لها، فهوأن والي الهادي في المدينة أمر بضرب الحسن بن محمد النفس الزكية مع بعض أصحابه لأنهم شربوا نبيذاً، ثم وضع في

اعناقهم حبلاً وطاف بهم في أنحاء المدينة المنورة. هذا الحادث أثار غضب رئيس العلويين في ذلك الوقت وهو الحسين بن علي، فقام بحركته واستولى على المدينة ثم اتجه مع قوته صوب مدينة مكة المكرمة في موسم الحج، فانضم إليه بعض الحجاج والعبيد(16).

وفي مكان يسمى فخ بين مكة والمدينة تقابل العلويون مع الجيوش العباسية في معركة شرسة بسنة 169هـ هزم فيها العلويون وقتل قائدهم الحسين بن علي بن الحسن إبن علي الذي سمي بقتيل فخ(17)، كما قتل الحسن بن محمد بن النفس الزكية الذي كان السبب المباشر في قيام هذه الحركة(18).

هذه الحركة لم تخرج عن كونها علوية كبقية الحركات العلوية التي قامت من قبل ومن بعد، غير ان المراجع العربية أفاضت في الكتابة والحديث عنها، بسبب النتائج المهمة التي ترتبت عليها أو أفرزتها(19).

وكان من بين الهاربين(20) من معركة فخ(21) يحيى بن عبدالله المحض وأخوه إدريس(22). وقد هرب الأول إلى الديلم حيث ثار هناك في عهد هارون الرشيد عام 176هـ، بينما هرب الثاني إلى المغرب حيث شكل دولة الادارسة(23) سنة 172هـ(24). وعلى الرغم من الامان فقد قتل بعض العلويين بعد أسرهم غدراً يشبه أمان ابن هبيرة أيام أبي العباس، ومن هؤلاء الحسن بن محمد الذي كان أحد عوامل الحركة سلم نفسه إلى العباسيين باختياره واثقاً بالأمان الذي أعطي له، ولكنه قتل بأمر من موسى بن عيسى. ولكن محمد بن سليمان القائد العام وكذلك الخليفة غضبا لما سمعا بقتل الحسن بن محمد بعد استسلامه. وأمر الهادي بمصادرة أملاك موسى بن عيسى عقاباً له(25).

وعلى الرغم من التعهد الذي اعطاه قائد الجيش العباسي للاسرى باطلاق سراحهم بحسب شروط الامان، فإن عدداً منهم اعدم وعلق على باب الجسر في بغداد(26). ومع ذلك فقد عد المؤرخون معركة فخ مشابهة في نتائجها المأساوية معركة كربلاء 61هـ(27).

ولما اختطف المنون المهدي آلَ الحكم إلى إبنه الهادي، الذي دب في نفسه الاحساس دبيب الغسق في الفلق، بأن أخاه الرشيد كان متعاطفاً مع العلويين بحسب زعمه، بقصد الوصول إلى سدة الحكم، وماكان منه الاّ ان اسرع إلى وضع خطط تهدف إلى خلع الرشيد عن ولاية العهد، وتولية إبنه(جعفر) مكانه، فبادر إلى تكليف أحد قواده المخلصين والمقربين له وهو(هرثمة بن أعين) بتنفيذ المهمة لكونه مصدر ثقته ويعتمد عليه في مثل هذه الظروف، وتتلخص المهمة في التخطيط لقتل الرشيد والاقتصاص من العلويين(28)، فزج بعضهم في السجون، وفرق بعضهم في بقاع شتى والهدف عدم تمكينهم في توحيد شملهم وتثمين الأواصر بينهم وتعميق جذور وشائج التعاضد والتآزر بينهم فتفريقهم يحقق عدم اتحادهم، لان الاجتماع قوة والافتراق هلكة(29).

ولا أدل على ذلك من استدعاء الهادي(هرثمة بن أعين) وهو في حجرة حرمه، ثم أمر بانصراف الجميع موعزاً إليه بالخروج أيضاً، قائلا: ((اغلق الباب ثم عد الي، فزاداد جزعه، وبعد عودته إليه، قال الهادي، قد لحقني الاذى الشديد من هذا الكلب الملحد يعني(يحيى بن خالد) لأنه يعمل على إفساد الجيش وتقوية حب الرشيد في نفوسهم، وهو يهدف إلى قتلي وتسليم الخلافة إليه، فالإتيان برأسه قبل انتهاء هذه الليلة واجب عليك، وان لم تفعل ما أمرتك به ضربت عنقك، ثم طلب منه إخراج الطالبيين من الحبس وضرب رقاب معظمهم وتفريق الباقين في أرجاء شتى من البلاد، فضلاً عن ذلك كلفه بالرحيل إلى الكوفة، لاخراج العباسيين الموالين للسلطة، واضرام النار في المدينة بأسرها، كي لايبقى فيها ديار من المعارضين، ولاينتصب فيها جدار قائم على أركانه، فقال يا أمير المؤمنين ان هذا أمر خطير(30)، ورد الخليفة ماعليك إلاّ التنفيذ، لأن هؤلاء أعداؤنا وهم شيعة آل بن أبي طالب، وكل آفة تصيبنا فهي من صنع أيديهم ولامناص من تنفيذ الأمر مهما كانت نتائجه))(31).

غير ان هذا الحلم الذي كان يراود الخليفة الهادي، لم يرَ النور إذ فاجأه الأجـل قبل بلوغ الأمل، فباءت جميع الاحترازات الأمنية التي اتخذها بالخيبة الفاضـحة والفشل الذريع، إذ عاجلته المنية التي تكتنفها الظنون(32) والغموض فـي الليلـة ذاتها، ولعل سبب هذا الموت الغامض المثير لارتياب، يعود إلى بعض الاعتبارات السلطوية، فلايستبعد قتله على أيدي منافسيه بالسم، سلاح ذلك العصر، وقد يكون من ضمنهم الرشيد بصورة أو بأخرى(33).

ان هذا الحقد الدفين الذي لامزيد عليه في صدر الهادي ضد العلويين، قد حجب عنه البصيرة وسد بموجبه أي منفذ يرى من خلاله الحق والحقيقة، ولو قدر تنفيذ أوامره الرهيبة، لأدى إلى خلق كارثة سياسية ومذهبية وأمنية لايعلم مداها إلاّ الله، لكن القدر غلب الحذر وانقلبت الصورة رأساً على عقب(34).

ولايرتاب أحد في أن الخلفاء العباسيين، كانوا يتوجسون الخيفة مـن اهتـزاز الوضع الأمني، وذهاب وفقدان دولتهم، لذلك كانوا يوصلون الليل بالنهار لتقويـة الناحية العسكرية والأمنية سواء بسواء، وكانوا علـى أهبـة الاسـتعداد دومـاً للإنقضاض على أي عنصر أو حركة يربك الوضع الأمني للخلافة، مهمـا غـلا الثمن وعظمت التضحيات(35). ومما لاجرم فيه ان الخلفاء العباسيين لم يـدخروا جهداً ولم يتركوا اسلوباً الاّ مارسوه ضد خصومهم بغيـة اضـعافهم واستئـصال جذورهم، واقامة صرح سلطتهم على أشلائهم، لذلك اختلف اسلوب الهادي عـن النمط الذي سلكه والده المهدي قبله لمكافحة العلويين وغيرهم مـن المناهـضين مستعيناً بكل من هب ودب ضد العلويين، لكشف زعمائهم ومطاردتهم، فاذا وقعوا في ايدي الموالين لهم كالشرطة والحرس زجوا بعضهم في غياهـب الـسجون، وقتلوا البعض الآخر، وكانت العقوبة تنسجم مع درجة الخطورة والجرم، فقتلـوا بعضاً مهم عام 169هـ، أما الذين هم أقل شأناً من حيث جسامة الخطر أو ضآلته على أمن السلطة، فكان نصيبهم السجن طلباً لابعادهم عن الناس في بغداد ومـدن أخرى، والقضاء على تأثيراتهم هنا وهناك(36).

موقف الهادي من الزندقة:

سار الهادي على نهج أبيه منفذاً مخططاته الخاصة بمكافحة الزنادقة والملحدين بل زاد عليها، إذ شهد عام 169هـ تعاظم الضغط عليهم والفتك بهم(37)، فقد شرع بقتل اعداد كبيرة(38)، نورد على سبيل الحصر لا القصر اسماء بعضهم مثل يزداد بن باذان كاتب يقطين، وابنه علي يقطين(39)، ويعقوب بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، مستعيناً بأجهزة أمنه المتعددة وعلى رأسها صاحب الزندقة، وقد أثبتت هذه الأجهزة جدارتها وكفاءتها في رصد كل من حامت حوله شبهة الزندقة، أو من مارسها فعلاً، ولم يفلت أحد من قبضة رجالات الأمن من دون تعقب، فعوقب من ثبتت إدانته وبرأت ساحة الأبرياء من التهمة(40). ولقد تمادى الخليفة الهادي في قسوته تجاه هذه الجماعة الضالة عن طريق الحق، ولو كتب له البقاء مدة أطول لاجتث جذورهم(41).

ومن الملاحظ ان هناك جماعات أخرى حسبت على الزنادقة، مثل جماعة ماني(42) التي ظهرت في ايران، ودعت إلى أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين احدهما النور والآخر الظلمة، وأنهما أزليان وانكرت وجود شيء إلاّ من أصل قديم(43).

وقد ظلت المانوية حركة ضعيفة في ايران، وكان أصحابها يعُدّون زنادقة في الدولة العباسية، فقد أوضح الخليفة المهدي لولده(الهادي) ان هذه الجماعة تعبد عنصرين هما النور والظلمة(44) وتبيح نكاح الاخوات والبنات، وسرقة الاطفال من الطرقات، فأوصاه بقتل كل هؤلاء حيث ماوجدهم متبعاً في ذلك السياسة نفسها التي كان يتبعها هو نفسه ازاء الزنادقة فتعهد ابنه بالسير على النهج نفسه الذي سار عليه والده، وشن عليهم حملة شعواء لم تبق منهم حياً يرزق(45).

ولو غض الخليفة الهادي الطرف عن هؤلاء، لعظم شأنهم وصار لهم نفوذ يصعب التصدي له، وكانوا يشكلون خطراً عظيماً على الدين والدولة معاً، لذلك أعلن الخليفة العباسي حرباً ضروسا عليهم وقبر حركتهم وهي في المهد(46).

ولاية العهد:

قرر الهادي اتباع الاسلوب الذي سار عليه والده المهدي في ولاية العهد الشرعية لصالح ابنه. لقد أراد الهادي أن يسلب من أخيه هارون الرشيد حق ولاية العهد الشرعية، ويعطيها إلى ابنه جعفر، دون أي اعتبار للعهد أو للعمر، إذ كان جعفر دون السن الشرعي للولاية(47).

لقد ساند القرار عدد من قادة الجيش بينهم يزيد بن مزيد الشيباني وعبدالله بن مالك وعلي بن عيسى بن ماهان، ولم يبق موالٍ لهارون سوى يحيى بن خالد البرمكي تسانده الخيزران وكتلتها، إذ نصحه خالد بالمماطلة والخروج إلى الصيد تهرباً من الخليفة(48).

عندئذٍ لجأ الهادي إلى استعمال الشدة، فأمر بألايصحب الرشيد أحد من الحراس، ولو بحربة واحدة، فاجتنبه الناس وتركوه، ولم يجترئ أحد أن يسلم عليه، وعلم الهادي أن تعنت هارون الرشيد في موقفه كان بتحريض من يحيى البرمكي، فاستدعاه وكلمه في خلع هارون، فأجابه بكلام دل على ذكائه ودهائه إذ قال له: ((يا أمير المؤمنين، انك ان حملت الناس على نكث الايمان، هانت عليهم ايمانهم، وجرائمهم على حل العقود التي تعقد لهم. ولو تركت الأمر في بيعة أخيك بحاله وبويع لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته. فوافقه الهادي على رأيه))(49).

وعلى الرغم من ان الخليفة اقتنع بمنطق يحيى البرمكي بداية، غير انه لم يلبث أن عاد ثانية إلى رأيه الأول وعاد إلى المربع الأول تحت تأثير بعض رجالات الحاشية والقواد لدرجة أن بعضهم خلعوا هارون وبايعوا لجعفر من تلقاء أنفسهم تقرباً إلى الخليفة، وانساق الهادي وراء هذه السياسة فقبض على يحيى البرمكي وصمم على قتله، ولكن الهادي مات فجأة قبل أن يحقق مايصبو إليه(50).

ومما ينبغي عدم تجاهله هو ان الروايات التاريخية تشير إلى العلاقات المتوترة بين الخيزران وابنها الأكبر موسى الهادي، منذ عهد هارون الرشيد، وحين تولى الخلافة الهادي، ظنت المرأة أن سلطانها سيتسع تدريجياً، وان نفوذها سيمتد يميناً

وشمالاً، وتخيلتْ ان الابن سيكون أكثر استجابة لها من الزوج(المهدي)، وحسبت أنها ستتغلب على ذلك الشاب الحدث، وسيكون تحت أمرها، وتطويه تحت جناحيها أكثر ممافعلت بوالده، ولكن الهادي كان يختلف اختلافاً بيناً عن أبيه المهدي في هذا المضمار(51).واحتمل الهادي هذه الفترة بدافع البر بحق أمه، ولكن المرأة تمادت في حدودها المسموحة لها، وأوشكت أن تنكر وجوده، وكانت تبرم وتنهي الأمر من دون أن ترجع إلى الخليفة، إذ تقدم الأمر إليه ليوقعه ويمضيه، فتيقظت شخصيته، وتحركت نفسه، ووجد ألا مناص من وقف هذا التيار الجارف غير المألوف، ووضع حد لهذا التدخل الصارخ على مسؤولياته وواجباته كخليفة للمسلمين بعيداً عن علاقة الابن بالأم(52).

بيد أن الهادي بدأ مقاومته بتأجيل النظر في طلباتها تباعاً وايداعها جانباً وعدم الاسراع في تلبية رغباتها، سألته مرة أن يولي الهادي خاله الخطريف اليمن، فوعدها بذلك، ثم كتبت له يوماً من الأيام رقعة تتخير فيها أمره، فرد إليها رسولها يقول لها: ((خيريه بين اليمن وطلاق ابنته (زوجة الهادي)، أو المقام عليها دون أن يوليه اليمن، فأيهما اختار فعلته. فأخطأ الرسول في فهم كلام الهادي، وعاد للخيزران ليقول لها: يقول لك الخليفة اختاري له، فظنت أنه يخيرها بين ولايات متعددة، فاختارت ولاية اليمن، وأعادت الرسول بذلك، فقال للهادي: أختارت ولاية اليمن، فغضب الهادي، وطلق ابنة خاله، ولما وصل الخبر الطلاق بيت الهادي، ارتفع الصياح منه، فقال: ماهذا؟ قالوا: من دار بنت خالك وخبّر ان الرسول أخطأ في تبليغ الرسالة))(53).

لم تكف الخيزران عن حظها مع إبنها، بل تقدمت بمطلب جديد، وأخطأها في هذه المرة التوفيق كسابقاتها أيضاً، إذ بلغ طغيانها القمة، فقد بدا للهادي أولاً: أنها لاترجو ولكنها تأمر، وتضمن النفاذ سلفاً لصاحب الحاجة، وثانياً: أنها لاتكتفي بالتوسط في الامور العادية، ولكنها تبرم الرأي ايضاً في عظام الأمور، وثالثاً ظهر للخليفة الهادي أن صلتها ليست مقصورة على أخيها الخطريف وأمثاله مـ...

محارمها، بل تمتد إلى غيرهم من القادة والرؤساء. فتحركت فيه النخوة والغيـرة، وأصر على أن يثبت شخصيته ويسيطر وحده على زمام الأمور(54)، ففـي ذلـك يقول أبوالمعافي:

ياخيزران هناك ثم هناك   ان العباد يسوسهم أبناك(55)

تشير الروايات ان الخيزران كلمت إبنها الهادي ذات يوم في أمر، فلم يجد إلى إجابتها سبيلاً، فاعتل لها بعلة، فقالت: لابد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فإني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك؛ فغضب الهادي، وقال: قد علمـت أنـه صاحبها، لاقضيتها لك؛ قالت: إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً. قال: إذاً والله لا ابالي، وقامت مغضبة. فقال: مكانك فاستوعبي كلامي، والله والا كنت نفياً من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئن بلغني أنه وقف ببابـك أحـد مـن قـوادي وخاصتي، لأضربنّ عنقه، ولأقبضن ماله، ماهذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك؟ امالك مغزل يشغلك؟ أو مصحف يذكرك؟ أو بيت يصونك؟ ايـاك وايـاك، لاتفتحي بابك لمسلم ولاذمي، فانصرفت وهي لاتعقل ماتطأ، فلم تنطق بحلو ولامر بعدها(56). ثم انه قال لأصحابه، أيما خير(57).

أنا وأمي أم أنتم وأمهاتكم؟ قالوا: بل أنت وأمك، قال فأيكم يحـب أن يتحـدث الرجال بخبر أمه؛ فيقال: فعلت أم فلان، وقالت أم فلان؟ قالوا: لانحب ذلك؛ قـال فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون بحديثها؟ فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها.

وهكذا تأزمت الامور بين الخليفة وأمه، وشعرت الخيزران بفراغ كبير بعد أن جفاها الناس، ولم يعد أحد يستطيع أن يسعى إليها، فنقمت على ابنها ذلك وكرهته كرهاً شديداً(58).

ولعل من المناسب ان نشير إلى ان المسألة لم تقف عند هذا الحد، بل وجـدت أمور أخرى تطفو على الساحة السياسية ويتفاقم الخلاف بسببها، وعظمت الهـوة، فالهادي يصر أيما إصرار على خلع الرشيد عن ولاية العهد، والأخير هو الأمـل

الوحيد الباقي للخيزران، لأنه الابن الوديع السمح، الذي يرجى أن يكون صورة من أبيه المهدي، تستطيع الخيزران أن تستعيد نفوذها ومكانتها في ظله(59).

ويحدثنا ابن الاثير ان القصر قد امتلأ في ظل هذه الحركات المريبة بالجواسيس، للهادي عيون على أمه من خدمها، وللخيزران علي إبنها عيون من خدمه، وتعرف الخيزران من عيونها أن الهادي يلتقط أخبارها، ويحاصرها بحصار قوي، وتقع فريسة للانفعالات المختلفة والعواطف المتباينة. فمرة تثور نفسها، ويتجلى خوفها على الرشيد فتتمنى لو تنتقم من الهادي وتزيله من الوجود، ولكن كيف وهو ابنها وقطعة من كبدها، فهل تقوى على ذلك(60).

ومن جراء هذا الوضع يعرف الهادي أن أمه تؤلب الرشيد عليه، وتحثه على ألا يخلع نفسه فيتزايد حقده عليها، ويصر على أن يفعل شيئاً، فيرسل لها طعاماً مسموماً، ولكنها تختبر هذا الطعام قبل أن تتناوله فتلقى بعضها منه إلى كلب، فيترنح ويهوى لساعته، ويسألها الهادي عن الطعام(61)، فتقول: كان طعاماً طيباً، ولكنه يدرك أنها لم تأكل منه فيقول: ما أكلت منه، ولو فعلت لاسترحت منك، متى أفلح خليفة له أم؟(62).

ويتضح من هذا العرض ان المسألة أصبحت فيما يخص الخيزران دفاعاً عن النفس، ويتحقق لها أن الهادي عاق، وأن من الممكن أن تضع مكانه ابناً آخر عرف بالبر والرحمة والحنان، فيقال: انها أوعزت إلى بعض الجوارى فقتلته بالجلوس على وجهه وهو مريض(63)، وظلت تمنع أنفاسه حتى زهقت روحه، فأرسلت يحيى بن خالد تعلمه بموته. وكان ذلك في ربيع الأول عام 170هـ(64)، وقد صلى هارون الخليفة الجديد على أخيه المتوفى الهادي الذي دفن في ضاحية عيساباذ حيث كان دوماً يحب أن يكون(65).

هوامش الفصل السادس:

1- السيوطي: المصدر السابق ، ص279.

2- اليعقوبي: المصدر السابق 283/2.

3- الطبري: المصدر السابق 187/8.

4- نفسه 189/8.

5- السيوطي: المصدر السابق ص279؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص96.

6- الطبري: المصدر السابق 187/8-189.

7- السيوطي: المصدر السابق ، ص281.

8- نفسه، ص279.

9- نفسه، ص280.

10- المسعودي: المصدر السابق 335/3.

11- نفسه 335/3.

12- السيوطي: المصدر السابق ، ص279.

13- أحمد مختار العبادي المرجع السابق ، ص77.

14- الجاحظ: التاج، ص 36-37؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 228/1.

15- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص157.

16- اليعقوبي: المصدر السابق 281/2؛ الطبري: المصدر السابق 192/8-199.

17- المسعودي: المصدر السابق 316/3.

18- اليعقوبي: المصدر السابق 283/2؛ الطبري: المصدر السابق 188/8-189؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص76.

19- أحمد مختار: في التاريخ، ص76.

20- فخ وهووادي في طريق مكه، يبعد عنها نحو ستة أميال.ياقوت: البلدان ج237/4.

21- ابن الاثير: المصدر السابق ، دار صادر، بيروت، 1979م، 90/6-93؛ ياقوت: المصدر السابق ، 237/4؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر طولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948م، اعادت دار الثقافة نشره في بيروت، 83/1؛ اسماعيل العربي: دولة الادارسة ملوك تلمسان وفارس وقرطبة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م، ص54-57.

22- المسعودي: المصدر السابق 308/3؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشره دي سلان، الجزائر، 1857م، ص118-119؛ ابن الأثير: المصدر السابق 293/6؛ ابن عذاري: المصدر السابق 83/1؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، نشر، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص16-19؛ ابن خلدون: المصدر السابق ، 24/4.

23- الطبري: المصدر السابق 196/8-197.

24- نفسه 197/8-198؛ فاروق عمر: المرجع السابق 184/1.

25- الطبري المصدر السابق : 198/8، 200؛ المسعودي: المصدر السابق 336/3-337.

26- فاروق عمر: المرجع السابق ، ص185.

27- الطبري: المصدر السابق 198/8، 207؛ المسعودي: المصدر السابق 407/3؛ التنوخي: الفرج بعد الشدة، 19/3-20؛ ابن الاثير: المصدر السابق 96/6-99؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق 153/1؛ أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق ، ص89.

28- الطبري 8: المصدر السابق /198؛ المسعودي : المصدر السابق 407/3؛ التنوخي: المصدر السابق 19/3-20؛ ابن الاثير: المصدر السابق 96/6-99.

29- التنوخي: المصدر السابق 19/3-20؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص89.

30- التنوخي: المصدر السابق 19/3-20؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص89.

31- التنوخي 19/3-20؛ مؤلف مجهول: العيون 287/3-288؛ ابن الأثير: المصدر السابق 96/6-99.

32- الطبري : المصدر السابق 207/8؛ المسعودي : المصدر السابق 407/3؛ التنوخي : المصدر السابق 19/3-20؛ ابن الأثير: المصدر السابق 96/6-99؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق 153/1.

33- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص90.

34- الطبري: المصدر السابق 105/8-107؛ ابن الأثير : المصدر السابق 19/6-20؛ ابن خلدون: المصدر السابق 204/3-206؛ أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب 36/3-37.

35- الطبري : المصدر السابق 158/8-208؛ المسعودي : المصدر السابق 407/3؛ التنوخي : المصدر السابق 19/3-20؛ ابن الأثير: المصدر السابق 96/6-99؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق 153/1.

36- الذهبي: المصدر السابق 255/1؛ ابن كثير: المصدر السابق 157/10؛ ابن خلدون: المصدر السابق 214/3؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص325؛ عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص129؛ بسام العسلي: المرجع السابق 513/3.

37- مؤلف مجهول: العيون 276/3؛ الذهبي: المصدر السابق 255.

38- الطبري: المصدر السابق 8/190-191؛ ابن الأثير : المصدر السابق 81/6؛ عبدالرحمن سنبط قنيتو الأربلي: المصدر السابق ، ص106؛ ابن خلدون: المصدر السابق 214/3؛ بسام: المرجع السابق 513/3.

39- ابن الأثير: المصدر السابق 89/6؛ ابن خلدون: المصدر السابق 214/3؛ بسام: المرجع السابق 513/3.

40- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص114.

41- المسعودي : المصدر السابق 332/3؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص465-466.

42- الشهرستاني: المصدر السابق ، 224/1.

43- الطبري : المصدر السابق 220/8؛ ابن الاثير : المصدر السابق 6/104-105.

44- الطبري : المصدر السابق 220/8.

45- الخوارزمي: الاثار الباقية، ص68؛ ولمزيد من التفاصيل حول المانوية، يراجع: بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة د.أحمد السعيد سليمان وابراهيم صبري، القاهرة، 1958م، ص56ومابعدها.

46- الطبري : المصدر السابق 207/8؛ فاروق عمر: المرجع السابق 186/1.

47- الطبري : المصدر السابق 207/8.

48- نفسه 209/8؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص10.

49- الطبري : المصدر السابق 209/8؛ المسعودي : المصدر السابق 343/3.

50- الطبري : المصدر السابق 205/8؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 231/1.

51- الطبري : المصدر السابق 205/8؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 231/1.

52- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 13/12-13.

53- فاطمة محمود: المرجع السابق 231/1.

54- المسعودي : المصدر السابق 337/3.

55- نفسه 3/337-338؛ السيوطي: المصدر السابق ص280.

56- الطبري : المصدر السابق 206/8؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 33/1.

57- الطبري : المصدر السابق 220/8.

58- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص168.

59- ابن الأثير: المصدر السابق 34/6.

60- نفسه 34/6؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص101.

61- ابن الأثير : المصدر السابق 34/6؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 231/1.

62- السيوطي: المصدر السابق ، ص280.

63- ابن الأثير : المصدر السابق 34/6؛ محمد سهيل قطوش: المرجع السابق ، ص157؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص101.

64- الطبري : المصدر السابق 185/8؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص187.

الفصل السابع

هارون الرشيد ابو جعفر (170-193 ه)

الرشيد هارون أبوجعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ولد بالري سنة 145هـ(1) وأمه أم ولد تسمى الخيزران، وهي أم الهادي، ونشأ الرشيد نشأة رائعة ربت فيه قوة الشخصية وسماحة النفس، والقى به أبوه المهدي في خضم الاحداث، فجعله أمير الصائفة سنة 163هـ(2)، وفي سنة 164هـ ولاه المغرب كله من الانبار حتى أطراف افريقية(3)، وفي سنة 166هـ عينه والده ولياً للعهد بعد الهادي(4)، استخلف بعد موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة 170هـ في بغداد في المسجد الجامع ((فلم يختلف عليه أحد، فأحسن السيرة، وأحكم أمر الرعية، وكان أوحد أهل بيته، ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله))(5)، ومات بطوس(6) بقرية يقال لها سناباذ(7) يوم السبت لأربع ليال خلون من جمادي الآخرة سنة 193هـ(8)، وكان جميلاً وسيماً أبيض جعداً وقد وخطه الشيب(9).

ان الظروف الصعبة التي مر بها هارون الرشيد في خلافة أخيه موسى الهادي وضياع شخصيته في بداية خلافته بين البرامكة والخيزران شجعت إلى حد كبير على نمو التكتلات في البلاط العباسي وتبلورها. فقد أمر الرشيد في أوائل عهده بسجن أو إبعاد الاشخاص الذين تعاونوا مع أخيه الهادي(10) ضده.

ومع ان البرامكة تمتعوا بصلاحيات واسعة، إلا ان شخصيات عربية مهمة كانت تنافسهم في البلاط نذكر منهم الفضل بن سليمان الطوسي ومحمد فروخ الازدي ويزيد بن مزيد الشيباني والكثير من أمراء العباسيين وكذلك كل من الفضل بن الربيع بن يونس(11) وعلي بن عيسى بن ماهان وغيرهم. وقد لعبت هذه الشخصيات والكتل دوراً مهماً في سياسة الرشيد واجراءاته المختلفة(12). والرشيد أوسع الخلفاء العباسيين شهرة وأكثرهم ذكراً حتى في المصادر الأجنبية

كالحوليات الألمانية على عهد الامبراطور شارلمان التي ذكرته باسم Aron والحوليات الهندية والصينية في أقصى المشرق التي ذكرته باسم Alun، أما المصادر العربية فقد أفاضت الكلام عنه، فقد امتزجت في أخباره حقائق التاريخ بروعة الخيال والاقاصيص فأصبح رمز العصر الذهبي في الاسلام واكتسب مجموعة من الصفات البعيدة الاختلاف التي يندر ان تجتمع في شخص واحد. فهو يصور أحياناً بصورة الخليفة الباذخ المسرف في الترف والملذات(13)، ويصور تارة أخرى بصورة الخليفة المحارب القوي الفعال الذي أذل اعداء الاسلام وفرض الجزية على الروم(14)؛ وتمثل لنا بشكل الخليفة الورع المتدين الذي تسقط الموعظة عبراته وهو أول خليفة عباسي حج ماشياً(15) من مكة إلى عرفات؛(16) وقاد غزو أرض الروم بنفسه سنة 181هـ(17).

وهو يصور احياناً بصورة الخليفة الحذر من الناحية الأمنية، الذي يبث عيونه وجواسيسه بين الناس هنا وهناك، ليعرف أمورهم وأحوالهم، أولاً بأول، بل كان أحياناً يطوف بنفسه متنكراً في الاسواق والمجالس ليعرف مايقال فيها(18).

والواقع ان هذه الصورة المتباينة الرؤى للرشيد، ماهي الاّ انعكاس للعصر الذي عاش فيه بمحاسنه ومساوئه، وهو العصر العباسي الأول أو العصر الاسلامي الذهبي، إذ الحضارة والعلم والازدهار والبناء والعمران والبذخ من جهة، والدسائس والمؤامرات التي تحاك ضد الخلافة في العاصمة والاقاليم سواء بسواء، فشخصية الرشيد هنا هي شخصية عصر أكثر مما هي شخصية انسان(19).

ان هذه الصور المتباينة للرشيد كانت نتيجة لطبيعته وتربيته، وللعصر الذي عاش فيه. فقد كان عصره عصر بذخ وامعان في الحضارة، وكان حازماً دُرب في الحرب والادارة في خلافة والده، فكانت فيه قوة الخلفاء الأولين واهتمامهم بالسياسة ونظرهم إلى الدين كأساس للملك والدولة. فقد كان دقيق الاحساس جاد المزاج سريع التأثر يثور ويفرط في الانتقام وقد ترق عواطفه فيبكي ويظهر رحمة متناهية وعطفاً عظيماً(20). وهكذا كانت تصرفاته وردة فعله تعكس هذه

التيارات المختلفة شخصية اجتماعية وتمثلها خير تمثيل. كما أنه كان لايدخر وسعاً في تبذير الأموال الوفيرة وبذلها بسبب أو من دون سبب حتى أن الطبري يقول: ((لم ير خليفة قط قبله أعطى منه للمال))(21)، ويقول ابن الطقطقي: ان الرشيد كان ((يجزل العطاء))(22).

الرشيد والخوارج:

لم يكن اضطراب الدولة وزعزعة الأمن ناشئاً من العلويين وحدهم، بل كان هناك فريق من الأمة ينبغي على الخلفاء إستبدادهم وخروجهم عما توجيه الأوامر الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه، وقد اتصل أمرهم منذ أن خرجوا على علي بن أبي طالب(رض) إلى زمن الرشيد، وهم يمثلون النزعة البدوية التي تكره الخضوع لأية سلطة. إلا ان خلفاء بني أمية قد أخفقوا صوتهم بما كانوا يجرون لهم من الجيوش الجرارة على يد أمهر القواد، كالمهلب بن أبي صفرة وغيره، ومع ذلك، فإنهم لم يقدروا على إفناء روحهم الثورية من الأمة، فكان لايزال يخرج منهم خارجة متى ظهر فيهم مقدرة وكفاءة لخوض الحروب(23).

من المعلوم أنه كان عهد الرشيد 170-193هـ من العهود التي شهدت تفاقم الحركة الخارجية حيث تعددت حركاتهم وتمرداتهم وشملت ارجاء شتى من الخلافة العباسية هنا وهناك بل هنالك(24)، فثار الصحصح الخارجي في الموصل سنة 179هـ، ووثب الوليد بن طريف الحروري الشاري سنة 178هـ في الجزيرة الفراتية(25)، وخرج حمزة بن عبدالله الازرق الشاري في سجستان عام 179هـ، وقاد حركة تمرد خراشه الشيباني في الجزيرة الفراتية سنة 180هـ(26)، وخرج عبدالسلام بن هاشم اليشكرى الخارجي بآمد سنة 187هـ، وقد دفعت الخليفة الرشيد كثرة الاضطرابات والفوضى والقلاقل فضلاً عن اعتصام الخوارج بالموصل إلى هدم سورها سنة 180هـ ونادى منادوه: ((من هدم مايليه من السور فهو آمن فهدم الناس سورهم بأيديهم))(27). وأشهر حركات

الخوارج ذكراً وأعظمهم أثراً: حركة الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق الشاري الشيباني؛ الذي كان شجاعاً يقيم بالجزيرة بنواحي نصيبين.

وخرج على الرشيد سنة 178هـ، ففتك بابراهيم بن خازم بنصيبين ثم مضى منها إلى أرمينية ثم قفل راجعاً إلى الجزيرة سنة 179هـ(28)، ورفع شعار رفع الظلم، حيث قال(29):

أنا الوليد بن طريف الشاري ظلمكم أخرجني من داري

وقد كثر أتباعه، واشتدت شوكته، ونهب الوليد الشاري الكثير من المدن والقرى في الجزيرة الفراتية، وكان ولاة المدن أو زعماؤها يفدون المدن بكميات تختلف نسبها من المال(30).

ولدينا روايات تاريخية تدل على تعاظم خطره على أمن الخلافة، لذا وجه الرشيد إليه القائد يزيد بن مزيد الشيباني، وهو ابن أخي معن بن زائدة الشيباني، فذهب يزيد وصار يراوغ الوليد الشاري ويماكره متبعاً في ذلك اسلوب المهلب بن أبي صفرة مع قطري بن الفجاءة، ولايرغب في مواجهة الوليد الشاري، لاسيما إن كلاً من يزيد الشيباني والوليد بن طريف من قبيلة واحدة، فوجه الخليفة الرشيد كتاباً قد عنف قائده قال فيه: ((لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مماتقوم به، ولكنك مداهن متعصب، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك))(31). فلقي يزيد الوليد، وبرز إليه يَزيد ووقف الجيشان فلم يتحرك منهما أحد، فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لايقدر على صاحبه في الغلبة حتى مضت ساعات من النهار، فأمكنت يزيد فيه الفرصة، فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فسقطوا عليه وقطعوا رأسه شمالي هيت على الفرات سنة 179هـ وقد ارسل إلى الرشيد الذي اعتمد شكراً لله على مابلاه وكفاه. فقال الشاعر(32):

لاترسلن إلى ربيعة غيرها ان الحديد بغيره لايفلح

وقالت الفارعة أخت الوليد الشاري:

أيا شَجَر الخابورِ مالك مُورقاً كأنكَ لم تجزع على ابن طَريفِ(33)

عليه سلام الله وقفاً فإنني أرى الموت وقاعاً بكل شريف(34).

وفي سنة 190هـ خرج خارجيّ من عبدالقيس يقال له سيف بن بكر، فوجه إليه الرشيد محمد بن زياد بن مَزْيد، فقتله بعين النُورَة(35).

ويلاحظ خروج خارجيّ سنة 191هـ يقال له ثروان بن سيف بناحية حَوْلايا، فكان ينتقل بالسواد، فوّجه إليه الرشيد طوق بن مالك في جيش جرار، فهزمه واعتقد ان الخارجي ثروان قد قتل، فكتب بالفتح إلى الخليفة، ولايدري بانه مجروح وقد هرب من أرض المعركة ولم يبق له أثر في المنطقة(36).

وفي سنة 191هـ، خرج أبوالنداء بالشام، فوجه إليه الخليفة الرشيد في البحث عنه يحيى بن معاذ وعقد له على الشام(37).

موقف هارون الرشيد من الطالبيين (العلويين):

لقد شن الرشيد حرباً شعواء لاهوادة فيها ضد العلويين إذ اتسمت مدة حكمه بقسوة مفرطة ضدهم، وبالغ في اضطهادهم اضطهاداً غير سابق المثيل، ولم يقدم على نظيره أحد من سلفه، وجاء هذا التشدد والتصلب خوفاً من اشتداد عود العلويين وتصلبه رويداً رويداً، ثم التفاف الانصار والموالين بأحقية آل علي بالخلافة(38) والمعتقدين باغتصاب العباسيين السلطة الشرعية دون وجه حق على حد آرائهم ومعتقداتهم(39). وتشير بعض المصادر التاريخية إلى عدد كبير من الاجراءات التي قام بها الخليفة هارون الرشيد، كاستعمال العنف والقتل ضد وجهائهم، بوساطة أدواته الأمنية، أملاً في القضاء على أية خطط يرسمها العلويون لتحقيق مآربهم لاضعاف الدولة، واسقاطها والسيطرة على دست الحكم(40).

ففي سنة 171هـ قام الخليفة الرشيد ببذل الأمان لهم، ورفع الحجر عمن كان منهم ببغداد باستثناء العباس بن الحسن بن عبدالله بن علي بن أبي طالب(رضي الله عنهم) لمنزلته المرموقة وتأثيره الفعال في من يلتف حوله من المؤيدين والانصار، ويشكل نوعاً من الخطر على أمن السلطة العباسية، فأرغمه على المكوث قريباً من متناول أيدي أجهزة السلطة لتصفية الحساب معه إن بدا منه مايزعج الخليفة

أمنياً، كما رحل الباقين منهم إلى المدينة المنورة، وهي موطنهم الأصلي، لـدفعهم بعيداً عن مركز الخلافة والقضاء على مايشكلونه من تهديد لأمن السلطة في حالة بقائهم في بغداد(41). ولم يكتف الرشيد بعملية الابعاد والاقصاء، بل استمر في نهجه كسابقه من الخلفاء في الاحترازات الأمنية فوضعهم تحت الرقابة المركزية الشديدة هنالك في المدينة، رصداً لتحركاتهم ضد الدولة العباسية، وقد قام جهاز أمن الخليفة بمراقبة هؤلاء عن كثب من خلال رصد ومتابعة تحركاتهم بصورة دقيقة بناء على توجيهات الرشيد نفسه(42).

ولما هم موسى بن جعفر(موسى الكاظم) بالاستعداد لاداء فريضة مناسك الحج عام 183هـ سعى في تحقيق هدفين على الارجح هما تنفيذ الفريضة، والخلاص من قبضة العباسيين في آن واحد(43)، فوشي به الموالون للرشيد واسبلوا على فعله هالة من الضخامة والجسامة من الناحية الأمنية قائلين ان الناس يحملون إلى موسى بن جعفر خمس أموالهم ويعتقدون بامامته وانه على عزم الخروج عليك مستغلاً هذه الاموال لانفاقها على التخطيط لقلب نظام الحكم واعادة السلطة إلى العلويين(44). فاقلق الأمر بال الخليفة إلى حد بلغ مداه، فلجأ إلى رصد مكافآت مالية سخية للعاملين في الأجهزة المكلفة بحماية أمن السلطة، كالشرطة والحرس، فنشط هؤلاء للاسراع في القاء القبض عليه(45)، وهو متوجه شطر البيت الحرام عام 183هـ، وتم تسليمه إلى الرشيد في بغداد، فأمر بقتله وتخلص من أحد أبرز قادة العلويين الذي كان رجاءهم الأكبر في استعادة السلطة من خصومهم العباسيين دون اثارة أدنى ريب في نفوس الناس مخفياً سبب الوفاة، تحت دعوى وفاته حتف انفه، مدعياً ان السلطة ليست لها اليد في ذلك لامن قريب ولامن بعيد(46).

ولم يكن الرشيد يعمل على قتل الطالبيين وابعادهم بذرائع وحجج متباينة، بل ينكل بكل من يتشيع لهم(47) أشد التنكيل، كالذي حدث لموسى صالح بن المنصور(48) الذي لقي حتفه على يد الرشيد(49). وبلغ من شدة اهتمام الخليفة بمعاقبة مخالفيه، انه لم يكتف بإدخالهم السجون امثال(محمد بن عيسى بن عبدالله،

واسحق بن الحسن بن زيد(50)، وأبي سهل بشير بن المعتمر الهلالي(51) بل كان يتأكد من ان هؤلاء تحت سيطرة رجالات أمنه، وحينما ساعدوا (أحمد بن عيسى بن زيد العلوي) احد قادة و رموز العلويين على الهرب عام 188هـ، أمر الخليفة عيونه وخاصته بالقبض عليه، وخصص أموالاً طائلة لمن يمسك به، وفي الوقت نفسه عاقب أشد العقاب اولئك الذين فشلوا في مهمة البحث عنه، ومن بين من تعرض لحساب شديد في أعقاب هروب(أحمد بن عيسى العلوي) شيخ كان يكتب للشيعة سراً في الكرخ يدعوهم إلى نفسه، فأخذته عيون السلطة وأحضرته إلى الخليفة الذي سأله وهدده فقال: الشيخ وهو متجاوز التسعين من العمر أفأختتم عملي بأن أدلك على ابن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يقتل فضرب عنقه وصلب في بغداد. وقام الخليفة الرشيد بقتل من لم يستطع تنفيذ أمره بشكل حازم(52). وكان الخليفة لايتورع عن اعطاء الوعود بالامان للمعارضين(53)، ثم ينكث بوعوده متشبهاً في ذلك باجراءات الخليفة المنصور مع أبي هريرة(54) وعمه عبدالله بن علي وأبي مسلم الخراساني(55)، والشاهد على نقض وعوده يتمثل في الحادثة التي جرت ليحيى إبن عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الذي فر إلى الديلم حيث كتب الرشيد له اماناً بليغاً بخطه وشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم، وبحضور الفضل إبن الربيع، لكن رجلاً من الزبير بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير شهد عليه أنه كان يدعو الناس إلى التشيع، لذا قتله الخليفة على الرغم من منحه الأمان(56)، وكان الخليفة الرشيد يضع أحد أنصار العلويين أو غيرهم في السجن أحياناً، ثم يأمر معتمديه من حرسه الخاص الذين ينفذون أوامره المتعلقة بالشخصيات الكبيرة ذات الشأن المؤثر في الدولة أو المعارضة، فيتسللون تحت جنح الظلام إلى السجون ويخرجون هؤلاء منها ويذهبون بهم بعيداً عن أنظار الناس ثم يقتلونهم دون أن تعرف العامة شيئاً عما جرى لهم فتختفي آثارهم ويكونون أثراً بعد عين(57)، فما مكث يحيى بعد هذا إلاّ شهراً حتى مات عام 176هـ.

وكان دعاة العلوية يحبسون في أماكن خاصة وتضرب أعناقهم في ساحات القصر ان اقتضى الأمر، وكانت هذه الساحات أشبه بمراكز أمنية، يتم فيها تنفيذ الاحكام ضد المعارضين والمناهضين للسلطة، ويقوم بتنفيذها الحائزون على ثقة الخليفة من رجالات حراسه وخاصته، مثلما حدث لداعية علوي ضرب الخليفة عنقه، وكثيراً ما كان الشعراء والأدباء يدعون إلى الحضور في مثل هذه الظروف(58)، لمشاهدة ضرب الاعناق، كي يقوموا بنقل الخبر وإذاعته بين الناس، بقصد زرع الهلع وبث الرهبة في النفوس، لكي لايجرأ العلويون والمتعاطفون معهم على الاقدام على أية فعلة لاتروق للخليفة وتشكل خطراً على أمن سلطته، كما حدث لأبي العتاهية الشاعر الذي استدعي لمشاهدة عملية ضرب عنق أحد الدعاة العلويين(59).

وهذا الطراز من الخشونة والقسوة والعنف البليغ كان الهدف منه اخضاع الناس للقبضة العباسية، وعدم تمكين أحد من المناهضين من التفكير في النيل من هيبة أمن الخليفة(60). وفي الحقيقة ان المخاوف على انتزاع السلطة من قبل العلويين قد استبدت بنفس الرشيد، فلو لم يلجأ إلى هذا النمط العنيف من التعامل مع المعارضين له من الزعماء العلويين، لقاموا بالحركات ضده(61)، كما حدث في زمن جده الخليفة المنصور(62).

وما دمنا بصدد موقف الرشيد تجاه العلويين، فلا مناص من الاشارة إلى علوي آخر هرب من موقعة فخ وهو إدريس بن عبدالله بن الحسن، وهذا أخو يحيى، سار إلى مصر ومنها اتجه شطر بلاد المغرب الأقصى، فالتف عليه برابرة أوروبة فتكون هناك أول خلافة للعلويين وهي دولة الادارسة، وكان نزوله بمدينة وليلى سنة 172هـ(63)، وكانت بيعته في تلك السنة. ولما بلغ هارون أن أمر إدريس قد استقام ببلاد المغرب وكثرت جنوده، وفتح بلاد تلمسان، وأنه عازم على غزو إفريقية، أصبح شغله الشاغل أن يرسل إليه جيشاً كبيراً ولكن عدل عن ذلك؛ لبُعد الشقة، ومع ذلك اختار رجلاً داهية وفطناً اسمه سليمان بن جرير ويُعرف بالشماخ

اليماني وطلب منه بحسب مشورة يحيى البرمكي أن يحتال في قتل ادريس وزوده مالاً وطرفاً يستعين بها على أمره، فسافر الرجل ووصل إلى إدريس العلوي مظهراً النزوع إليه متبرئاً من الدعوة العباسية، فقبّله إدريس واختص به وأعجب بحديثه. وتنطق بعض الروايات التاريخية بالشهادة على دهاء الشماخ لما انتهز الفرصة وسمّه إما في طيب، وإما في سنون إدريس، وفرّ هارباً بعد تنفيذ ماكلف به من الخليفة الرشيد، فمات إدريس سنة 177هـ(64)، ولم يكن له ولد إلاّ أمة كانت حاملاً فانتظروا وضع حملها فوضعت ولداً ذكراً سُمّيَ إدريس على اسم والده(65)، وبايعوه بالخلافة واستمرت دولة الادارسة بالمغرب حتى سنة 364هـ(66).

قال في ذلك بعض الشعراء، أظنه الهنازيّ(67):

أتَظنّ يا إدريسُ أنّكَ مُفْلِتٌ   كيْدَ الخليفةِ أوْ يُفيدُ فِرارُ
فَليُدرِكنّك أو تحِلَّ ببلْدَةٍ   لايَهتَدى فيها إليكَ نَهارُ
إنّ السيوفَ إذا انتضاها سَخْطُهُ   طالتْ وقصَّرَ دُونها الأعمارُ
مَلِكٌ كأنّ المَوْتَ يتْبَعُ أمْرَهُ   حتى يقال: تُطيعُهُ الأقدارُ

موقف الرشيد من الزندقة:

ومما لايرقى الريب إليه هو أن أجهزة أمن الخليفة الرشيد كانت قوية ويقظة عام 170هـ إلى حد لم يسمح بنشاط الزنادقة، فتوارى بعضهم عن الأنظار خشية بطش الأجهزة الأمنية مثل(طباطبا العلوي وهو ابراهيم بن اسماعيل، وعلي بن الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن) الذي لم يفلتا من قبضة السلطة وأجهزتها، وعادا إلى ايمانهما تاركين الزندقة فعفا عنهما الخليفة الرشيد واستسلم بعضهم مثل (يونس بن فروة(68)، ويزيد بن فيض)(69).

وفي عام 187هـ أخبر الخليفة الرشيد أحد ثقاته وهو(عبدالله بن مصعب) بأن (أنس إبن أبي شيخ) على الزندقة، فكلف الخليفة صاحب الزندقة حمدويه بالتحقيق في أمره، وتبين بعد التحقيق والتمحص انه زنديق، فضلاً عن كونه أحد أصحاب

البرامكة الذين غضب عليهم الرشيد وفعل بهم مافعل، فتضاعف غضب الرشيد عليه للسببين معاً فقتله شر قتله(70).

ومما يثبت كفاءة الأجهزة الأمنية لاسيما أيام هارون الرشيد، وفي طليعتها صاحب الزندقة ماجرى لأبي العتاهية الشاعر الذي أوقع به حساده الوشاة عند الخليفة عن طريق اتهامه بالزندقة ان يكتب إليه بكل مايرى ويسمع عنه وهو في السجن، فكتب إليه بعد مراقبة دقيقة إنه بريء من التهمة المسندة إليه مستشهداً بأبيات سمعها منه وهي تفيض بالتوحيد وخالص عبوديته لله(71)، وماكان من الرشيد إلا ان كلف صاحب الزندقة(حمدويه) بمتابعته، فسارع حمدويه إلى منزله سراً ووجده قائماً يصلي في معظم الليل، فعاد بالخبر إلى الخليفة الرشيد فاستدعاه من الحبس، وعفا عنه وأمر له بألفي دينار(72).

وفي سنة 180هـ خرجت المحمّرة بجُرجان، فكتب قائده علي بن عيسى بن ماهان الخبر إلى الخليفة الرشيد، قال إن الذي حرك الناس عليه عمرو بن محمد العمركيّ، وأنه زنديق، فأمر الرشيد بعد إطلاعه على كتاب واليه وقائده علي بقتله فور اعتقاله، فتم القبض عليه، فقتِل بمرو، وقد اعترف انه يعتنق الزندقة، فلو قدر لهذا الزنديق أن يؤدي دوره لإنجاز ماكان يصبو إليه لكان يؤدي إلى الاطاحة بالخلافة العباسية، بعد النخر في بنيتها العسكرية والأمنية(73).

الحركات المناهضة في عهد الرشيد:

لم يكن عصر الخليفة هارون الرشيد خالياً من الاضطرابات الداخلية في أرجاء مختلفة من الخلافة العباسية. على أن مجمل أسباب هذه الاضطرابات والقلاقل تعود أحياناً إلى حركات التمرد الخارجية أو العلوية أو الفارسية أو غيرها، والبعض الاخر كان يعزو ذلك إلى إضطرابات ونزاعات قبلية أو حركات ذات طابع سياسي لا لون عقائدياً له، بل سببه سوء بعض الولاة وتذمر فئات معينة من الرعية(74). ففي بلاد الشام ثارت العصبية القبلية والقيسية في سنة 174هـ وتكررت سنة 176هـ(75) واشتدت سنة 180هـ(76) و 187هـ(77) وعلى الرغم

من ان الخلافة العباسية تدرك بان انقسام أهل الشام، أعداء الدولة التقليديين على أنفسهم قوة لها فإن تفاقم الوضع أدى من جهة أخرى إلى إرباك الإدارة واضعف قوة السلطة المركزية، مما دفع الرشيد إلى إرسال جعفر البرمكي للسيطرة على الأقاليم(78)، وقد نجح جعفر البرمكي في مدة قصيرة جداً في استعادة الأمن والاستقرار وذلك بتجريد القبائل من السلاح والاعتدة، وشرع في قتل أهل الفتنة والمحرضين عليها والمنتفعين بها من(الزواقيل) واللصوص وبعض شيوخ القبائل مثل أبي الهيذام. وهنا لابد من الاشارة إلى أن جعفر البرمكي جلب معه عدداً من الزعماء الشاميين إلى عاصمة الرشيد الذي قرر فرض نوع من الاقامة الجبرية عليهم في بغداد، كما أنه اصطنع البعض الآخر، وبذالك أطفأ تلك الثائرة(79).

ووثب الهيصم بن عبدالمجيد الهمداني على اليمن سنة 179هـ، وغلب عليها، فكان معقله بجبل يقال له مِسوَر، وكلما طال أمر حركته تجمع حوله عصاة آخرون أمثال عمر إين أبي خالد الحميري مقيماً بعشتان، وكان معه الصباح بناحية يقال لها حراز قرب زبيدة، وقد استطاع حماد البربري، أن يشتتت شملهم بعد مجزرة قتل فيها الآلاف، وأسر حماد عمر بن أبي خالد، فوجه به إلى الرشيد(80)، واتصلت الحرب بينه وبين الهيصم تسع سنين، ثم صار إلى حمّاد رجل من أهل البلد، فأعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته وصار إلى قرية من القرى متنكراً يتجسس الأخبار، فوجّه معه إلى تلك القرية بقائد يقال له حراد، فأخذ الهيصم، فقال الهيصم: والله إن القتل لشيء ما أنكره، وماخلقت الرجال إلاّ للموت والقتل فحمله حماد على جمل، وأدخله إلى صنعاء، ثم وجه به إلى الرشيد، فأنشده في شعر منه(81):

فشفاء مالاتشتيهد به النفسُ تعجيلُ الفراق

((فدعا بالهيصم فأمر بضرب عنقه، وانحرف حماد البربري إلى صباح، فضرع صباح إلى الأمان، فأعطاه الامان، وقيل: لم يعطه إيّاه، ولكنه أسره، ووجه به إلى الرشيد مع ستمائة رجل من أصحاب الهيصم، فضرب أعناقهم جميعاً،

وصلب الهيصم وصباحاً معاً، وأقام حمّاد البربريّ على اليمن ثلاث عشرة سنة، وسام أهلها سوءَ العذاب، حتى صاح قوم منهم بالرشيد، وهو بمكة: نحن نعوذ بالله وبك، ياأمير المؤمنين إعزل عنّا حماداً البربريّ إن كنت تقدر، فقال: ((لا ولاكرامة))(82).

ونظراً لأهمية خراسان ذات الموارد والكفاءة البشرية والامكانات الاقتصادية الكبيرة، فقد بقيت موضع إهتمام الرشيد، بيد أنه اساء اختيار الولاة لها، ولعل الدسائس وتكتلات البلاط العباسي لعبت دورها في قرارات الرشيد على مايخص إدارة خراسان، ولكن الرشيد لم يعزله حتى اشتدت الفتن عليه.

وولىّ الرشيد الفضل بن يحيى خراسان، فشخص إليها وقد خالف أهل الطالقان، فافتتح الطالقان، وزحف صاحب الترك في جيش كبير، ولقي جند(83) الفضل، والتحمت بينهما الحرب، ولم تمض إلاّ مدة وجيزة حتى ضرب صاحب الترك الفضل واستباح الفضل عسكره، وغنم أمواله وممتلكاته وفيه يقول الشاعر(84):

للفَضلِ يومُ الطلقانِ وقبْلَهُ يومٌ أناخَ به على خاقان

ما مِثلُ يوميه اللذين تواليا في غزوتين تواليا يومان

حركة رافع بن الليث بن نصر بن سيار:

وكانت حركة رافع بن الليث الذي دعى فيها إلى بني أمية في سمرقند هي التي نبهت وأيقظت الخليفة الرشيد إلى سوء إدارة علي بن عيسى بن ماهان فقد تمكن رافع أن يهزم جيش علي بن عيسى في معركة ضارية دارت رحاها ازدادت أنصاره ومواليه، حيث انضم إليه كل من أهل نسف وبخارى وخوارزم وفرغانة وأشروسنة والختل وغيرها من اقاليم من ما وراء النهر وبلاد الترك(85).

ولما بلغ الرشيد أن ذلك عن تدبير من علي بن عيسى بن ماهان، وّجه هرثمة بن أعين في أربعة آلاف كأنه مدد لعلي بن عيسى، حتى دخل المدينة، ومن ثم توجه شطردار الإمارة، وأدخل الجنود الذين كان بإمرته الدار، وأظهر كتاب تعيينه فدفعه إلى علي بن عيسى، فلما قراه تأكد من أمر الرشيد، فجرى قيده بقيد

ثقيل وأخرجه من مقر عمله مرو، وبعث به مع شخص معتمد يثق به هرثمة إلى الخليفة، وما أن مثل بين يدي الرشيد، أمر الأخير بحبسه وحبس ولـــده، وقــضب على جميع أمواله، فلم يزل مسجوناً حتى توفي الرشيد(86).

والجدير بالتنويه هنا انه لم يستطع في حياته أن يقضي على حركة رافع وقــد سار بنفسه إلى خراسان فوافاه الأجل، وهو في طريقه إليها، وبقيت حركة حتـــى ولاية المأمون سنة 198-218هـ؛ الذي استطاع سنة 195هــــ بـسياسته فـــي استرضاء أهل خراسان ان يفرق اتباع إبن الليث ويستميل قلوبهم إلى جنبه ممـــا أدى إلى استسلام رافع وذوبان معارضته(87)، وأمـــا مـــايتعلق بأفريقيـــة، فـــان الاضطرابات والفوضى استمرت، ولم تقف عند هذا الحد، بل دامت ســجالاً مـــع الاباضية في ولاية يزيد بن حارث المهلبي بن الجـــارود، واجتمـــع معـــه أهـــل المغرب، فحاربوه فقتلوا عساكره، وظفروا به، فحبسوه واصحابه. وغلـــب علـــى البلد عبدالله بن الجاورد، فطلب الأمان وسأل له حوائج سماها، فأجابوه إلى كـــل ماطلب ووصلوا مطالبه إلي الرشيد(88).

ومما يستحق ذكره هنا هو أن الرشيد لما سمع بالخبر وجه هرثمة بن أعين إلى الشام ومصر والمغرب يتقرأها ويصلحها واحداً بعد الآخر، حتى صار الى مصر في سنة 179هــ، وقد كانوا وثبوا على عاملهم، وصار هرثمة إلى المغرب، ولما حط رحاله في مدينة طرابلس أعطى جندها أرزاقهم المستحقة وآمنهم جميعاً، حتى قدم القيروان سنة 179هــ، فآمن الناس وسكنهم، ثم عاد إلى مصر ثم انـــصرف منها بعد أن استقامت أحوالها الأمنية والاقتصادية والعسكرية(89).

وهكذا فإن تمرد الجند والتنازع على السلطة بين قادة الجيش حالت بين السلطة وبين مقارعة الحركة الاباضية في أفريقية التي استفحل أمرها في تونس. وقدعين الرشيد محمد بن مقاتل المكي سنة 181هــ، فتمرد عليه الجند لسوء سيرته وهنـــا برز ابراهيم بن الأغلب بن سام، فقضى على حركة الجند ودخل مدينة القيـــروان مما دعى الرشيد إلى تعيينه والياً على أفريقية تخلصاً من مـــشاكلاتها الـــسياسية

وأعيائها المالية، فقد تعهد ابن الأغلب أن يضمن الاستقرار ويستغني(90) عن الاموال التي تدفعها مصر إلى والي أفريقية سنوياً كمعونة له وضمن فوق ذلك أن يدفع لبيت المال 40 ألف دينار سنوياً(91).

ومما ينبغي عدم تجاهله هو اقليم أرمينية فقد انتشرت فيها الاضطرابات والفوضى في عهد الرشيد، وعلى اثر ذلك أدرك الخليفة الى أهميته وعمل على توطين قبائل عربية برمتها في أرجائه، حتى لم يكن بها أحد يتحرك، ثم ولى عليها عبدالكبير بن عبدالحميد من ولد زيد بن الخطاب العدويّ، وكان منزله حرّان، فصار إليها في جماعة من أهل ديار مضر، ولم يقم إلاّ أربعة أشهر حتى صرف، وولى الفضل بن يحيى فغزا قلعة حمرين، فهزمه أهل حمرين، فانصرف مايلوي على شيء حتى أتى العراق، واستخلف على البلد عمر بن أيوب الكناني(92) وهكذا فقد تنوعت قبائل العرب في أرمينية بعد أن كانت صفتها الغالبة قبل عهد الرشيد من القبائل اليمانية(93).

فضلاً عماتقدمت الاشارة إليه يلاحظ ان الاوضاع في هذه الاقاليم لم تستقر، ويشير المؤرخون إلى أسباب لحركات الخزر(94) هذه منها الموت الفجائي لابنة خاقان ملك الخزر التي تزوجها الفضل واستجاشوهم على التمرد على الوالي العربي سنة 183هـ على أن هذه العوامل وغيرها ربما كانت مساعدة ولكن الأهم من ذلك طبيعة الخزر وموقع بلادهم بين دولتين متضاديتين العباسية والبيزنطية فكان كل منهما يستغلهم في مناسبات عديدة(95) لمصلحته ضد الطرف الآخر(96).

وقد ارتفعت مكانة يزيد بن مزيد الشيباني عن الرشيد فولاه أرمينية، وجمعت ليزيد إبن مزيد أرمينية وأذربيجان، فلمّا قدم تلاعمت الناس، وأصلح البلد، وساوى بين النزارية واليمانية، وكتب إلى أبناء الملوك والبطارقة يبسط آمالهم، فاستوى البلد(97). وفي سنة 192هـ تحرك الخُرمِّية بناحية أذْربَيجان، فوجّه إليهم الخليفة الرشيد عبدالله بن مالك في عشرة آلاف بين فارس وراجل، التحم الجيشان،

فانتصر عبدالله عليهم فأسر وسبى، ووفاه بقَرْماسين(كرمنشاه)، فأمر بقتل الأسارى وبيع السَّبْى(98).

أسرة البرامكة:

تنتسب هذه الأسرة إلى جدها برمك وهو من مجوس بلــخ(99)، وكـــان يخــدم النوبهار(100)، وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ تُوقد فيه النيران، فكان برمــك وبنوه سدنة له، وكان برمك عظيم المقدار عندهم، ولم يعلم هل أسلم أم لا؟(101).

لما جاءت الدعوة العباسية خراسان، كان خالد بن برمك مــن أكبــر دعاتهــا وزعمائها وكان ذا صفات عالية أهلته للسيادة ورفعة القدر والمكانة فــي صــدر الدولة(102)، حتى استوزره أبوالعباس بعد هلاك أبي سلمة(حفص بــن ســليمان) الخلال الهمداني(103)، فكان مدبر أمره(104)، غير أنه لم يكن يسمى وزيراً مسؤولاً عن ديوان الخراج والجند واستمر على ذلك حياة أبي العبــاس(105)، فلمــا ولــي أبوجعفر أبقى خالداً في منصبه مدة من الزمن ثم ولاه إقليم فارس بتدبير أبي أيوب المورياني الذي تولى الوزارة بعده فأقام فيها مدة، ثم انكسرت عليه جملة من المال فحمل إلى بغداد وطلب بالمال(106)، إذ يشير الطبري في احدى رواياته في حوادث سنة 158هــ ويقول: ((كان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألــف، ونذر دمَه فيها، وأجّله ثلاثة أيام بها، فقال خالد بذلك دمي! فإنصرف إلى حرمتك وأهلك، فما كنت فاعلاً بهم بعد موتي فافعله، ثم قال له: يابني، لايمنعك ذلك مــن أن تلقى إخواننا، وأن تمرّ بعمارة بن حمزة وصالح صاحب المــصلّى ومبــارك التركي فتعلمهم حالنا))(107).

وفي غد ذلك اليوم الذي أصيب فيه بهــذه المــصيبة ولاه المنــصور ولايــة الموصل، وكان ممدوح الولاية حسن السيرة. قال أحمد بن محمــد بــن ســوار الموصلي: ما هبنا قط أميراً هيبتنا خالد بن برمك من غيــر أن تــشتد عقوبتــه ولانرى منه جبرية، ولكن هيبة كانت له في صدورنا وبقي والياً على الموصــل حتى مات أبوجعفر وكانت وفاة خالد سنة 163هــ في أوائل خلافة المهدي(108).

أما يحيى بن خالد، فكان واحد الدنيا علماً وأدباً وفضلاً ونبلاً وكرماً وجوداً وشجاعاً، ربّاه أبوه فأحسن تربيته، كان مولده سنة 120هـ، فتربى في كنف الدولة العباسية(109)، وكان عضد بنيان والده في ملمّاته وشدائده، وقد اختاره المنصور لولاية أذربيجان سنة 158هـ، قال له: أردتك لأمر مهم من الامور واخترتك لثغر من الثغور، وكانوا لايولون ثغورهم إلاّ من كانت تقتهم به كبيرة وعظيمة، فسار في ولايته سيرة أبيه في الموصل واستمر بها حتى مات المنصور سنة 158هـ(110).

ولقد اشترك خالد في الدولة العباسية حتى توفي سنة 163هـ، بعد أن انجب رجلاً يعد واسطة عقد الاسرة البرمكية وهو يحيى بن خالد، هذا الرجل يعد أشهر شخصية في اسرة البرامكة، لما تميز به من مهارة وإدارة وهي ميزة اتقنها الفرس. عهد إليه الخليفة المهدي تأديب ولده هارون فرباه أحسن تربية وزوده بنصحه وارشاده حتى ضمن له الخلافة معرضاً حياته للخطر. وكان هارون لايناديه الا بقوله((يا أبتي))(111).

ولما تسنم هارون الرشيد الخلافة عرف ليحيى فضله وتضحيته فاستوزره وزارة تفويض وهي الوزارة التي تستغني عن توقيعات الخليفة على عكس وزارة التنفيذ التي يباشرها الخليفة بنفسه(112)، ويؤثر على الرشيد أنه قال ليحيى في هذا الصدد: ((قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي اليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض الامور على ماترى))(112)، ودفع إليه بخاتم الخلافة سنة 178هـ(114). وقام يحيى بادارة شؤون الدولة خير قيام، وكان يعاونه في هذه المهمة ولداه الأفضل وجعفر(115).

أما الأفضل، فكان أخاً للرشيد من الرضاعة(116)، وكان ادارياً ماهراً، وقد لمسنا مهارته في إخماد دعوة يحيى بن عبدالله العلوي دون أن يسفك دماً(117). كذلك كان كريماً سخياً ولاسيما مع الشعراء والادباء والعلماء أمثال العالم اللغوي الأصمعي والشاعر أبي نواس والرقاشي(118)، وقد ولاه الرشيد بلاد

المشرق(خراسان وطبرستان وأرمينية وبلاد ماوراء النهر) عـام 176هـ(119).

وهو منصب كبير ورفيع لم يكن يتولاه الا الامراء والاشراف من الأسرة العباسية وقد قام الأفضل هناك بأعمال انشائية عظيمة الشأن مثل حفر التـرع والقنـوات وبناء المساجد والزوايا والربط والخانقاهات...الخ فحسنت سيرته في تلك الـبلاد. هذا وتمتاز أخلاق الأفضل بالجدية الصارمة الوقورة، فضلاً عن أنه كان لايشرب النبيذ والمسكرات ويقول في هذا الصدد: ((لو علمت ان الماء ينقص من مروءتي لما شربته)). وهذه الصفات جعلته لاينسجم مع حياة القصر والبلاط لأنها لاتتناسب مع طبيعته، ولهذا فضل أن يعيش بعيداً عن هذا الجو، فعينه الرشيد على المشرق الاسلامي.

أما جعفر البرمكي وهو أصغر سناً من الأفضل، فقد ولاه الرشيد على المغرب أي الجزيرة والشام ومصر وأفريقية(120). وكان شاباً وسيماً مرحاً فصيحاً بليغاً في الكلام لبقاً، وهذه الصفات جعلته محبوباً لدى الخليفة الرشيد، فاستبقاه في بغـداد، كي يكون قريباً منه ونديماً له في مجالسه وكان يناديه بأخي، وقد قربـه الرشـيد لدرجة كبيرة إذ تقول رواية تاريخية ((وغلب جفعر على الرشيد غلبة شديدة حتى صار لايقدم عليه أحد))(121). وبطبيعة الحال، إن هذه الثقة الكبيرة التـي أولاهـا الرشيد لجعفر قد جعلت له نفوذاً في الدولة ومن أمثلة ذلك مايرويه المؤرخون عن حادثة الأمير عبدالملك بن صالح العباسي حينما زار جعفر البرمكي وطلب منه أن يتوسط لدى الخليفة كي يحقق له بعض المطالب، فاذا بجعفر يقوم بتحقيق رغباته كلها قبل استشارة الرشيد(122).

ومما ينبغي عدم تجاهله هو ان الرشيد أعطى البرامكة سلطات واسعة، وافسح لهم المجال في الاشراف على جميع مرافق الحياة العامة: في الادارة والأمـوال، والعلوم والفنون، بحيث لم يتركوا ناحية من هذه النواحي الا وشـملوها بنظـرهم وعطفهم، فاستمالوا النفوس وصارت لهم في قلوب الناس مكانة بارزة ولاسيما أيام الخيزران(123).

تعاظم نفوذ البرامكة وسقوطهم:

في الحقيقة ان المخاوف على انتزاع السلطة من قبل البرامكة قد استهدت بنفس الرشيد. ولكن يجب ان لانظن ان الرشيد تركهم يسرحون ويمرحون في السلطة دون مراقبة. وقد كان أوج قوة وعز البرامكة في حياة الخيزران، فلما توفيت سنة 173هـ(124)، فقد يحيى بوفاتها حليفاً مهماً لايعوض. ويمكن ملاحظة أثرها من ان الخليفة أخذ الخاتم يوم وفاتها من البرامكة وسلمه إلى عدوهم وخصمهم الفضل بن الربيع(125). ثم في السنة الثانية 174هـ عزل الفضل عن ولاية خراسان وولى عليها عيسى بن ماهان، أحد أعداء البرامكة، وهكذا يظهران الرشيد بحكم ظروف بيعته وصداقة الخيزران والبرامكة(126) اعطاهم سلطة كبيرة فاشتطوا ثم توفيت امه، فأخذ يسعى بالتدريج للقضاء على هذه السلطة ويعادلها بتقريب اعدائهم(127).

وهذا الأمر يثبت بحد ذاته ان الحس الأمني لدى الخليفة كان بالغاً حداً كبيراً من النضوج مكنه من استغلال وزيره إلى أقصى حدود الاستغلال. ومن الواجب ان لانغفل الاشارة إلى أن الاسباب التي أدت باسرة البرامكة إلى الارتقاء إلى مابلغها هي الأسباب نفسها التي عجلت بسقوطها. وهذا المنطق يمليه التاريخ البعيد والقريب، إذ راينا ان كل من حاول الاستعجال في الصعود إلى الأعلى اختصر زمن الهبوط إلى الاسفل(128).

وأبرز مثال على صواب الاستنتاج هذا هو ماحدث للبرامكة في عهد الخليفة الرشيد عام 187هـ، وعلى رأسهم وزيره البرمكي يحيى، الذي كان ينبغي ان يكون عامل اسناد للخلافة، لاعامل إضعاف لها، حيث عمل بعد تعاظم نفوذهم البالغ حد الخيال على إقامة دولة داخل دولة عن طريق جمع الانصار من البرامكة وغيرهم والثراء الفاحش الذي تمتعوا به في هذا العهد(129)، ولم يتركوا شيئاً الا استحوذوا عليه وشيدوا من القصور أضخمها وأكثرها رونقاً واحكموا قبضتهم على الأراضي الزراعية بهدف تنمية ثرائهم، لكن أجهزة أمن الرشيد لم تكن على

سذاجة تخفى عليها مجالات البرامكة ومآربهم، بل كانت تتصيد كل صغيرة وكبيرة، وتبلغ بها الخليفة ليسدد ضربته نحو هؤلاء في الوقت المناسب(130).

ولابد من الاشارة إلى ان طول بقائهم في الحكم وكثرة اخطائ التي رصدتها الأجهزة الأمنية، لاسيما مسرور الخادم صاحب سيفه وحرسه، فضلاً عن بروز كتلة منافسة بزعامة الفضل بن الربيع، فحاولت هذه الكتلة اثارة حفيظة الرشيد عليهم، خشية انفلات الوضع الأمني من يدي الخليفة، ومن ثم ضياع سلطته، كما أوصلت الأجهزة الأمنية إليه المناقشات التي كانت تدور في مجالسهم لصالح العلويين(131)، فعرفت هذه الأجهزة ان البرامكة يضمرون في دواخل نفوسهم الميل إلى العلويين ضد العباسيين(132)، وكانت المتابعات الأمنية لحركات البرامكة دقيقة جداً وشاركتهم عامة الناس أيضاً صيانة لأمن مدينتهم، إذ قال أحد الشعراء(أبوالعود) معبراً عما كان يجيش في الصدور ضد البرامكة وخطرهم المستقبلي على امن الخلافة قائلاً(133):

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد   وشفت أنفسنا مماتجد

واستبدت مرة واحدة   انما العاجز من لايستبد

فأثارت الابيات غيظ الخليفة على العابثين بأمنه وأمن عاصمته واستشاط غضباً على البرامكة، فأمر أجهزته الأمنية بأن لاتذر منهم دياراً غير رجل واحد هو(محمد بن خالد البرمكي) فنزلت عليهم نزول الصاعقة وبطشت بهم أيما بطش جلب مسرور الكبير جعفر بن يحيى ليلاً بأمر الرشيد إلى المنزل الذي فيه الخليفة، ((فحبسه وقيّده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه،...))(134) ثم التفت إلى السنديّ بن شاهك، فقال: ((ينبغي أن يحرق هذا، يعني جعفراً، فلما مضى، جمع السنديّ له شوكاً وحطباً وأحرقة))(135)، وتشير الروايات التاريخية إلى أن مهمة قتل جعفر البرمكي تولاها(50)خمسون رجلاً، وبعد التنفيذ تم قتل الرجال الخمسين المكلفين باداء المهمة، وهذه الحادثة تظهر الضرورة الأمنية للتخلص من هؤلاء كي لايكونوا مصدر خطر على أمن الخليفة

في المستقبل، عن طريق الأدلاء بهذه الاسرار يوماً ما(136). ومن الصعب اعطاء فكرة وثيقة عن الدور الذي لعبه البرامكة، لأن الرواة يتعصبون لهم أو عليهم فيما يصفهم البعض بالديانة والميل لبناء المساجد بينما يتهمهم خصومهم بالزندقة، ولكن اعداءهم من ميادين الأدب والتاريخ قليلون لدرجة يكادون يكونون معدومين. بينما نجد أنصارهم لايحصون ويرجع ذلك إلى وجود الكتاب الأعاجم المتعصبين لهم. ثم ان المؤرخين يتعصبون للكتاب، والبرامكة كانوا كتاباً ويعدون من مؤسسي هذه الطبقة فسكت الكتاب عن أخطائهم(137). هذه الظروف من خصوم البرامكة وأصدقائهم مع شدة تكتم الرشيد في الاقدام على عمله جعل المؤرخين يتخبطون في ظلام من أمر النكبة ويختلفون في تعليلها.

ان أول مايتبادر إلى الذهن في سبب سقوط البرامكة زوجته العباسة أخت الرشيد التي انتشرت قصتها بين العامة والخاصة، وعلى الرغم من الطابع الاسطوري للقصة(138)، إلا أن بعض المؤرخين المحدثين قبلوها من دون أن يتحققوا من أصلها، بينما لم يذكرها مؤرخون قدامى مشهورون كالدينوري واليعقوبي الذي عرفوا بثقة اخبارهم واطلاعهم الجيد بأخبار العراق.

أسباب سقوط البرامكة(139):

1- السبب السياسي فقد أظهر البرامكة ميولاً خطرة على سلامة وأمن الدولة(140)، وأخطر مثال على ذلك اطلاق جعفر أو الفضل ليحيى بن عبدالله العلوي. وهذا ولد شكاً عند الرشيد بنياتهم(141).

2- السبب المالي: تسلط البرامكة على أموال الدولة وتطرفوا في انفاقها بحسب ميولهم وقيدوا الرشيد في هذا الأمر. وقد أمتلكوا الضياع أسرفوا في العطايا والهبات حتى نافسوا الخليفة الرشيد في الابهة. وكانت عطاياهم وهباتهم أشهر من أن تذكر حتى ان جعفر البرمكي ضرب دنانير خاصة للصلات(142).

3- ميول البرامكة الفارسية أفسحت المجال لاتهامهم، وقد ظهرت هذه الميول في مناسبات مختلفة على الرغم من تحفظهم. فيحيى قرب بني سهل وهم مجوس.

وحادثة هدم أيوان كسرى مشهورة إذ اشار خالد على المنصور عام 145هـ بعدم هدمه واتهمه المنصور قال: هيهات يا خالد: أبيتَ إلاّ الميل إلى أصحابك العجم(143). كما حاول البرامكة إبعاد العرب ضدهم. فيرى المؤرخون ان البرامكة شكلوا شبه حزب فارسي في الدولة. وقابلهم العرب بالمثل فتشكل حزب ضدهم وترأسته زبيدة زوجة الرشيد(144).

ثم ان استئثار البرامكة بالوظائف وحصرها بأقاربهم جعل بعض الشخصيات غير العربية كعلي بن عيسى بن ماهان، الذي لم يكن من حزبهم والفضل بن الربيع تتعاون مع الكتلة العربية لاسقاطهم(145).

4- اثار البرامكة مخاوف الرشيد بجلهم وتعاظم نفوذهم، ويضاف إلى ماذكر، ان علاقة جعفر بالرشيد خطرة لانها كانت تستند إلى العواطف، والعواطف عرضة للتقلب(146).

5- كما كان للوشاية أثرها في إزاحة البرامكة عن الساحة السياسية، إذ حاول خصومهم انتهاز كل فرصة لايقاد صدر الخليفة عليهم، وقد لعب الفضل بن الربيع الدور الأكبر وساعده على ذلك كونه حاجب الرشيد وعلى اتصال دائم به.

اجتمعت العوامل المذكورة ودفعت الرشيد إلى انهاء دور هذه الأسرة ولم ينتقم منهم بصورة فجائية وانما استعمل طريقة الحكمة بان قلص سلطتهم تدريجياً(147).

6- وقيل: أنه رُفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها فيها(148):

قُلْ لأمينِ الله في أرْضهِ ... ومَنْ إليه الحلّ والعَقْدُ
هذا ابن يحيى قد غدا ملكاً ... مثلك، مابينكما حَدُّ
أمرِكَ مردود إلى أمرِهِ ... وأمرهُ ليس لهُ ردُّ
وقدْ بنى الدارَ التي مابنى الـ ... فرسُ لها مثلاً والا النهد
الدُرُّ والياقوت حصباؤها ... وتربها العنبرُ والندُّ
ونحن نخشى أنه وارثٌ ... ملكك إنْ غيبكَ اللحدُ
ولن يباهي العبدُ أربابَهُ ... إلاّ إذا مابطرِ العبدُ

وأغلب الظن أن هذه العوامل الستة قررت مصير البرامكة، فأمر الخليفة الرشيد أجهزته الأمنية وحرسه الخاص عام 187هـ بالقبض عليهم وصادر أملاكهم وضياعهم. في الليلة المصادف 1 صفر/9كانون الثاني أوعز الخليفة بقتل جعفر البرمكي وعلق جثته على جسور بغداد علناً ليراها المارة فتتسع رقعة الهلع على خارطة المخاوف النفسية بهدف الترويع المفضي إلى التركيع خلال تصعيد وتيرة الرعب ضد البرامكة حماية لأمن السلطة والخلافة معاً(149).

ماقيل في البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم:

لقد صورت أحداث البرامكة وكأنها مذبحة مأساوية لم يشهدها التاريخ، في الواقع أن الرشيد لم يقبل منهم إلاّ جعفراً أما يحيى والفضل فقد أمر بحبسهما وقد توفي الأول سنة 190هـ، والثاني 193هـ، وقدرثاهم الكثير من شعراء زمانهم وقال عنهم الرياشي(150):

على اللذات والدنيا جميعا   ودولة آل برمك السلام

وقال أشجع السلمى عنهم:

كأنَّ أيامهم من حسن بهجتها   مواسم الحج والأعياد والجمع(151)

وقال صالح بن طريف فيهما:

يابني برمك واهاً لكم   ولأيامكُمُ المقْتبِلَهْ(152)

كانت الدنيا عَروساً بكم   وهي اليَومَ ثكوله ارملهْ

وقال دعْبِلُ بن علي الخزاعي(153):

ولما رأيت السيف صَبَّحَ جَعْفَراً   ونادى مُنادٍ للخليفة في يحيى

بكيت على الدنيا وأيقَنتُ أنما   قُصارى الفتى فيها مُفارقة الدنيا

وماهي إلا دولة بعْد دولة   تخوّل ذا نعمي وتعقب ذا بلوى

إذا نزلت هذا منازل رفعة   من الملك حطت ذا إلى غاية سفلى

وقال العطوي أبو عبدالرحمن(154):

أما والله لولاَ قول واشٍ   وعَينٌ للخليفة لاتنامُ

لطُفْنا حَوْلَ جذعِكَ واستلَمْنا كما للنَّاس بالحَجرِ استلامُ
على الدنيا وساكِنِها جميعاً ودَوْلَةِ آل برمكٍ السَّـــلامُ

وفي قتل جعفر قال أبو العتاهية(155):

قُولا لمنْ يَرْتَجي الحـــياة أمّا فـــي جَعْفَرٍ عِبرَةٌ ويَحياهُ!
كانا وَزيرَيْ خليفة الله هـــا رونَ همـــا ماهما خـــليلاهُ
فذاكـــــم جعـــــفرٌ برُمّتِهِ في حالق رَأسُهُ ونصـــفاهُ
والشيخُ يحيى الوزير شملُهُمُ فأصبَحُوا في البلاد قد تاهوا
كذلكَ مَن يُسْخِطِ إلا له بما يُرضى به العبدَ يــجزهِ اللهُ
سبحانَ من دانَتِ الملوك له أشهــدُ أن لا إله إلا هُــــو
طُوبَى لمن تابَ بعدَ عِزَّتِهِ فتابَ قبــلَ المماتِ، طُوبَاهُ!

وقال فيهم صالح الأعرابي(156):

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك وأي ملوك لم تخنها دهورهــــا
ألم يك يحيى والي الأرض كلها فأضحى كمن وارته منها قبورها

ويبالغ البعض في اثر سقوط البرامكة ان انحلالاً سرى في المملكة بعدهم، ولكن هذا ضرب من التمييز لان دور فعالية الرشيد في حروبه مع البزنطيين كان يعد ماوقع لهم كما انه أبدى همه في ادارة الدولة فعزل علي بن عيسى عن خراسان، وأصلح الحال هناك، كما أنه خرج لمحاربة رافع بن الليث سنة 193هـــ. الا ان سقوطهم وسع شقة الخلاف بين الفرس والعرب فظهرت اثناء النزاع بين الأمين والمأمون(157).

يمكن بعد ذلك كله القاء نظرة على حكم الخليفة الرشيد، فقد كان خليفة يهتم بخير الرعية ويعتني بنشر العدل ويشجع حركة الترجمة. ولكنه ترك بذرة شقاق بولاية العهد، كما سمح للجرم بالتدخل في شؤون الدولة بعد أن وضع الخليفة الهادي حداً لذلك. وفي عصر الرشيدكان بدء التفسخ السياسي في الدولة، فانفصلت مراكش نهائياً، وأصبحت افريقية(تونس) شبه مستقلة.

العلاقات الخارجية في عهد الرشيد:

العلاقة مع البيزنطيين:

استمر الصراع بين المسلمين والبيزنطيين في عهد الخليفة الرشيد، فكانت علاقة حرب وعداء كما كانت أيام أبيه وجده، الذي عمد إلى تحصين المناطق والثغور المتاخمة للبيزنطيين وتقوية الجيش المرابط فيها، وأقام منطقة جديدة بين شمال الجزيرة(158) وشمال بلاد الشام أطلق عليها اسم منطقة العواصم(159) (أي التي يعتصم فيها الجند) ويمتد من أنطاكية إلى الفرات(160)، وجعل قاعدتها مدينة منبج(161) في شمال شرق حلب(162)، ورتب فيها جيشاً دائماً. كذلك اهتم اهتماماً خاصاً أيضاً بمنطقة الثغور الشامية التي على الحدود بين آسيا الصغرى وسوريا، فعمر فيها كلاً من طرسوس(163) وأطنة أو(أدنة)، وعين زربة، ولم يكتفِ عند هذا الحد، بل أقام فيها حصوناً جديدة مثل الهارونية بين مرعش وعين زربة(164).

وقد بالغ الرشيد من إهتمامه بمناطق الثغور وولي عليها ابنه الثالث أباالقاسم الملقب بالمؤتمن(165) سنة 186هـ(166)، كذلك اعتنى بتقوية الجيش العباسي حتى صار من أقوى جيوش عصره، ثم وجه الحملات المتكررة على المواقع البيزنطية في آسيا الصغرى. لذا أنشأ البيزنطيون من جانبهم خطاً دفاعياً لمواجهة الثغور الإسلامية ويضم سلستي جبال طوروس ويمتد كما قلنا آنفاً من الفرات حتى كيليكية(167).

بعد الانتهاء من إستحكامات التحصين والدعم ابتدأت العمليات العسكرية ضد الامبراطورة إيرين(رينى) وتلقّب أُغَسْطة عام 182هـ وانتصر عليها(168)، وقد ظلت إيرين تدفع الجزية السنوية للرشيد إلى أن ماتت بموجب الصلح الذي كان بين المسلمين وبينها، فعادت الرّوم على ايرين فخلعتها، وملكت عليها نقفور، والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان، الذي نقض الهدنة وطلب من الخليفة الرشيد أن يرد إليه الجزية التي دفعتها إيرين من قبل معللاً ذلك بقوله في كتاب له إلى الرشيد(169):

((من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب؛ أما بعد؛ فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرّخ، وأقامت نفسها مقام البَيْذق، فحملت إليك من أموالها ماكانت حقيقاً بحمل أمثالها؛ لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فارُدْد ماحصل قِبَلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة تلك، وإلاّ فالسيف بيننا وبينك))(170). فلما قرأ الرشيد الكتاب، استفزه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب(171):

((بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ماتراه دون أن تسمعه. والسلام))(172).

ثم خرج الرشيد على رأس جيش جرار بلغ تعداده(135)ألفاً سوى الاتباع والمطوعة، وسار باتجاه الروم وتوغل في عمق آسيا الصغرى حتى بلغ مدينة هرقلة وأناخ ببابها، فحاصرها حصاراً شديداً واستولى عليها عام190هـ عنوة(173)، ففتح وغنِم، يشير الطبري قائلاً: ((وأصطفى وأفاد، وخرّب وحرّق، واصطلم. فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع من غزوته، وصار بالرّقة نقض نقفور العهد، وخان الميثاق... فيئس نقفور من رَجْعته إليه، وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه، فما تهيأ لأحد إخباره بذلك اشفاقاً عليه خُرّة يكنى أبا محمد عبدالله بن يوسف ويقال هو الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال:

نَقَضَ الذي أعْطَيْتَه نِقْفُوْرُ وعليْهِ دائرةُ البَوارِ تَدورُ(18374)
أبشِرْ أمير المؤمنين فإنه غنمٌ أتاكَ بهِ الإلهُ كبيرُ
فلَقدْ تباشَرَت الرَّعيّة أنْ أتى بالنّقضِ عَنْهُ وافِدٌ وبَشيرُ(175)
وَرَجَتْ يمينَكَ أنْ تعجّلَ غَزوَةً تشفى النفوسَ مكانُها مَذْكورُ
أعْطاكَ جزيَتَهُ وطأطأَ خَدَّهُ حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدى مَحْذورُ
نِقْفُورُ إنّكَ حينَ تَغْدِرُ إنْ نأى عنكَ الإمامُ لجَاهِلٌ مَغْرورُ

نَصنْحُ الإمام على الأنامِ فـريضَةٌ ولأِهلِها كفَّارةٌ وَطَهـــــــورُ

وفي ذلك يقول اسماعيل بن القاسم أبوالعتاهية(176):

إمامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنــــياً وأصبَحتَ تسقي كل مُستمطرٍ رِيَّا

لك اسْمان شُقَّا مِنْ رَشاد وَمِنْ هُدىً فأنْتَ الذي تدعـــى رَشيداً ومَهْديا

بَسَطتَ لناَ شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُـــــلا فأوْسَعتَ شَرقِيًا وأوْسعْتَ غَرْبِيًا

وفي ذلك يقول أبوالعتاهية الشاعر(177):

ألا نادت هرقلة بالخراب من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا ويبرق بالمذكرة القضاب

ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها قطع السحـاب

وكان شخص هارون الرشيد إلى بلاد الروم لعشر من بقين من شهر رجب سنة 190هـ؛ وإتخذ قلنسوة مكتوباً عليها(178) ((غاز حاجٌ))، فكـان يلبـسها، فقـال أبوالمعالي الكلابيّ(179):

فَمنْ يَطلُبْ لقاءَكَ أو يُرِدْهُ فَبِالحرَمَيْن أو أقصى الثغورِ

ففِي أرْضِ العَدُوِّ على طِمِرّ وفي أرضِ التّرفةِ فَوْقَ كُورِ

وما حازَ الثغورَ سِواكَ خَلْقٌ مِنَ المتخلفينَ على الأمــورِ(180)

العلاقة مع الفرنجة:

كانت مطامع الفرنجة الكارولنجيين في أوربا بعيدة عن تطلعاتهم الشرقية، مما أتاح فرصة ملائمة لقيام علاقات سياسية بين الجانبين العباسي والفرنجي. هذا ولم تشر المصادر الشرقية المتوافرة إلى هذه العلاقات. في حين نـرى أن المـصادر اللاتينية انفردت بذكر الصلة التي ربطت هارون الرشيد بشارلمان ملك الفرنجـة، لكنها تبدو مضطربة وغامضة مما يقلل المؤرخون من شأنها(181).

ومما ينبغي عدم تجاهله استناداً إلى هذه المصادر، إنه ابتدأت العلاقـات بـين العاهلين في عام 181هـ(182) وتبادلا الوفود والهدايا، لكنها لم تسفر عـن قيـام تحالف سياسي. والراجح وجود نوع من العلاقات التجارية والسياسية التي لم تأخذ

شكلاً من أشكال التحالف السياسي، وأن المسؤول عنها هم التجار اليهود الذين كانوا حلقة الوصل بين الشرق والغرب، ولاسيما أن أساليب التجار آنئذٍ أن يدعوا بأنّهم سفراء لتسهيل مصالحهم(183).

ولاية العهد والرشيد:

لقد أولى الخلفاء العباسيون كل اهتمامهم بهذا المضمار وطرقوا كل باب يضمن لهم تكريسه وترسيخه، كي لايهتز إذا هبت عليه نكب الرياح العاتيات، ودبروا لكل شأن ماينسجم معه ولايتنافر قطباه، وهذا مافعلوا بالقياس إلى الوظائف الحساسة التي تحفظ الدولة، وتحافظ على ديمومتها، مثل وظيفة ولاية العهد، لقد شهد العصر العباسي الأول منازعات فيما يخص من يتولى الخلافة بعد وفاة الخليفة القائم(184). فقد أوصى الخليفة الرشيد بولاية العهد سنة 175هـ(185) لمحمد الأمين(186)، وكان ابن عشر سنين فقط وولاه ولاية المغرب، وبعد سبع سنوات أي في سنة 182هـ(187) ولى الرشيد ابنه عبدالله المأمون ولاية العهد الثانية واعطاه ولايات المشرق، ثم للقاسم سنة 186هـ(188).

وحين حج الخليفة سنة 186هـ(189)، كتب عهداً احتاط فيه لأحدهما على الآخر. واشترط هذا العهد على محمد الأمين الوفاء لأخيه عبدالله المأمون وارسلت نسخ منه إلى العمال وأثبتت في الدواوين(190) وعلقت على جدران الكعبة(191). وجاء في نصها: ((واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب. وعبدالله بن أمير المؤمنين المصدّق في قوله، وأنتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد بن أمير المؤمنين هارون إن نقضَ شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبدالله بن أمير المؤمنين هارون ويسلِّم له الخلافة))(192). وفي ذلك يقول عبدالملك بن صالح:

حب الخليفة حب لايدين له | عاصي الإله وشارٍ يُلْقحُ الفتنا(193)
الله قلّدَ هارونا سياسته | لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا(194)
وقلد الأرض هارونٌ لرأفته | بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ويحدثنا المسعودي في رواية مفادها: ((حكى عن ابراهيم الحجي أن الكتب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع، فقلت في نفسي وقع قبل أن يرتفع، إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه))(195).

ولاجدال فقد كانت عهود الكعبة في صالح عبدالله المأمون، ولم يكن للأمين سلطة على أخيه في المشرق، ولم يعطِ الحق في عزله أو التدخل في إدارة الولايات التي تحت نفوذه. بينما اعطى للمأمون الحق إذا افضت الخلافة إليه الخيار في إبقاء أخيه الثالث المؤتمن أو عزله(196).

ويروى أن الأمين لما حلف للرشيد بما حلف به، وأراد الخروج من الكعبة، رده جعفر بن يحيى البرمكي، وقال له: ((فان غدرت بأخيك خذلك الله، حتى فعل ذلك ثلاثاً في كلها يحلف له، وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر ابن يحيى))، فكانت أحدى من حرض الرشيد على أمره، وبعثته على مانزل به(197).

وقد فتح هذا العمل الذي أقدم عليه الرشيد باب الفتنة بين الأمين والمأمون اللذين يضمران الشر لبعضهما البعض، ومن ورائهما حزبا العرب والعجم ينتظران خاتمة الرشيد ليستأنفا صراعهما من جديد(198)، عقب وفاته هبت عاصفة هوجاء بين الأخوين، فأكلت رؤوس الآلاف من المسلمين، وكان الأمين نفسه أحد ضحاياها(199).

وهكذا استعصى تجسيد الفجوة التي كانت موجودة بين الأخوين وبسبب عدم إلتحام الشرخ الواسع بينهما انتهى بنشوب الاقتتال وأسفر في خاتمة المطاف عن تخلخل شديد في وضع الخلافة، فأدى إلى النتيجة المعروفة في التاريخ(200).

ويعد الخليفة الرشيد مسؤولاً عن التفكك السياسي حين قرر تقسيم اقاليم الخلافة بين أبنائه الثلاثة، لكي يستمر الحكم في يد العباسيين من نسله، إلا أنه من الصعوبة القول بأن هذا الحل الذي إبتدعه الرشيد كان حلاً صحيحاً(201).

هوامش الفصل السابع:

1- السيوطي:المصدر السابق، ص284.

2- الطبري: المصدر السابق 144/8.

3- نفسه 144/8.

4- نفسه، 154/8.

5- ابن قتيبة: المصدر السابق 153/2.

6- السيوطي: المصدر السابق ، ص296.

7- المسعودي: المصدر السابق 348/3.

8- الطبري: المصدر السابق 345/8.

9- نفسه 346/8.

10- الجهشياري: المصدر السابق ، ص177؛ الطبري: المصدر السابق 207/8.

11- السيوطي: المصدر السابق ص296.

12- الطبري: المصدر السابق 207/8؛ فاروق عمر:المرجع السابق، 193/1.

13- السيوطي: المصدر السابق ، ص284-286.

14- الطبري: المصدر السابق 307/8-308.

15- نفسه 261/8.

16- السيوطي: المصدر السابق ، ص288.

17- الطبري: المصدر السابق 268/8.

18- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص80.

19- نفسه، ص80-81؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، 189/1.

20- السيوطي: المصدر السابق، ص284-285.

21- الطبري: المصدر السابق 237/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص285-286.

22- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص143؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، 192/1.

23- محمد الخضري: المرجع السابق ، ص14.

24- قحطان الحديثي: حركات الخوارج في خراسان، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد(6)، ص5-17.

25- اليعقوبي: المصدر السابق 288/2؛ الطبري: المصدر السابق 256/8.

26- اليعقوبي: المصدر السابق 288/2.

27- الطبري: المصدر السابق 266/8؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص248.

28- الأزدي: المصدر السابق، ص280فمابعد.

29- ابن خلكان: المصدر السابق 33/6.

30- الطبري: المصدر السابق 261/8.

31- ابن خلكان: المصدر السابق 31/6.

32- الطبري: المصدر السابق 261/8.

33- نفسه 261/8.

34- ابن خلكان: المصدر السابق 32/6-33.

35- الطبري: المصدر السابق 322/8.

36- نفسه 328/8.

37- نفسه 323/8.

38- نفسه 235/8؛ ابوالفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص463؛ عبدالكريم الأشتر: دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت، دمشق، 1964م، ص68-69.

39- الطبري: المصدر السابق 235/8.

40- نفسه 235/8؛ ابن الأثير: المصدر السابق 114/6-115؛ ابن تغري بردي:المصدر السابق، 68/3؛ عبدالكريم الأشتر: المرجع السابق ، ص69؛ عبدالجبار الجومرد: المرجع السابق ، 153/1.

41- الطبري: المصدر السابق 235/8؛ ابن الأثير: المصدر السابق 114/6-115؛ ابن تغري: المصدر السابق 68/2؛ عبدالكريم: المرجع السابق ، ص69؛ عبدالجبار: المرجع السابق ، 153/1.

42- ابن الأثير: المصدر السابق 114/6-115؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص176.

43- أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ص504-505؛ ابن الأثير: المصدر السابق 164/6؛ ابن تغري:المصدر السابق 72/2؛ عبدالكريم: المرجع السابق ، ص164؛ عبدالجبار: المرجع السابق 178/1.

44- المسعودي: المصدر السابق 365/2.

45- أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ص504-505؛ ابن الأثير:المصدر السابق 164/6؛ ابن تغري: المصدر السابق 72/2؛ أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق ، ص92.

46- اليعقوبي: المصدر السابق 286/2؛ أبوالفرج: المصدر السابق ، ص505؛ ابن الأثير: المصدر السابق 164/6-165؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص178؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص12؛ وربما كان مناداة الرشيد لقبر الرسول(صلى الله عليه وسلم)، يا ابن العم، ومناداة الكاظم لقبر الرسول(صلى الله عليه وسلم) بيا أبتي، أثر كبير في إشارة شكوك الرشيد والعمل على التخلص من هذا المدعي الخطير. لمزيد من التفاصيل عن هذه القضية، يراجع: أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق ، ص505؛ ابن الأثير: المصدر السابق 164/6-165؛ الشيخ عبدالرزاق المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، القاهرة، 1938م، ص171-172؛ أحمد أمين: ضحى الاسلام، بيروت، 1936م، 293/3.

47- اليعقوبي: المصدر السابق 108/2.

48- كان هذا الرجل من المتشيعين العلويين، ولهذا أثار سخط الرشيد وشكوكه. ينظر: البلاذري: أنساب الاشراف 137/2؛ صالح أحمد العلي: بغداد، 276/1.

49- اليعقوبي: المصدر السابق 423/2.

50- أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق ، ص469ومابعدها؛ عبدالكريم الأشتر: المرجع السابق ، ص68-69.

51- أحمد بن يحيى بن المرتضى: كتاب طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنه ديفلد، فييزر، بيروت، 1961م، ص52؛ أحمد عبدالعزيز، المرجع السابق ، ص93.

52- اليعقوبي: المصدر السابق 423/2.

53- ابوالفرج: المصدر السابق ، ص469ومابعدها؛ عبدالكريم: المرجع السابق، ص69.

54- ابن قتيبة: المصدر السابق 15/1؛ ابوحنيفة الدينوري: المصدر السابق، القاهرة، 1961م، ص373؛ ابن الجوزي: اخبار الحمقى، بيروت، د.ت، ص17؛ يوليوس ولهاوزن: الدولة العربية، ترجمة عبدالهادي أبو ريدة، القاهرة، د.ت، ص435؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق ، القاهرة، 1939م، 375/1.

55- الجاحظ: البيان والتبين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، 1965م، 368/3-369؛ أبوحنيفة الدينوري: المصدر السابق ، ص380-381؛ الثعالبي: ثمار القلوب، تحقيق محمد أبوالفضل، القاهرة، 1965م، ص130-165؛ ابن خلكان: المصدر السابق 153/4؛ الذهبي: المصدر السابق 173/1.

56- الطبري: المصدر السابق 247/8؛ المسعودي: المصدرالسابق 351/3؛ السيو
المصدر السابق ، ص287.

57- الطبري: المصدر السابق 158/8؛ التنوخي: المصدر السابق 1/270-271؛ ابن
الأثير: المصدر السابق 537/5-538؛ أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق ، ص95.

58- اليعقوبي: المصدر السابق 432/2؛ أبوالفرج الأصفهاني: الأغاني 92/4-93؛
عبدالكريم الأشتر: المرجع السابق ، ص69.

59- اليعقوبي: المصدر السابق 423/2؛ أبوالفرج: المصدر السابق 92/4-93.

60- أحمد عبدالعزيز محمود: المرجع السابق ، ص95.

61- ابن قتيبة: المصدر السابق 201/1؛ مؤلف مجهول: اليعون 318/3.

62- ابن قتيبة: المصدر السابق 150/1-158، 161-163. ولمزيد من التفاصيل يرجع:
مؤلف مجهول: العيون، 222/3-227؛ 247-250.

63- ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص19-20؛ ابن الخطيب: تاريخ العربي في العصر
الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم
الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص190-191.

64- البكري: المغرب في ذكر بلاد الافريقية والمغرب، ص122؛ مؤلف مجهول:
الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، الاسكندرية، 1958م،
ص194.

65- الطبري: المصدر السابق 199/8.

686- المسعودي: المصدر السابق 353/3؛ أحمد سعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية
ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر، 1969م، 44/1؛ محمد الخضري: الدولة، ص99.

67- الطبري: المصدر السابق 199/8.

68-نفسه 234/8.

69- ابن الأثير: المصدر السابق 108/6؛ عبدالرحمن سنبط الأربلي: المصدر السابق ،
ص98؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص115.

70- الطبري: المصدر السابق 297/8؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص270؛ رمزية
الأطرقضي: الحياة، ص111؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص115.

71- أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 37/4-53؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ،
ص115.

72- أبوالفرج: المصدر السابق 37/4؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص115.

73- الطبري: المصدر السابق 525/8؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص116.

74- اليعقوبي: المصدر السابق 286/2-287؛ فاروق عمر: المرجع السابق 193/1.

75- الطبري: المصدر السابق 251/8.

76- نفسه 262/8ومابعدها.

77- نفسه 302/8.

78- نفسه 251/8-252، 261؛ الجهشياري: المصدر السابق ، ص208.

79- لقد أوقدت بالشأم نيران فِتْنَةٍ فهذا أوانُ الشأمِ شهبانها وشَرارُها

إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ مِنْ آل بَرمكٍ علها، خَبَتْ شهبانَها وشرارُها

رَماها أمير المؤمنينَ بجعفرٍ وفيه تلاقى صَدْعها وانجبارها

ينظر لمزيد من التفاصيل: الطبري: المصدر السابق 262/8-263.

80- اليعقوبي: المصدر السابق 289/2.

81- نسفه 289/2.

82- نفسه 289/2.

83- نفسه 285/2-286.

84- نفسه 285/2-286.

85- نفسه 298/2؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 235/1.

86- اليعقوبي: المصدر السابق 298/2؛ الطبري: المصدر السابق 324/8-328؛ الجهشياري: المصدر السابق ، ص228.

87- فاروق عمر: المرجع السابق 194/1؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص109.

88- اليعقوبي: المصدر السابق 288/2؛ فاروق عمر: المرجع السابق 195/1.

89- اليعقوبي: المصدر السابق 288/2.

90- نفسه 288/2-289.

91- ابن أعثم الكوفي: المصدر السابق ، ص248؛ فاروق عمر: المرجع السابق 195/1.

92- اليعقوبي: المصدر السابق 299/2.

93- نفسه 299/2؛ فاروق عمر: المرجع السابق 195/1.

94- ابن أعثم الكوفي: المصدر السابق ، ص248.

95- الطبري: المصدر السابق 270/8.

96- اليعقوبي: المصدر السابق 299/2؛ فاروق عمر: المرجع السابق 195/1.

97- اليعقوبي: المصدر السابق 299/2؛ الطبري: المصدر السابق 270/8.

98- نفسه 339/8.

99- البلخي:المصدر السابق 104/6.

100- المسعودي: المصدر السابق 395/3؛ فاروق عمر فوزي: البرامكة، دائرة المعارف البريطانية، الطبعة الجديدة، 1975م، ص196.

101- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص81-82.

102- فاروق عمر: المرجع السابق 196/1.

103- ابن خلكان: المصدر السابق 195/2-197.

104- مؤلف مجهول: أخبار العباس وولده، ص74ومابعدها.

105- الجهشياري: المصدر السابق، ص87-89؛ محمد سهيل: المرجع السابق ، ص159.

106- ابن خلكان: المصدر السابق 332/1-342.

107- الطبري: المصدر السابق 57/8.

108- ابن خلكان: المصدر السابق 332/2.

109- نفسه 328/2.

110- الطبري: المصدر السابق 57/8-59.

111- نفسه 293/8؛ ابن خلكان: المصدر السابق 332/2-333.

112- ابن خلكان: نفسه 328/1.

113- الطبري: المصدر السابق 233/8؛ فاروق عمر: دائرة المعارف البريطانية، ص196.

114- الطبري: المصدر السابق 256/8.

115- المسعودي: المصدر السابق 348/3.

116- الطبري: المصدر السابق 230/8.

117- نفسه 233/8.

118- ابن خلكان: المصدر السابق 339/1.

119- الطبري: المصدر السابق 8/ 242؛ الجهشياري: المصدر السابق ، ص177.

120- الطبري: المصدر السابق 252؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص84.

121- الجاحظ: المصدر السابق ، القاهرة، 1948م، 190/3-195.

122- ابن خلكان: المصدر السابق 330/1-331.

123- الجهشياري: المصدر السابق ، ص177؛ المسعودي: المصدر السابق 384/3-386.

124- الطبري: المصدر السابق 238/8؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص112؛ فاروق عمر: المرجع السابق 191/1.

125- الطبري: المصدر السابق 238/8.

126- نفسه 234/8.

127- نفسه 234/8؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص143.

128- المسعودي: المصدر السابق 384/3؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص144.

129- البيهقي: المحاسن والمساوئ، بيروت، 1960م، ص193؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص144.

130- ابن عبد ربه: المصدر السابق ، القاهرة، 1953م، 174/5؛ مؤلف مجهول: العيون 306/3-307؛ ابن الأثير: المصدر السابق 175/6-176؛ ابن الكازروني: مختصر تاريخ، تحقيق د.مصطفى جواد، بغداد، 1970م، ص129؛ بسام العسلي: فن الحرب، 517.

131- ابن خلكان: المصدر السابق 363/2؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص201-204.

132- الجهشياري: المصدر السابق ، ص160-162؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق ، 265/16؛ ابن الأثير: المصدر السابق 47/6-48؛ فاروق عمر: المرجع السابق 196/1-201؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص144.

133- الطبري: المصدر السابق 127/9؛ البيهقي: المصدر السابق ، ص373؛ نادية حسني صقر: السلم في العلاقات البيزنطية في العصر العباسي الأول، مكة المكرمة، 1985م، ص47؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص145.

134- الطبري: المصدر السابق 295/8.

135- نفسه 298/8.

136- المسعودي: المصدر السابق 451/3؛ ابن الأثير: المصدر السابق 175/6؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص145.

137- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص145.

138- الجهشياري: المصدر السابق ، ص177؛ يراجع فاروق عمر: سقوط البرامكة، مجلة المؤرخ العربي 1985م؛ فاروق عمر: المرجع السابق 118/1.

139- ابن خلكان: المصدر السابق 334/1-336.

140- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص112ومابعدها.

141- الطبري: المصدر السابق 12/8؛ فاروق: الخلافة 200/1.

142- فاروق: المرجع السابق 200/1.

143- الطبري: المصدر السابق 650/7-651.

144- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 8/11-9؛ ابن النديم: المصدر السابق ، ص175؛ ابن الأثير: المصدر السابق 57/6.

145- ابن خلكان: المصدر السابق 335/1؛ فاروق: المرجع السابق 201/1.

146- المسعودي: المصدر السابق 3/ 385-386.

147- ابن خلكان: المصدر السابق 334/1-335.

148- نفسه 336/1.

149- الطبري: المصدر السابق 256/8، 297؛ الخطيب: المصدر السابق 116/1؛ كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص157؛ أحمد عبدالعزيز: الأمن، ص32.

150- ابن خلكان: المصدر السابق 336/1.

151- نفسه 336/1.

152- المسعودي: المصدر السابق 336/1.

153- ابن خلكان: المصدر السابق 340/1-341.

154- الطبري: المصدر السابق 301/8.

155- نفسه 301/8-302.

156- المسعودي: المصدر السابق 391/3.

157- ابن قتيبة: المصدر السابق 174/2.

158- الطبري: المصدر السابق 234/8.

159- نفسه 234/8.

160- محمد سهيل طقوش: المصدر السابق ، ص161.

161- الطبري: المصدر السابق 277/8.

162- وديع فتحي عبدالله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى، ص242-243.

163- الطبري: المصدر السابق 234/8.

164- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص91.

165- المسعودي: المصدر السابق 364/3.

166- الطبري: المصدر السابق 276/8؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 245/1.

167- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص160.

168- الطبري: المصدر السابق 269/8.

169- نفسه 269/8؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص108.

170- الطبري: المصدر السابق 307/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص288.

171- الطبري: المصدر السابق 308/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص288؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص91-93.

172- الطبري: المصدر السابق 308/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص288؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص93.

173- الطبري: المصدر السابق 320/8.

174- السيوطي: المصدر السابق، ص289.

175- الطبري: المصدر السابق 307/8-308.

176- الطبري: المصدر السابق 309/8.

177- السيوطي: المصدر السابق، ص289.

178- الطبري: المصدر السابق 320/8-321.

179- نفسه.

180- الطبري: المصدر السابق 321/8.

181- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص161.

182- الطبري: المصدر السابق 268/8.

183- Runciman, S: Charlemagne and palestine English; Historical Review. I London 1953, p.p. 6.7; Einhard: The life of chariemagne, 1960, p. 42;

محمد سهيل: المرجع السابق، ص161.

184- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص128.

185- السيوطي: المصدر السابق ص290.

186- الطبري: المصدر السابق 240/8.

187- نفسه 269/8؛ السيوطي: المصدر السابق، ص290.

188- الطبري: المصدر السابق 277/8؛ المسعودي: المصدر السابق 364/3؛ السيوطي: المصدر السابق ص290.

189- المسعودي: المصدر السابق 363/3-364؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 246/1.

190- المسعودى: المصدر السابق 363/3-364؛ فاطمة: المرجع السابق 246/1.

191- الدينوري: المصدر السابق ، ص290-291؛ الطبري: المصدر السابق 385/8-389؛ ابن أعثم الكوفي: المصدر السابق 234/8.

192- الطبري: المصدر السابق 280/8.

193- نفسه 280/8.

194- السيوطي: المصدر السابق ، ص290.

195- المسعودي: المصدر السابق 364/3.

196- الطبري: المصدر السابق 286/8؛ 315؛ فاروق عمر: المرجع السابق 216/1.

197- المسعودي: المصدر السابق 364/3.

198- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص93.

199- فاطمة محمود: المرجع السابق 246/1.

200- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص138.

201- فاروق عمر: المرجع السابق 190/1.

الفصل الثامن

الأمين 193-198هـ

نسبه ونشأته وتوليته الخلافة:

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد، وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، فهو هاشمي أبا واماً. ولم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء الا لعلي بن أبي طالب(رضي الله عنه) ولإبنه الحسين(1). ولد سنة 170هـ هـ، وولاه أبوه العهد سنة 175هـ، وكان قائماً مقام ابيه ببغداد حينما سافر إلى خراسان، ولما مات الرشيد بطوس 193هـ(2)، بُويع له في عسكر الرشيد(3) بالخلافة ووصل الخبر إلى بغداد فبايعه الخاصة والعامة(4) واستمر في الخلافة إلى ان قُتلَ في 25محرم سنة 198هـ، فكانت مدته أربع سنوات إلاّ أربعة أشهر تقريباً(5).

لما كان الرشيد بطوس لقمع حركة رافع بن الليث سنة 193هـ(6) كان يشكو من تدهور حالته الصحية، وقد صحبه في هذه الرحلة المأمون والفضل بن سهل والفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح، ومن خدمه مسرور الكبير وحسين ورشيد، بينما بقي الأمين في بغداد، وقد توفي الرشيد في هذه الرحلة في طوس تاركاً وراءه مشكلة معقدة شغلته طويلاً وتخبط في وضع الحلول لها ألا وهي فكرة من سيعقبه في الحكم بعد وفاته؟(8). ولما مات الرشيد تمت البيعة للأمين في كل البقاع دون خلاف من أحد(9). فقال في ذلك شاعر من أهل بغداد(10):

نَبنى أمينُ اللهِ مَيدانا   وصَيّرَ السّاحةَ بُستانا
وكانت الغِزلانُ فيه بَانَا   يُهدَى إليْهِ فيهِ غِزلانا

وقد أهمل الفضل بن الربيع وصية الخليفة الرشيد بأن يتبع المأمون هو ومن معه، وعاد الفضل من طوس بعد وفاة الرشيد على جناح السرعة إلى بغداد مع الجيش الذي كان معه يقاتل رافع بن الليث(11)، بناءً على أوامر من الأمين. ولما ركن الرشيد إلى المصير المحتوم الذي ينتظر كل كائن حي، وانتقلت السلطة إلى

الأمين، الخليفة الأخير يكفينا عبء محاولة الغور في نفسه لنستشف ماكان يخطر بها، لأنه هو عبر عن خطرات قلبه، عقب القسم الذي أداه في البيت الحرام، اشار الفضل بن الربيع أن محمداً قال عند خروجه من بيت الله: يا أبا العباس، هو ما أجد من نفسي أن أمري لايتم، فقال له: ولم ذاك أعز الله الأمير؟ قال: لأني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر. قال له الفضل: سبحان الله!! في هذا الموضع؟ فقال الأمين: هو ماقلت لك(12).

النزاع بين الأمين والمأمون:

في أعقاب وفاة الرشيد وتسلم الأمين الخلافة وبذل كل جهوده ليوفي لنفسه ما أحب وليحقق ماكان أضمر، بدأ النزاع على شكل مراسلات ووفود متبادلة بين الأخوين فيما يخص مشكلة العهد المعلق في الكعبة. فالمأمون يرى التمسك بنصوص هذا العهد الذي يقضي باستقلاله بشؤون خراسان خلال حكم أخيه الأمين. أما الأخير فرأى نفسه خليفة للمسلمين ويستطيع التصرف في أمور خراسان كما تقضي بذلك المصلحة العامة وأن النص على ولاية المأمون لخراسان لايعني استقطاع هذه الولاية من الخلافة نهائياً، بل ينبغي أن يكون للخليفة شيء من النفوذ وذلك بأن يضع على خراسان بريداً. لهذا طالب الأمين بوضع نظام للبريد تابع له في خراسان، ولكن المأمون رفض هذا الطلب(13). ولكن ينبغي أن نعلم أن نظام البريد عندهم لم يكن كما نقول نحن اليوم البوستة، أي أنه لم يكن بريداً للعامة بل بريداً خاصاً بأعمال الدولة وأمنها وسلامتها، ومهمته الترصد والتنصت على عمال الدولة وإبلاغ العاصمة في أقرب وقت مستطاع بما يجري في الأقاليم من أحداث سياسية واقتصادية وغيرها.بيد أن الخليفة الأمين سرعان ما أراد تغيير ولاية العهد للمأمون(14)، ولم تمض مدة طويلة على تلك الوصية حتى طلب من أخيه المأمون، ان يتنازل عن ولاية العهد لابنه موسى، نتيجة لضغط جماعة من المحيطين بالخليفة ورجالات جيشه وحاشيته امثال الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان والسندي، وقد كان الأمين في حقيقة أمره متردداً في

إلغاء وصية والده، إلا انه اخضع لتأثيرات المتنفذين المحيطين بـه(15)، ويـشير اليعقوبي في احدى رواياته قائلاً: ((فأفسد قوم قلب محمد على المأمون، وأوقعوا بينهما الشرّ، وكان الذي يحرضه علي بن عيسى بن ماهان، والفضل بن الربيع، وزيّنا له أن يبايع لابنه بولاية العهد من بعده، ويخلع المأمون، ففعل ذلك، وبـايع لإبنه موسى، وكان ذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة 194هـ(16)، وجمع العهود التي كان كتبها الرشيد(17) بينهما، فحرّقها، وجرت الوحشة بينهما، وكتب محمد إلى المأمون يأمره بالقدوم عليه في جميع القوّاد، فكتب إليه يعلمه أنه لاسمع عليه في هذا ولاطاعة، فكتب إلى مَن بخراسان من القوّاد، فأجابوه بمثل ذلك، وقالوا: إنما يلزمنا لك الوفاء، إذا وفيت لأخيك، وأنت قد نقضت العهود، وأحدثت الاحداث، واستخففت بالايمان والمواثيق))(18).

عزل الأمين:

عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة الفراتية سنة 193هـ وأبقاه على قنسرين والعواصم(19) ثم استقدمه بعد سنة إلى بغداد. وفي سنة 194هـ قرر الأمين ابنه موسى سنة 194هـ مسمياً إياه الناطق بالحق(20)، وناهياً عن ذكر اسم المأمون والقاسم عند القاء الخطب على المنابر أيام الجمع، وممزقاً كتاب الوصية الذي كان معلقاً على جدار الكعبة(21)، وقد استوحش المأمون من ذلك فقطع البريد وأقدم على خطوة أخرى أكثر صرامة أسقط اسم الخليفة الأمين من الطراز(22). فأرسل الأمين وفداً إلى خراسان يطلب من المأمون القدوم إلى بغداد يعرفه فيه حاجته إليه وإيثاره الاستعانة برأيه ومشورته! فحذره بن سهل من الذهاب إلى بغداد وبناء على مشاورته لرأي فضل بن سهل اعتذر المأمون(23) فأرسل رسالة إلى الخليفة الأمين يقول فيها: ((أمابعد فان الإمام الرشيد ولاني هذه الأرض على جين طلب من عدوها وهي من سندها وضعف من جنودها ومتى أخللت بها أوزلت عنها لم أمن انتقاضي الأمور فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره إلى أمير المؤمنين حيث هو. فرأي أمير المؤمنين أن لاينتقض ما أبرمه الامام الرشيد))(24).

وغضب الأمين من رفض المأمون لمطالبه وبعث إليه كتاباً يخبره(25) فيه بين الاذعان لشروطه أو التعرض لنار لاقبل له بها. ولكن أخاه المأمون لم يأبه لهذا التهديد المبطن بل رد عليه بأن الخليفة لايخشى في الحق لومة لائم(26).

وبعد فشل هذه المفاوضات والوساطة السلمية أصبح الاحتكام للسيف أمراً لامفر منه. فجمع الخليفة قواده، وذكر لهم خلع المأمون إياه وندبهم إلى الخروج إليه، فاختاروا محمد عليّ بن عيسى بن ماهان في جمادي الثاني سنة 195هـ لقتال المأمون الذي كان يعد من كبار قادة دولته، الذي كان والياً على خراسان أيام والده الرشيد، فضلاً عن أنه كان يعرف أحوالها حق المعرفة، ولكنه كان مكروهاً من لدن الخراسانيين لأنهم لم ينسوا له ظلمه وقسوته وشدته معهم أيام كان يحكم هناك. ولم يضع المأمون وقته بل أعلن نفسه خليفة في 10شعبان 195هـ(28) وبويع من أعوانه وحاشيته وأنصاره في خراسان. ويشير أحد المؤرخين بقوله: ((أمره بأشخاص المأمون ومن معه))(29)، وحملت إليه الأموال، ودفع إليه قيد فضته، وقال: إذا قدمت خراسان قيّدهُ بهذا القيد المأمون، واحمله إلى ماقبلي، فلمّا أتى المأمون الخبر، استدعائه الفضل بن سهل وأخذ مشاورته بعد مدوالات مستفيضة قرر المأمون جمع الأجناد التي كان أعدها بجنبات الري مع أجناد قد كان مكنها فيها وأجناد للقيام بأمرهم، وأقامهم بالحد لايتجاوزونه ولايطلقون يداً بسوء في عامة ولامجتاز، ثم اختار لقيادة الجند طاهر بن الحسين(30). تقدم علي بن عيسى بن ماهان بعد إعطائه قيادة جيش الأمين صوب مدينة الري في سنة 195هـ لقتال طاهر بن الحسين(31) دون أن يستعد له استعداداً كافياً. وذلك لأنه كان يستهين بشأن طاهر لحداثته في مجال العمليات والأنشطة العسكرية(32). وقال علي بن عيسى: ((أن طاهراً لايثبت له، فقال والله ماطاهر إلاّ شوكة من أغصاني، وشرارة من ناري، ومامثل طاهر يؤمر على جيش، ... فان السَّخال لاتقوى على نطاح الكباش، والثعالب لاتقدر على لقاء الأسد))(33). ولم يستطع ابن ماهان أن يقابل جيش طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون، فقد اندحر اندحاراً فضيحاً وقتل

في ساحة المعركة واحتز رأسه من قبل طاهر وارسله إلى المأمون في مرو(34). وتقدم طاهر نحو العراق حيث لم يجابه في طريقه عقبة كبيرة تمنعهم من دخول بعض المناطق والاستيلاء عليها (كالأحواز، الاهواز،خوزستان) وواسط(الكوت) والمدائن والكوفة والموصل والبصرة، حيث أعلن اسم المأمون خليفة للمسلمين(35)، لما أعلن على اثر ذلك أمير مكة المكرمة داود بن عيسى بن موسى خلعه للأمين لنكثه بعهد أخيه وإحراقه الشروط المعلقة في الكعبة(36). والجدير ذكره هنا ان طاهر بن الحسين حاصر جيشه مدينة بغداد(37) وضيق الخناق على مداخلها من جهة الشرق، فثارت العامة فيها دفاعاً عن الخليفة الشرعي الأمين، ويشير ابن الأثير في عام 196هـ إلى اقدام أهل بغداد على نقب السجون واخراج المسجونين منها، فأيقظ هؤلاء الفتنة النائمة وحدث انقلاب في أوضاع الناس بسبب سوء أحوالهم الناجم عن خروج مثيري الشغب والفتن وسادت البلبلة واهتز حبل الأمن في مدينة السلام، حيث وثب الشطار على أهل الصلاح(38)، وكانت العناصر المكونة من العيارين والشطار مختلفة، ففيهم العربي والكردي وفيهم البغدادي والسوادي، والعباسي والعلوي والحسني، وهذا يدل على إتساع حركتهم الاجتماعية وماكان ذلك(39)، الانتيجة معاناة عامة سكان بغداد من قلق في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية(40).

الا اننا نرى أنهم لم يكونوا يحملون صفات اللصوص المألوفة، فقد كانوا يصبرون على الشهوات، ويتحملون الصعاب المختلفة، ويفخرون بما يصيبهم من الأذى(41) ففي ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون:

لنا من طاهر يوم   عظيم الشأن والخطب(42)

وهناك ارتباط وثيق بين كلمتي العيارين والشطار، إذ اصبحت كل منهما تدل على الأخرى، وما ذلك الاّ لكونهما قد ظهرتا في زمن واحد، كما أنه ليس لدينا دليل واحد على أنهما كلمتان منفصلتان، ثم اتحدتا فيما بعد، كما ان كلمة الفتى كانت تستخدم مرادفة لهما (43)، وقد وصف الشاعر أبويعقوب الخريمي ، هاتين

الطائفتين تصف اسلحتهما وتنظيماتهما خلال حصار بغداد في ذلك(44):

خرَّجَتْ هذه الحروبُ رجــــالا لالقحطانـــــــها لا ولالنزار(45)
معشراً في جواشِنِ الصوف يغدو ن إلى الحرْب كالأســـودِ الضَّواري
وعليمْ مخافرُ الخوضِ تُجــــز يــهم عن البيضِ، والتِّراسُ البواري
ليس يدرونَ مالفــــرارُ إذا الأبْـــ طالُ عاذوا مـــــــن القَنا بالفرارِ
وحدٌ منهمُ يَشُدُّ علـــــــــى ألــ فَينِ عُرْيانٌ مالَهُ مــــــــن إزارِ
ويقول الفتى إذ اطَعــــن الطعــ نةَ: خذها مِـــــــــن الْفَتَى العَيّارِ
كم شريف قد أحملَتهُ وكم قـــــد وقعت من مُقامــــــــــــر طَرّارِ

وعندما احكم طاهر الحصار على بغداد، بهدف اقتحامها لم يوفق إلـى غايتـه لضراوة مقاومة العيارين، ويذكر الطبري، ان طاهراً ظل يقاتلهم لايفر ولايمل عن ذلك، ولكنهم اعجزوه، فحدثت معركة من أشرس المعارك حول قصر صالح بين قوات العرب والفرس واستمات العيارون في الدفاع عن المدينة والقصر. وعلـى الرغم من ان قائد الأمين الموكل بقصر صالح (علي فراهمود)(46) قد استسلم وسلم ماالديه إلى جند طاهر، وكذلك صاحب شرطته (محمد بن عيسى) الذي كان مجداً في نصرته محاولاً السيطرة على الوضع الأمني المرْتبك في بغداد، فانه لم يفلـح في مسعاه أيضاً(47).ويقول الطبري في رواية: ((فلما استأمن هذان إلـى طـاهر أشفى الأمين على الهلاك، واقبلت الفواة من العيارين، وباعة الطريق والأجنـاد، فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالاً عظيماً))(48). ويذكر ابن الأثير انـه قتـل مـن أصحاب طاهر جمع كثير، وعدد من القواد، ولم تقع واقعة أشد منها على طـاهر قبل هذه الحادثة(49). فأسفرت عن تدمير بغداد واحتراقها لأول مرة في التـاريخ، وتعرض كل من جانبي المعسكرين إلى حرق وتدمير من الطرف الآخر، وقد رثى الشعراء بغداد رثاءً يفيض ألماً وحسرة على ما ألم بها من سوء المصير، حتى ان احد الشعراء العيارين الذين اطلق عليهم الطبري اسم (فتيان بغداد) رثاها بقصيدة نجتزئ منها بعض الأبيات للدلالة على مرارة الواقعة، ويعود سبب الرثـاء إلـى

النكبة التي حلت بهم وقبرت طموحهم، فيما يأتي به المستقبل من آمال وأمنيات في حال انتصار الأمين الذي سانده الرعاع والغوغاء ومنهم العيارون، ولايفوتنا سبب النكبة المتمثل في جيش الخصم، كان قوة منظمة ومسلحة تتقن كيفية إستعمال أسلحتها في حين ان الغوغاء والرعاع لم يكونوا على دراية أو خبرة بفنون القتال والعراك، وهذه الأبيات التي ندلل بها على رثائه بغداد هي(50):

بكيت دماً على بغداد لما فقدت غضارة العيش الأنيق(51)

تبدلنا هموماً من سرور ومن سعة تبدلنا بضيق

وقد تناول الخريمي وهو شاعر مأموني أحداث بغداد، وأنحى باللائمة على الذعار والشطار والعيارين وغيرهم، وكان يرى ان دفاعهم عن بغداد هو الذي جلب لها الحرب والدمار، غير انه لاينكر ان المسؤولية تقع على الطرفين المتقاتلين، ونرى من الصواب اجتزاء بيت من قصيدته كشاهد على رايه(52):

وصار رب الجيران فاسقهم وابتز أمر الدروب ذاعرها(53)

وهذه القصيدة تعكس رأي أنصار المأمون من خلال الشائعات التي روجوها فيما يخص كون الأمين وجنده والعيارين والشطار وغيرهم، مسؤولين عن احراق مدينة بغداد(54).ورثته زبيدة أم جعفر والدته قائلة(55):

أودى بألفك من لم يترك الناسا فامنح فؤادك عن مقتول الياسا

لما رأيت المنايا قد قصدن له أصبن منه سواد القلب والراسا

فكبت متكئا أرعى النجوم له إخال سنته في الليل قرطاسا

والموت دانٍ له، والهم قارنه حتى سقاه التي أودى بها الكاسا

رزئته حين باهت الرجال به وقد بنيت به الدهر آساسا

فليس من مات مردود لنا أبدا حتى يرد علينا قبله ناسا

ولم يقتصر الرثاء على والدة الخليفة الأمين، بل رثته زوجته لبابة ابنة علي بن المهدي، ولم يكن دخل بها، فقالت(56):

أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والسيف والترس

أبكي على سيد فجعت به أرملني قبل ليلة العـــرس
يامالكا بالعراءِ مطرحــا خانته أشراطه مع الحــرس

ولما قتل محمد الأمين دخل إلى زبيدة بعض خدمها فقال لها: مايجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد ؟! فقالت: ويلك: وما أصنع ؟ فقال: تخرجين فتطلبين بثــأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان رضي الله عنه؟ فقالت: أخاً لا أم لــك، مـــا للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال، ثم أمرت بثيابها فسودت، ولبست مسحاً مــن شعر، ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إلى المأمون(57):

كتبتُ وعيني تستهل دموعـــها إليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابـــة ومن زال عن كبــــدى فقل تعبُّرى
أتى طاهر، لاطهر الله طاهـــراً وما طاهر فــــــــي فعله بمطهر
فأبرزنى مكشوفة الوجه حاسراً وأنهب أموالي وأخــــــرب أدؤرى
يعز على هرون ماقد لقيتـــــه ومانالني من ناقص الخــــلق أعور
فان كان ما أسدى لأمر أمرتـــه صبرت لأمر مـــن قدير مقدر(58)

فما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال: اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما بلغــه قتــل عثمـــان ((والله قتلــت ولا أمــرت ولارضيت)) اللهم جلل قلب طاهر حزناً!(59). لقد قتــل الخليفـــة الأمــين ولكــن مشكلات الفتنة ونتائج الحرب الأهلية بقيت دون حل تواجـــه المــأمون ووزيـــره الفضل بن سهل(60). استمرت الشدائد على بغداد هذه المدينة العظمى ودرة تــاج الخلافة العباسية من هذا الحصار، مالم يكن يخطر لأحد على بال؛ مــن الهـــدم، والتحريق، والتشريد، وسفك الدماء، والجوع الشديد، حتى درست محاسنها وكادت تُمْحَى معالمها(61)، واستنفذ الأمين كل وسائل الدفاع، أيقن الخطب إن هو اســتمر على الممانعة فاستشار من بقي من قواده فأشار عليه بعضهم أن يطلــب لنفـــسه الأمان من هرثمة بن أعين ويسلم له، فرضي وكتب إلى هرثمة بذلك فأجابه إليه. وغضب طاهر من هذا الاجراء لأنه أراد أن يكون له شرف أسر الخليفة الأمين.

وأخيراً اتفق القائدان على ان يتولى هرثمة بن أعين مهمة القبض على الأمين بينما تعطي شارة الخلافة(القضيب والبردة) لطاهر بن الحسين(62).

يقول المسعودي في رواية مفادها: كان محمد الأمين في الحراقة أحمد بن سلام صاحب مظالمه حين انقلبت، فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر بن الحسين وأراد قتله ، فأقنعه أحمد بن سلام في منحه صباحاً عشرة الآف درهم، فدخل بيت مظلم، فبينما كان أحمد على حاله، إذ دخل على رجل عريان عليه فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه، فاذا هو الخليفة الأمين، فقال لي: أيهم أنت؟ قلت: أنا مولاك ياسيدي أحمد بن سلام، فكان مرعباً من الصدمة التي هو فيها، فقال لي: هيهات؟ الملك عقيم لارحم له، فقلت له إن أمان هرثمة أمان أخيك(المأمون)، قال: فلقنته الاستغفار وذكر الله، فبينما كنا نتحدث معاً إذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح، فاطلع على وجه الخليفة مستثبتاً له، فلما عرفه جيداً، خرج وأغلق الباب، ... فعلمت ان الخليفة مقتول، ولم تمرمدة قصيرة حتى سمعنا حركة الخيل(63) ودقّ باب الدار، ففتح الباب: فاذا قوم من العجم بأيديهم السيوف مصلتة، فلما أحس بهم الخليفة قام قائماً، وقال إنالله وإنا إليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله، أما من حيلة؟ أما من مغيث؟ وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه، وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم، ويدفع بعضهم بعضاً، فأخذ محمد الأمين بيده وسادة، وجعل يقول: أنا ابن عم رسول الله، أن ابن هارون الرشيد، أنا أخو المأمون، الله الله في دمي، فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر، فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه. وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده، فصاح بالفارسية: قتلني الرجل، فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه في خاصرته، وكبوه فذبحوه من قفاه، وأخذوا رأسه ومضوا به إلى طاهر(64). وقد قيل في كيفية قتله غيرها، ومنهم قال أتى بخادمه كوثر وكان حَظّية، معه الخاتم والبردة والسيف والقضيب وهو من سعف مبطن، فلما أصبح طاهر أمر برأسه فنصب على باب من أبواب بغداد يعرف

بباب الحديد نحو قطربل في الجانب الغربي، إلى الظهر، ودفنت جثته في بعض تلك البساتين(65). وقيل لما قُتل محمد الأمين، وارفتعت الثائرة، وأعطى الأمانَ الأبيض(66) والأسود، وهدأ الناس، ودخل طاهر المدينة، يوم الجمعة، فصلى بالناس، وخطبهم خطبة بليغة، نزع فيها من قوارع القرآن(67). وذكر عن ابن الأعرابيّ في سنة 198هـ، قال: ((كنت حاضر الفضل بن الربيع، وأُتِيَ بالحسن بن هانئ، فقال: رُفع إلى أمير المؤمنين أنك زنديق، فجعل يبرأ من ذلك ويحلف، وجعل الفضل يكررّ عليه، وسأله أن يكلمّ الحقيقة للخليفة فيه، ففعل وأطلقه فخرج وهو يقول))(68):

أهلي أتيتكُمُ مـنَ القبْرِ — والناسُ محتبسونَ للحَشرِ
لولا أبوالعباسِ مانظرَتْ — عيني إلى ولدٍ ولا وفـرِ
فالله ألبسني بهِ نعـماً — شَغَلَتْ حابَتها يَديْ شكرِي
لقِيتُها من مُفهَمٍ فَـهمٍ — فمددتها بأناملٍ عشْـرِ

ويعود سبب ضعف دور الخليفة الأمين في مكافحة الزنادقة، إلى إنهماكه في معالجة الفتن الداخلية والقضاء على عناصر الشغب وانشغال أجهزته الأمنية بهذه النزعة التي تأصلت في بعض النفوس خلال تلك الحقبة، ولم تتوافر له الفرصة الكاملة للالتفات إلى هؤلاء ووضع حد لنشاطاتهم الهدامة المستفحلة في مدينة بغداد(69).

ذكر جمل من أخباره وسيره:

يقول المسعودي في احدى رواياته، حدث يوسف بن ابراهيم الكاتب قال؛ حدثني أبواسحق ابراهيم بن المهدي قال: بُعثت إلى الأمين محمد، وهو محاصر في بغداد، فصرت إليه بشق الأنفس، فإذا هو كان جالساً في طارمة خشبها مصنوع من عود صندل، وكان سليمان بن أبي جعفر المنصور معه في وسط الطارمة، وهي عبارة عن قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من أنواع الأبرسيم، ومثلتُ بين يديه فاذا أمامه قدح بلور مخروز فيه شراب، وبين يدى سليمان قدح مثله أيضاً، فجلست قرب سليمان، وقلت إني بعثت إليكما لما وصلني خبر مجيء طاهر بن الحسين إلى النهروان،

وماصنع في أمرنا من المكروه، وتحدثنا في القضية، وفي أثناء الحديث دعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفا، فتطيرت من إسمها، ونحن كنا على تلك الحال، فقال الخليفة الأمين(70) للجارية غنينا، فوضعت العود حالاً في مجرها وبدأت بالغناء قائلة(71):

كلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثر ناصراً وأكثر حزماً منك ضُرِّج بالدم

فغضب من قولها، ثم أردف لها قائلاً: اسكتي قبحك الله، ومالبث ان عاد إلى ماكان عليه من الهم والغم والقطوب، وسكت الخليفة برهة بات مغموماً، وبدأنا نحادثه ونأخذ بخاطره وبسطه، إلى أن سلا وضحك، ثم قال للجارية غني ماعندكِ، فغنت(72): **هُمُ قَتَلوه كي يكونوا مكانه كما غَدَرَتْ يوماً بكسرى مَرَازِبُه**

وما ان سمع الخليفة هذا البيت، جن جنونه وعاد إلى الحالة الأولى، وقمنا نسليه حتى عاد ثانية إلى الضحك والغِبطة، فأقبل عليها الثالثة فقال غني، فبدأت تغني(73): **كأن لم يكن الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم تَسْمُر بمكة سامر**

بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدُودَ العواثر

وقيل استمرت الجارية في الغناء فقال(74):

أما وَرَبِّ السكُون والحرك إنّ المنايا كثيرةُ الشَّرك

مااختلف اليلل والنّهار ولا دارت نجوم السّماءِ في الفلكِ(75).

فلما سمع الخليفة هذا البيت فاستشاط غضباً، فقال لها: قومي غنينا فعل الله بك كذا وكذا وصنع بك، فقامت خوفاً من غضب الأمين فعثرت بالقدح الذي كان بين يدي الخليفة، فكسرته، فانهرق الشراب، وكانت ليلة قمراء، وكان المجلس على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد، ونحن على هذه الحالة، فسمعنا قائلاً يهتف يقول: ((قضى الأمر الذي فيه تستفتيان))(76) وفي العجل قال ابن المهدي، فقمت وقد وثب، فسمعت منشداً من أطراف قصر الخليفة ينشد هذين البيتين(77):

لاتعجبن من العجب قد جاء مايقضى العجب

قد جاء أمر فادع فيه لذى عجب عجب

ويشير صاحب كتاب مروج الذهب ان الأمين كان معجباً بأم ولده نظم(فطم)، وهي أم موسى الذي كان سماه الناطق بالحق، وأراد خلع عبدالله المأمون وأخذ العقد له من بعده، وشاء القدر فهلكت أم موسى نظم، فقد جزع عليها الخليفة جزعاً شديداً لكثرة الحب لها، وجرى نقل هذه الواقعة إلى أم جعفر زبيدة، وعلى أثرها طلبت رؤية أمير المؤمنين، فحملت إليه كما رادت، فاستقبلها الخليفة خير استقبال، وقال ياسيدتي، اختطفت يد المنون نظم، فقالت مباشرة(78):

نفسي فداؤك لايذهب بك اللهفُ ... ففي بقائك مما قد مضى خَلَفُ
عُوِّضْتَ موسى فهانت كل مرزئة ... مابعد موسى على مفقودةٍ أسَفُ

ويتحدث أحد المؤرخين ويقول: قال ابراهيم بن المهدي عم الخليفة الأمين: ((واستأذنت على الخليفة يوماً، وقد اشتد عليه الحصار من قبل طاهر بن الحسين وجيشه في ذلك اليوم، وما أن دخلت عليه، حتى وجدته يتطلع إلى نهر دجلة بالشباك، وكان يقع في وسط قصره بركة عظيمة لها معبر إلى الماء في دجلة(79)، وفي المخترق شباك مصنوع من حديد، ولم يكن الأمين يدركني إلى ان دخلت عليه، فسلمت عليه كان مقبلاً على الماء والخدام والغلمان قد انتشروا كالفراشة إلى تفتيش الماء، وقد ردّ سلامي بأحسن تحية، فقال لي وقد ثنيت بالسلام وكررت إجلالاً له، لاتدري ياعمي فمُقرَّطتي (سمكة) قد ذهبت في البركة إلى دجلة، والمقرطة: سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرَّطها حلقتين من ذهب فيهما حبتادر))(80)، وقيل: ياقوت، قال: ((فخرجت وأنا آيس من فلاحه، وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت))(81). وقال ابراهيم بن المهدي في قتل الأمين(82):

لم نبكيك؟ لماذا؟ للطرب ... يا أبا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس في اوقاتها ... حرصاً منكَ على ماء العنب
وشنيف أنا لاأبكي له ... وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تصلح للملك، ولم ... تعطك الطاعة بالملك العرب
لم نبكيك لما عرضتنا ... للمجانيقِ وطوراً للسَّلب

هوامش الفصل الثامن:

1- المسعودي:المصدر السابق 405/3؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص187؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص303.

2- الطبري: المصدر السابق 365/8.

3- المسعودي: المصدر السابق 399/3.

4- الطبري: المصدر السابق 365/8.

5- نفسه 498/8؛ المسعودي: المصدر السابق 396/3؛ أحمد مختار:المرجع السابق، ص94.

6- الطبري: المصدر السابق 342/8، 372.

7- نفسه 345/8.

8- فاروق عمر: المرجع السابق ، 221/1.

9- فاطمة محمود: المرجع السابق 248/1.

10- الطبري: المصدر السابق 370/8.

11- نفسه 370/8.

12- الجهشياري: المصدر السابق ، ص222؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 248/1.

13- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص94-95.

14- الطبري: المصدر السابق 374/8-375.

15- المسعودي: المصدر السابق 398/3ومابعدها.

16- اليعقوبي: المصدر السابق 374/8-375؛ المسعودي: المصدر السابق 398/3.

17- المسعودي: المصدر السابق 405/3.

18- اليعقوبي: المصدر السابق 306؛ المسعودي: المصدر السابق 405/3.

19- الطبري: المصدر السابق 373/8.

20- اليعقوبي: المصدر السابق 306/2؛ الطبري: المصدر السابق 376/8-377؛ المسعودي: المصدر السابق 405/3.

21- الطبري: المصدر السابق 383/8-384.

22- نفسه 375/8.

23- نفسه 375/8.

24- الدينوري: المصدر السابق ، ص290-291؛ الطبري: المصدر السابق 384/8-385؛ الجهشياري: المصدر السابق ، ص236؛ المسعودي: المصدر السابق 406/3.

25- الطبري: المصدر السابق 384/8.

26- اليعقوبي: المصدر السابق 306/2؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص97.

27- المسعودي: المصدر السابق 398/3.

28- أحمد مختار: في التاريخ، ص97.

29- اليعقوبي: المصدر السابق 307/2.

30- نفسه 307/2؛ الطبري 405/8-406؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص156.

31- اليعقوبي: المصدر السابق 307/2.

32- الطبري: المصدر السابق 408/8.

33- المسعودي: المصدر السابق 398/3-399.

34- اليعقوبي: المصدر السابق 307/2؛ الطبري: المصدر السابق 411/8-412؛ الجهشياري: المصدر السابق ص293؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ، ص163.

35- اليعقوبي: المصدر السابق 307/2-309؛ الطبري: المصدر السابق 418/8.

36- الطبري: المصدر السابق 438/8-439.

37- نفسه 425/8.

38- ويقصد بأهل الصلاح، كبار التجار والأثرياء والقواد، ابن الاثير: المصدر السابق 268/6-269.

39- ابن الأثير: المصدر السابق 269/6؛ محمد أرشيد العقيلي: العيارون والشطار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون مقال مستل من مجلة دراسات تاريخية، السنة الخامسة عشرة العددان(49-50)آذار، 1994م، ص99؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص49.

40- الثعالبي: لطائف المعارف، ص134؛ عبدالعزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص68.

41- مسكوية: تهذيب الأخلاق، طبعة 1958م، ص88.

42- المسعودي: المصدر السابق 408/3.

43- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، بيروت د.ت، 542/2-546.

44- الطبري: المصدر السابق 458/8؛ المسعودي: المصدر السابق 195/3.

45- الطبري: المصدر السابق 458/8.

46- نفسه 455/8-456.

47- نفسه 448/8ومابعدها؛ المسعودي: المصدر السابق 417/3؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص51.

48- نفسه 448/8ومابعدها.

49- ابن الأثير: المصدر السابق 273/6.

50- المسعودي: المصدر السابق 414/3؛ ابن الجوزي: المصدر السابق 150/7، 220، 21/8-22، 41-47، 54.

51- ابن الأثير: المصدر السابق 273/6-274؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص51.

52- الطبري: المصدر السابق 451/8.

53- ابن قتيبة: عيون الأخبار، القاهرة، 1973م، 131/3.

54- المسعودي: المصدر السابق 404/3.

55- نفسه 423/3.

56- نفسه 423/3-424.

57- نفسه 424/3؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص301.

58- المسعودي: المصدر السابق 424/3.

59- نفسه 424/3.

60- ابن طيفور: تاريخ بغداد، ليبزك، 1904م؛ فاروق عمر: المرجع السابق 225/1.

61- الطبري: المصدر السابق 459/8؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص161.

62- المسعودي: المصدر السابق 424/3؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص99.

63-الطبري: المصدر السابق 484/8-490؛ المسعودي: المصدر السابق 421/3-422.

64- المسعودي: المصدر السابق 422/3.

65- نفسه 422/3.

66- الطبري: المصدر السابق 488/8.

67- نفسه 494/8.

68- نفسه 524/8.

69- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص116.

70- الطبري: المصدر السابق 476/8.

71- نفسه 476/8؛ المسعودي: المصدر السابق 407/3.

72- المسعودي: المصدر السابق 401/3.

73- نفسه 402/3.

74- نفسه 402/3.

75- الطبري: المصدر السابق 477/8.

76- نفسه 477/8؛ المسعودي: المصدر السابق 402/3.

77- المسعودي: المصدر السابق 402/3.

78- نفسه 402/3.

79- نفسه 403/3؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 251/1.

80- أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق 133/1.

81- المسعودي: المصدر السابق 403/3؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 251/1.

82- السيوطي: المصدر السابق ، ص301.

الفصل التاسع

المأمون 198-218هـ

نشأته وتوليته الخلافة:

قلنا إن المأمون ولد في سنة 170هـ، في اليوم الذي ولي أبوه فيه الخلافة. وكانت أمه أم ولد فارسية تدعى مراجل(1)، اشتراها الرشيد لتلد له لأن زبيدة أبطأت في الحمل فولدت له مراجل عبدالله المأمون ثم حملت زبيدة بعد ذلك بقليل وولدت محمد الأمين، فوقع بين الوالدتين التحاسد مثل الذي حدث بين سارة وهاجر إمرأتي ابراهيم الخليل، ولم يلبث هذا التحاسد أن سرى في الحاشية ومنها إلى سائر رجال الدولة. فانضم العرب بزعامة الفضل بن الربيع إلى جانب الأمين، بينما انضم الفرس بزعامة البرامكة ثم الفضل بن سهل إلى جانب الأمين، فالصراع الدامي بين الأمين والمأمون تسببا في معارك حربية طويلة سقط في نهاية المطاف الأمين سنة 198هـ، فتولى المأمون الخلافة عقب ذلك(2).

سياسة المأمون الداخلية:

اتسمت سياسة المأمون بأنها جمعت بين المواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها، فهو يميل إلى الفرس تارة ثم إلى العلويين تارة أخرى، ثم يميل إلى السنة تارة ثالثة فتمكن بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة وأن يرضي جميع الاحزاب ويتغلب على معظم الصعاب(3).

لقد نشأ المأمون وتربى على حب الفرس، ثم بويع بالخلافة وهو بخراسان، ولهذا لم ينتقل إلى بغداد مقر وحاضرة الخلافة العباسية، بل ظل مقيماً في مدينة مرو بخراسان مدة ست سنوات تقريباً، انتقل بعدها إلى بغداد سنة 204هـ، ويقال ان سبب ذلك هو ان المأمون كان يخشى أهل بغداد أنصار أخيه، وقيل كذلك ان وزيره الفضل بن سهل هو الذي أقنعه بذلك كي يكون مركز الدولة بين الفرس في خراسان(4)، مما أثار كثيراً من الامتعاظ بين العرب باستثناء هرثمة بن أعين

ونصر بن ثابث، أظهر كل من نعيم بن خازم بن خزيمة التميمي وعبدالله بن مالك الخزاعي ويحيى بن عامر معارضتهم لسياسة الخراسانية، بسبب بعده عن الأرض العربية(5).

أما أهل بغداد فقد عارضوا بشدة سياسة المأمون هذه وتحدوه حين دعوا صالح بن المنصور ليبايعوه بالخلافة لكنه رفض، فبايعوا ابراهيم بن المهـــدي، ممادعـــا المأمون بعد إطلاعه على مايجري في العراق إلى العودة إلى بغداد سنة 204هـ والتخلص في أثناء سفرته إلى بغداد التي استغرقت نحو سنتين من علي الرضـــا والفضل بن سهل. ومهما يكن من الأمر فإن أفضل تفسير للحرب الأهليـــة بـــين الأمين والمأمون وماحدث في أعقابها أنها مثلت صمود أهل العراق تجاه سياســـة المأمون والفضل بن سهل الخراسانية(6).

المأمون والامام علي الرضا بن موسى الكاظم:

في سنة 201هـ جعل المأمون عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وليّ عهد المسلمين والخليفـــة مـــن بعده، وسماه الرّضيّ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر جنده بطـــرح السّواد ولبس الثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق(7).

ويلاحظ أن ميل المأمون إلى العلويين يتفق مع الميول الفارسية، إذ كانت أمـــه وزوجته فارسيتين، وكان الفرس يعتقدون ان العلويين هم وحدهم أحق بالخلافـــة بسبب صلة النسب التي تربطهم بآل علي منذ أن تزوج الحسين بـــن علـــي إبنـــة يزدجرد الثالث ملك الفرس الساساني. لقد أقام المأمون في هذا الـــسبيل بحركـــة سياسية غريبة الاطوار والادوار احتار المؤرخون في تفسيرها، حين أتى بعلـــي الرضا الامام الثامن عند الامامية الأثني عشرية وبايعه بولاية عهده كمـــا ذكرنـــا آنفاً، ولم يكتفِ عند هذا الحد، بل زوجه ابنته ام حبيب(8)، واشتهر هـــذا الامـــام بزهده وورعه، وقد لقب بالكاظم لأنه كان يحسن إلى من يسيئ إليه(9). ويقال ان جعفر الصادق حول الامامة من بعده من ابنه اسماعيل إلى ابنه موســـى الكـــاظم

بسبب اتهام اسماعيل بشرب الخمر، وقد أدى هذا التحول إلى انقسام الشيعة إلى إسماعيلية واثني عشرية. ويبدو ان هذا الانقسام قد دفع بأعداء موسى الكاظم إلى الايقاع به عند الرشيد، فأتهموه بأنه عازم على الخروج عليه، وان الناس يحملون إليه خمس أموالهم ويعتقدون امامته فقبض عليه الرشيد وحبسه في بغداد فظل فيها إلى ان مات سنة 173هـ(10) ولايزال قبره يزار إلى وقتنا الحاضر في حي الكاظمية بالكرخ في الجانب الغربي من بغداد وهو حي للشيعة.

فلما سمع عيسى بن محمد بن أبي خالد بذلك دعا أهالي بغداد إلى مبايعة الامام علي الرضا، وعلى أن يعجّل لهم رزق شهر، والباقي إذا أدركت الغلّة، فقال بعضهم: نبايع ونلبس الخضرة، وقال بعضهم: لانبايع ولانلبس الخضرة، ولايخرج هذا الأمر من ولد العباس، وانما هذا دسيس من الفضل بن سهل، فمكثوا بذلك أياماً. وغضب ولد العباس من ذلك، واجتمع بعضهم إلى بعض، وتكلموا فيه، وقالوا: نولي بعضنا، ونخلع المأمون، وكان المتكلم في هذا والمختلف والمتقلد له ابراهيم ومنصور إبنا المهدي(11). وظلت هذه التطورات التي حصلت في العراق، ومبايعة عمه ابراهيم بن المهدي، بعيدة عن أسماع المأمون، وعندما حاول هرثمة بن أعين، ذلك القائد العباسي القدير الشجاع، ايصال هذه الأخبار إلى المأمون دفع حياته ثمناً لاخلاصه للخلافة العباسية بتدبير من الفضل بن سهل وأتباعه حيث دس إلى هرثمة مَنْ قتله(12).

ومما يستحق الوقوف هنا عليه هو ان أحداً لم يجرؤ على اخبار الخليفة المأمون بهذه الحوادث، فقام علي الرضا بإخبار المأمون بذلك بعد أن حجبت عنه هذه الأخبار عن قصدٍ ونية مبيتة لهذا الغرض، وان أهل بغداد قد خلعوا المأمون بسبب البيعة لولاية العهد له. فقال له المأمون. ان أهل بغداد لم يبايعوا ابراهيم بن المهدي ولم يمنحوا ثقة الخلافة فيه خليفة لهم، وانما صيروه أميراً يقوم بأمرهم وتمشية اعمالهم الاعتيادية، على ما أخبربه من قبل الفضل بن سهل(13)، فأعلمه ان الحرب قائمة لامحالة بين كل من الحسن بن سهل وابراهيم بن المهدي، والناس

غاضبون ينقمون عليك مكانه (الفضل بن سهل) ومكان أخيه الحسن بن سهل. ومكان بيعتك لي من بعد. وقال له بعض الثقات من مقربيه وأتباعه المخلصين له، الرأي أن تسير بنفسك إلى بغداد، وتستدرك أمرك هناك وليس خلال مراوغات الفضل بن سهل التي تدار هنا وهناك، وإلاّ خرجت الخلافة من يدك(14).

وبعد أن تأكد لدى الخليفة ذلك وتيقن من الأمر، عزم على الرحيل صوب بغداد سنة202هـ وفي طريقه إلى مدينة سرخس توفي الفضل بن سهل في الحمام بعد أن ضربوه(15) بالسيوف حتى مات، وكان الذين قتلوا الفضل بن سهل من حشم المأمون وهم أربعة أشخاص احدهم غالب المسعودي، وقسطنطين الروميّ، وفرج الدليميّ، وموفّق الصقلبيّ، وهربوا، وبعث المأمون في طلبهم، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار، فجاء بهم العباسُ بن الهيثم بن بزرجمهر الدينوري، فقالوا للمأمون، ! أنت أمرتنا بقلته، فأمر بهم فضرب اعناقهم واحداً بعد الآخر(16).

وفي سنة 203هـ توجه المأمون من سرخس حتى صار إلى طوس، فلما صار بها أقام بها عند قبر والده الرشيد أياماً، قال المؤرخ اليعقوبي في إحدى رواياته على لسان أبي الحسن بن أبي عباد: قائلاً: ((رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مبطنة بيضاء، وهو بين قائمتي النعش يقول: إلى من أروح بعدك، يا أباالحسن! وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم برغيف وملح، فيأكله، ثم إنصرف في اليوم الرابع، وكانت سنّ الرضا أربعاً وأربعين سنة))(17)، وان علي الرضا أكل عنبا، فإكثر منه، فمات فجأة(18)، فأمر المأمون فدفن عند قبر الرشيد، وكان الذي صلى على الامام علي الرضا موسى المامون(19).

وفي قصيدة للشاعر المتشيع دعبل بن علي الخزاعي يمدح فيها علي الرضا ويهجو هارون الرشيد مشيراً إلى اجتماع قبريهما في طوس بقوله(20):

قبران في طوس: خيرُ الناس كلهم وقبر شرهم، هذا من العبر!

وظل الخليفة المأمون يسير ويقيم في المدن والمناطق ينظم أمورها حتى وصل إلى مدينة بغداد سنة 204هـ، وظل ملازماً لشعار الخضرة. بعد أن دخل بغداد

لمدة ثمانية أيام، ثم خلع الخضرة ولبس السواد لباس أجداده(21)، وذلك حين قـدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه(22).

والملاحظ ان الخليفة المأمون لم يقدم إلى نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين ذلك الأمل الذي كافح العلويون من أجله بالحركة حيناً وبالحجج والأدلة النظريـة حيناً، بل اشار فقط انه لايوجد أفضل وأروع منه في بني العباسي وبنـي علـي أيامئذٍ(23)، واتخذ رايات العلويين الخضر بدلاً من رايات العباسيين السـود، انمـا كان مدفوعاً في ذلك بشعور ديني وسياسي معاً يرمي إلى كسب رضاء العلـويين والخراسانيين على السواء(24).

وعلى هذا نرى من الصعب أن يصل ميل الخليفة وتعاطفه مع العلـويين إلـى الحد الذي يحول به الخلافة إلى شخصية علوية، والقفز علـى كـل الاعتبـارات الأخرى المعروفة، فالتعاطف والتقارب الذي خطط له المأمون لايتعـدى حـدود المعنويات إلى الاعمال والأفعال، فالمأمون كافح في سبيل الحصول على الخلافة وحدث ماحدث من أجل نيلها مع أخيه محمد الأمين ولا يمكن أن يعطيهـا هديـة سائغة وسنية للعلويين، هذا سياسياً أما عقائدياً فالمأمون معتزلي العقائد ولايمكـن أن يتفق ويجمع مع الشيعة الحسينية بشأن الخلافة(25).

وعليه فان ماقام به الخليفة المأمون ليس الا مناورة سياسية فريدة في التـاريخ بارعة لكشف بعض الرموز والشخصيات العلوية وإظهار عجزها عن الخوض في مضمار السياسة ومعترك الحياة، كما تؤكد عدة روايات تاريخية على ذلك(26).

مبايعة أهل بغداد ابراهيم بن المهدي بالخلافة:

بعد مقتل الخليفة الأمين سنة 198هـ(27)، حاول الفضل بن سـهل أن يـستبد بالحكم، فأقدم على تعيين أخيه الحسن بن سهل والياً على العراق، هذا ولابد مـن الاشارة هنا أنه كان للفضل السلطان في خراسان وقتذاك، واتضح فيمـا بعـد ان المأمون كانت تخفى عليه الامور هنا وهناك عن قصدٍ وتدار الاعمال من خلفـه بشكل أوآخر، وأبعد عن العاصمة بغداد القائدان المظفران طـاهر بـن الحـسين

وهرثمة بن أعين، وعمل الفضل بن سهل كذلك على تعيين ولي العهد من العلويين فهيأ بذلِك للسلطة أن تنقل من بني العباسيين إلى العلويين(28)، يشبه ذلك إلى حدما ماأقدم عليه (حفص بن سليمان) أبي سلمة على الخلافة أيام الخليفة أبي العباس في الكوفة عام 132هـ، وكل هذا وغيره من الاعمال التي أقدم عليها الفضل وأتباعه الموالين للفرس أثار ثائرة بغداد، فثارت على الحسن بن سهل، وحاول هذا الأخير أن يتغلب على هذه الصعاب فلم يستطع، ومما زاد في الموقف حراجة ودقة ان الحسن بن سهل مرض مرضاً أقعده عن العمل ((فهاج به من مرضه تغيّر عقله، حتى شُدّ في الحديد وحبس في بيت))(29)، لذا أبعده المأمون عن مسرح الاحداث السياسية، فإنتهز أهل بغداد هذه الفرصة الذهبية، فاجتمعوا على محاربة ماخطط له الحسن بن سهل مع اتخاذ قرارهم التاريخي بعزل المأمون من الخلافة وقد بايعوا ابراهيم بن المهدي عمه بالخلافة، ومن بعده ابن أخيه اسحاق بن موسى بن المهدي سنة 201هـ(30) وقيل إنهم بايعوه في أول يوم من المحرم سنة 202هـ(31) وسمّوه المبارك، فكان أول من بايعه عبيدالله بن العباس بن محمد الهاشمي، ثم منصور بن المهدي، ثم سائر بني هاشم، ثم القواد، وأعطى الجند أرزاق ستة أشهر، وغلب ابراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسّواد كله، وعسكر مع أتباعه في المدائن، وولّى الجانب الشرقي من بغداد العباس بن موسى الهادي والجانب الغربي اسحاق بن موسى الهادي. وقال ابراهيم بن المهديّ(32):

ألم تعلَمُوا يا آل فهرٍ بأنّني ... شَرَبْتُ بنفسي دونكُمْ في المهالكِ

وأمام هذه الاحداث قرر المأمون أن يتعامل بحزم وقوة ليستعيد ملكه ونفوذه في وسط هذه الفوضى العارمة، فقام برحلته الطويلة من مرو إلى بغداد سنة 202هـ(33)، وتخلص في الطريق من الفضل بن سهل ومن علي الرضا(34)، فكان ذلك كافياً لعودة الناس إليه وانفضاضهم من حول ابراهيم بن المهدي الذي دفعه الخوف والرعب إلى الاختفاء(35)، ودخل المأمون عاصمة الخلافة العباسية

مدينة السلام سنة 204هـ(36) حيث استتب له الأمر(37). وتنصل عن الوعود والمواثيق التي قطعها على نفسه فأعاد ولاية العهد إلى الاسرة العباسية ثانية(38).

وهكذا وجدنا ان قضية ولاية العهد لعلي الرضا لعبت دوراً كبيراً، وكثيراً ماكان ينظر إليها بعين الخطر الماحق الذي عرض أمن السلطة والخليفة العباسي للارتباك والعبث والتضعضع(39).

ومما يستحق الذكر هو ان ابن عائشة وهو ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب بن ابراهيم الامام، كان من أنصار ابراهيم بن المهدي واختفى(40) معه حيناً، وقد انتهز ابن عائشة المشكلات التي كان يعانيها المأمون بعد وصوله مدينة السلام، ووثب في جماعة معه منهم: مالك بن شاهي النغّري من أهل السواد، ومحمد بن ابراهيم الأفريقيّ، فدونوا الدواوين، وأثبتوا أسماء الرجال، وسمّوا العمال، رموا إلى خلع المأمون سنة 210هـ(41) واعادة ابراهيم بن المهدي للخلافة وكان لايزال مختفياً، وقد عرف المأمون خبر هذا الوثب في شهر صفر سنة 210هـ، فقبض على ابن عائشة، وضرب عنقه وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر(42):

إذا النار في أحجارها مستكنة   متى مايُهجا قادح تتضرم

هذا وقدقتل الذين كانوا معه، وهم: الافريقي، وخرج البغواريّ، وصلب ابن عائشة ببغداد ثلاثة أثام، ثم نزله، وعفى المأمون عن آخرين(43).

وقد ظل ابراهيم بن المهدي مختفياً حتى ربيع الآخر سنة 210هـ فقبض عليه وهو متنقبٌ مع أمرأتين في زيّ امرأة، أخذه حارس أسود ليلاً، فرفع أمره إلى صاحب المسلحة، فرفع الأخير أمرهم إلى صاحب الجسر، فرفعه بدوره إلى باب المأمون، فأعلم به، فأمر بالاحتفاظ به في الدار، فلما كان غداة الأحد أقعد في دار المأمون لينظر إليه بنوهاشم القّواد والجند، وصيّروا المقنعة التي كان متنقباً بها في عنقه، والملحفة التي كان ملتحفاً بها في صدره، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ. وفي يوم الخميس حوله المأمون إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده(44). فلما أدخل على المأمون قال له: هيه يا ابراهيم! فقال: ياأمير المؤمنين، وليّ الثأر

محكّم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كلّ ذي ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقّك، وإن تعفُ فبفضلك، قال: بل أعفو يا ابراهيم، فكبر ثم خرّسا جداً(45)، وقال المأمون اطلقوا عن عمي حديده، وردوه إليّ مكرماً.فقال ابراهيم يمدح المأمون(46):

ياخيرَ من ذَمَلَت يمانيةٌ بــــه   بعد الرسول لآيسٍ ولطامــعِ
وأبرَّ من عَبَدَ الإله على التقــى   عيناً وأقوَله بحقٍ صــادع
عَسلُ الفوارعِ ما أُطِعتَ فإن تُهَجْ   فالصَّابُ يُمزَجُ بالسّمامِ الناقع
إنَّ الذي قَسَم الخلافة حازَهــا   في صُلبِ آدَمَ للإمام السابــع
جمع القلوبَ عليك جامعُ أمرِهــا   وحَوَى ردَاؤك كل خيرٍ جامع(47)

فذكر أن المأمون حين أنشده ابراهيم هذه القصيدة، قال: أقول ماقال: يوسف لإخوته(48): ((لاتَثريبَ عَلَيْكُمُ ألْيَومَ يَغفِرُ اللهُ لكم وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمين))(49).

المأمون والزنادقة:

أما المأمون فقد كان معروفاً بسعة العلم وتفتح الذهن، لذلك لم يقدم اقداماً سريعاً وعاجلاً على قتل الزنادقة، بل كان يعقد المجالس ويرضى عنان المناظرة مع هؤلاء(50)، ليكشف دخائل نفوسهم ومكنونات صدورهم عن طريق النقاش والجدل، فإذا أصروا على زندقتهم، لم يتورع عن قتلهم كما فعل بعشرة من أهالي البصرة المتهمين بالزندقة(51)، لذهابهم مذهب ماني في الاعتقاد، فأمر الخليفة المأمون باحضارهم إلى بغداد، بعد اطلاعه على التقارير الموفوعة إليه، من أجهزته الأمنية التي لم تغفل عما يجري حتى خارج بغداد لاسيما مايتعلق بالزنادقة(52)، الأمر الذي يفسر بما لاجدال فيه كون الأمن سائداً وثابت الفعالية بدليل إمتداد نشاطاته المتمثلة في ملاحقة ومطاردة ومكافحة الزندقة أينما وجدت، وبعد اعتقالهم ومثولهم بين يدي المأمون طفق يناديهم فرداً فرداً سائلاً عن مذهبهم، وإذا ثبت انحرافهم عن الاسلام وخروجهم عن مبادئه وتعاليمه، يدعوهم إلى البراءة من الزندقة مظهراً لهم صورة ماني، طالباً من كل منهم أن يبصق عليها ويتبرأ من

صاجها، فإن أبى مرره على السيف، ونتيجة لهول السيف كان الهلع يدب في قلوب بعضهم فيعلن تمسكه بالاسلام ظاهراً لاباطناً كالذي يقول بلسانه ماليس في قلبه، لكن المأمون قتلهم جميعاً ماخلا واحداً يدعى(الطفيلي) لأنه برهن للخليفة بما لايقبل الريب في انه مازاغ عن الاسلام ولا ألحد بما جاء به وانما إلتحق بهم طالباً للنزهة والمتعة لكنه لم يحز على ثقة المأمون، إلاّ بعد لعنه ماني ومن دار في فلكه بعد رؤيته صورة ماني فوثق الخليفة بقوله وعفا عنه(53).

وهذه الحالة تفسر الأمن القائم على العدل والانصاف، وان الجهاز الأمني كان هدفه الأول والأخير، هو احقاق الحق بالبرهان القاطع وإزهاق الباطل بالدليل الساطع، ولم يكن يقصد الحاق الضرر بكائن من كان بشكل عفوي واعتباطي، كما لم تكن العقوبات تنزل بأحد الاّ بعد متابعة مستمرة مبنية على دراسة دقيقة لأحوال وتصرفات المتهمين وسلوكياتهم اليومية، وبعد فراغ الجهاز الأمني من البث، ترفع قضاياهم إلى الخليفة لإبداء الرأي فيها، بالتشاور مع المتخصصين في هذا المضمار وفي حالة ثبوت التهمة ينزل القصاص بهم، وبالضد من ذلك كانت البراءة حيلفتهم(54).

المأمون والعلويون:

ولقد أثار تحيز الخليفة المأمون للفرس غضب أهل العراق من بني هاشمي وسادته وكذلك وجوه العرب، فأشاعوا بأن فضل بن سهل قد حجب سلطة الخليفة واستبد بالرأي دونه(55).

لهذا نجد أن أول حركة معارضة قامت ضد المأمون كانت عربية، عراقية في آن واحد تزعمها قائد عربي هاشمي اسمه ابوالسرايا السري بن منصور الشيباني، أحد القادة الكبار في جيش هرثمة بن أعين، ويبدو أنه أحس بغبن وخيبة أمل، فقد رأى أن هرثمة بعد أن انتصر في نزاعه وصراعه ضد الخليفة الأمين عام 198هـ، قد جرده الفضل بن سهل من كل السلطات السياسية والعسكرية منها وعين بدلاً منه أخاه حسن بن سهل، فضلاً عماسبق هناك أسباب أخرى دعت إلى

حركة أبي السرايا كذلك تأخر أجره وأجر الجند معه، فخرج من جيش هرثمة بن أعين وتبعه عدد غير قليل، وقد انضم إلى هذه الحركة عدد كبير من العلويين الناقمين على بني العباس واستولى على الكوفة وامتد سلطانه إلى المدائن وماحول الكوفة من مدن وأرسل له الحسن بن سهل عدة جيوش سنة 199هـ ولكنها انهزمت أمام قوة وبأس أبي السرايا ويعد الأخير الزعيم الحقيقي لحركة الكوفة سنة 199هـ، أما ابن طباطبا(محمد ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب)(56)، فلم يلعب الاّ دوراً ثانوياً باسم العلويين وكان معنوياً، ((يدعو إلى الرضيّ من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة))(57).

ولاغرابة إذا قلنا ان ظاهرة الادعاء بالتشيع إلى العلويين لم تكن ظاهرة غريبة، بل على العكس، فإن حركة المعارضة العلوية أصبحت الحركة البديلة والمقابلة للنفوذ العباسي، ذلك لأن الجماعات المنتصرة التي خاب املها بالحكم العباسي وأخذت تنظر إلى العباسيين لتحقيق آمالها ومطامحها، ولذلك ظهر كثير من المغامرين والمعارضين الذين رفعوا شعار الولاء للعلويين، وذلك لكسب الاتباع دون أن يكون لهم في الحقيقة أي ميل أو عاطفة علوية(58).

وفي يوم الخميس لليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائة 199هـ مات محمد إبن ابراهيم بن طباطبا فجأةً؛ فذُكر أن ابا السرايا سمّه، وكان السبب يعود إلى ان ابن طباطبا لما أحرزَ ما في عسكر زهير بن المسيّب من المال والسلاح والدوابّ وغير ذلك منعه أبا السرايا، وحظره عليه، وكان الناس يحبونه ويطيعون أوامره، فأدرك أبو السرايا تمام الادارك، أنه لاأمر له معه فسمّه، فلما مات ابن طباطبا أقام أبوالسرايا مكانه بن عليّ إبن أبي طالب، فكان أبوالسرايا هو الذي ينفذٍّ الأمور، ويوليّ مَنْ رأى، ويعزل من أحبّ، وإليه الأمور كلها، ورجع زهير بن المسيب من يومه الذي هزم فيه إلى قصر ابن هبيرة، فأقام به(59).

وكان الحسن بن سهل قد وجه عبدوس بن محمد بن أبي خالد المرورروذيّ إلى النيل من أبي السرايا(60)، فالتحم الجيشان فلم يفلت من جيش عبدوس منهم أحد إلا

كان بين قتيل وأسير، وانتشر على اثر ذلك الطالبيون في البلاد، وضــرب أبــو السرايا الدراهم بالكوفة(61). ورأى الحسن بن سهل أن يستعين بخبرة القائد هرثمة بن اعين الذي سبق للحسن بن سهل أن طرده من العراق وأمره بالذهاب شــطر خراسان تخلصاً منه. فبعث الحسن إليه يسترضيه ويتلطف إليه إلى أن قبل قيــادة الحملة الموجهة ضد أبي السرايا، فتهيأ هرثمة للخروج إلى الكوفة، وأمر الحــسن بن سهل أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة، فتهيئوا لذلك، وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فتوّجه إلى المدائن، فدخلها مع أصحابه، فلمــا كانت ليلة السبت الخميس لخمس خلَونْ من شوال رجع أبو الــسرايا مــن نهــر صرصر إلى قصر ابن هبيرة، واستطاع هرثمة أن يقضي على تلك الحركة ويقتل قائدها ويشرد أتباعها وذلك سنة 200هــ(62). وبعث بجسده إلى بغــداد، فــصلب على الجسر(63)، في كل جانب نصف، وكان بين خروجه بالكوفة وقتلــه عــشرة أشهر(64). وقال التميميّ في قتل الحسن بن سهل أبا السرايا(65):

ألم ترَ ضَرْبَة الحَسَنِ بنِ سهلٍ   بسيفِكَ ياأميرَ المُؤمنينَا(66)

أدَارت مَرْوَ رأسَ أبي السرايا   وأبقت عِبْرَةً للعابرينــا

ويبدو أن اباالسرايا كان هو القائد الحقيقي للحركة، أما الشخص العلوي، فهــو كرمز أوستار، اتخذه ابوالسرايا ليحارب باسمه ويلبس ملابس الشيعة.

أما أسباب فشل حركة أبي السرايا فيمكن أن نرجعها إلى جملة أمور هي:

1- اسناد قيادة الجيش العباسي إلى هرثمة بن أعين، وأبوالــسرايا كــان أحــد أتباعه، فهو يعرف خططه وخدعه الحربية ومايدور في خلده، لأنه قاتل معه مدة، ويعرف خير معرفة نقاط ضعفه وقوته(67).

2- تخلي أهل الكوفة عن مساندته(68).

3- تخلي أشراف أهل الكوفة، بل تعاونهم مع هرثمة بن أعين(69).

4- وفاة إبن طباطبا الفجائية أوسَمه(70)، ضعضع الحركة ومن ثم عجــل فــي اندحار مهم كان يتوقعه جيش المأمون(71).

5- يضاف إلى ماسبق جهود الخليفة المأمون للتقريب والتودد من العلويين والبيعة لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق(72).

لما كان داود بن عيسى بن موسى بن محمد والياً عينه الخليفة العباسي الأمين على الحجاز، في أعقاب مقتل الأخير، بدل موقفه وولاءه إلى المأمون الذي أبقاه مقابل هذا الثمن في الولاية. ويبدو أنه غير مستقر على رايه المتذبذب، بدليل أنه حين سمع داود بن عيسى باقتراب الاتباع والانصار العلويين لم يستعد للحرب معهم بل لم تكن له رغبة في أية مواجهة معهم بأي شكل من الاشكال، ولعل الدافع يعود إلى ضعفه العسكري وتخاذله المنصبي(الوظيفي) أو لاحترامه أشهر الحج أو لأسباب أخرى غامضة غير معروفة(73).

ويشير الطبري في رواية تاريخية في عام 199هـ قائلاً: ((... كان مسرور الكبير الخادم قد حجّ في تلك السنة في مائتي فارس من أصحابه، فتعبأ لحرب من يريد دخول مكة وأخذها من الطالبيين، فقال لداود بن عيسى: أقم لي شخصك أو شخص من بعض ولدك، والله لئن دخلوا من هذا الفجّ لأخرجنّ من هذا الفجّ الآخر، فقال له مسرور: تُسلّم ملكك وسلطانك إلى عدوّك ومن لايأخذه فيك لومة لائم في دينك ولاحرمك ولامالك! قال له داود: أيّ مُلك لي! والله أقمتُ معهم حتى شيخت فما ولوّني ولاية حتى كبرتْ سني، وفنّى عمري، فولوّني من الحجاز مافيه القوت، انما هذا الملك لك وأشباهك، فقاتل إن شئتَ أودع...))(74).

ولكن الوالي داود رفض الفكرة وغادر مكة إلى العراق تاركاً ابنه في الولاية وامارة الحج. وهذا الموقف يثبت بحد ذاته ان الوالي العباسي قد خيب آمال العباسيين ومواليهم وأنصارهم الذين كانوا مستعدين في الذود للدفاع عن المدينة المقدسة، وقد اضطر مسرور الخادم الكبير حاجب الخليفة الرشيد إلى ترك مكة مع اتباعه بعد أن فقد الأمل في جدوى المواجهة مع الطالبيين، كما أنه خشى من انتفاض العلوية في مكة عليه وعلى اتباعه ومقربيه، بعد أن فقدت السلطة وهرب الوالي(75).

وحين طرقت أخبار حركة الكوفة ومقتل أبي السرايا، كان على الحسين بن الحسن الأفطس الذي سيطر على الحجاز باسم أبي السرايا، أقدم من أجل أن يحتفظ بمكانة في ولاية الحجاز في تعيين شخصية علوية محترمة مرموقة لزعامة الحركة، فوجد ضالته المنشودة في شخصية محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب الملقب(بالديباج)(76)، ومهما يكن من الأمر فان دور محمد في الحركة التي يتزعمها الحسين الأفطس، وكذلك ابنه على بن محمد الذي كان غير محمود السيرة بين أهالي مكة(77)، ولم تمض مدة حتى أقبل عليهم من اليمن اسحاق بن موسى الذي قاتلهم قرب بئر ميمون، فوقعت الحرب بين أنصار محمد الديباج واسحاق بن موسى العباسي، فلما دارت دائرة الحرب على جيش الديباج بحث رجالاً من قريش فيهم قاضي مكة يسألون لهم الأمان، حتى يخرجوا من مكة، ويذهبوا حيث شاءوا، فأجابهم اسحاق إلى ذلك، وأجلوهم ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث دخل اسحاق مكة في جمادي الآخرة سنة 200هـ، وتفرق الطالبيون فيها، وعاد الحجاز إلى خلافة المأمون(78).

أما في اليمن، فقد خرج سنة 200هـ ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب من اليمن، بعدما وصلت إليه أخبار خروج أبي السرايا، فهرب الوالي العباسي المقيم في اليمن بأمر من الخليفة المأمون (اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس)، منصرفاً منها صوب مكة، حتى نزل المُشاش ومعه أنصاره، فعسكر هناك، وأراد دخول مكة، فمنعه من كان بها من العلويين، وكانت أم اسحق بن موسى بن عيسى متواريةً بمكة من العلويين(79)، وكانوا يطلبونها في كل شعابها فتوارت منهم، ولم يزل اسحاق بن موسى معسكراً بالمشاش، وجعل من كان بمكة مستخفياً إذ يتسللون عن رؤوس الجبال، فأتوا بها إبنها في عسكره، وكان يقال لابراهيم بن موسى اجزار؛ لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الاموال(80)، ووجه الخليفة المأمون قائده حمدويه بن عليّ بن عيسى بن ماهان إلى اليمن، من أجل

مقاتلة ابراهيم بن موسى العلوي، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين، إلى أن طرد ابراهيم منها(81).

جركة نصر بن شبث العقيلي:

يعد نصر بن شبث عربياً أصيلاً رأى كفة العرب تقل رويداً رويداً وكفة الفرس تزداد شيئاً فشيئاً وترجح مع قتل الخليفة الأمين وانتقال الأمر للمأمون، فقاد ثورة يدافع بها عن العنصر العربي، وبدأت حركته عقب مقتل الأمين سنة 198هـ؛ وإتخذ من يسكوم شمالي حلب مركزاً له ثم إزداد نفوذه بين سكان المنطقة وكثر اتباعه وأنصاره ومؤيدوه ومحبوه، وتوالت انتصاراته هنا وهناك، وأعطى بعض أتباعه النصح له أن يمنح بالبيعة لأحد رموز العلويين بالخلافة، فرد عليه مانصحه به، وأجاب: ((أبايع لبعض أولاد السودوات، فيقول إنه خلقني ورزقني؟ فقالوا: نبايع لبعض أفراد اسرة بني أمية، فأجابه أولئك قوم قد أدبر أمرهم والمدبر لايقبل، وإنما هواي ورغبتي في بني العباس، ولكني حاربتهم محاربة شديدة محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم))(82).

وفي سنة 206هـ مات يحيى ابن معاذ، واستخلف المأمون ابنه أحمد بن يحيى، وليس بشيء، وقد تولى بقرار من الخليفة مُضر لمحاربة نصر بن شبث في الرقة، فقال للخليفة السمع والطاعة(83). ,وفي سنة 207هـ حصر عبدالله بن طاهر نصر بن شبث وضيّق عليه، حتى طلب الأمان، قال المأمون لثمامة: ألا تدلّني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان معرفة، يؤدي عنّي ما أوجهّه به إلى نصر بن شبث فتم الاتفاق على اختيار رجل يدعى جعفر بن محمد لمحاربته سنة 209هـ(84)، وكان مقام عبدالله بن طاهر على نصر بن شبث محارباً له خمس سنين(85) حتى طلب الأمان، فكتب عبدالله المأمون يعلمه أن حصره وضيّقَ عليه، وقتل رؤساء مَنْ معه، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه، فأمرد أن يكتب له كتاب الأمان، فكتب إليه أماناً(86).ولما خرج نصر بن شبث إلى عبدالله بن طاهر بالأمان الذي اعطاه اياه، أقدم نصر على هدم كيسوم وخرّبها بعد إتخاذها مركزاً له

ولأجناده سنة 209هـ(87). وأمام هذه التطورات وصل نصر بن شبث في عام 210هـ إلى بغداد، حيث وجّه به عبدالله بن طاهر إلى الخليفة المأمون، فكان دخوله إليها يوم الأثنين لسبع خلون من شهر صفر، فأنزله مدينة أبي جعفر المنصور ووكّل به من يحفظه(88). ويبدو ان الملاحم الرومية حفظت ذكرى حركة نصر بن شبث وتسميه المصادر الرومية فيوفوبوس. ويشير ميشيل السوري أن نصراً كان يعامل النصارى برفق ويقول: ((ليس عليكم إلاّ الجزية وكل فرد بعد ذلك حر في اختيار عقيدته)). وبعد دخول نصر العقيلي مدينة بغداد ووقوعه تحت سلطة الخليفة المأمون انقطعت أخباره ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك(89).

لقد كان نصر العقيلي ثائراً من أجل القبائل الشامية وخطورتها ومن ثم نيل حظوة الخليفة العباسي وقد أدرك الخليفة المأمون ذلك ولهذا فهو يسبغ عليه الوعود والامتيازات إذا رجع إلى الطاعة واستسلم(90).

وثوب الأقاليم:

لاشك أن ضعف السلطة المركزية، المتمثلة في الخلافة العباسية في بغداد نتيجة للفتن والحروب التي تخللت عصر الأمين وأوائل عصر المأمون، قد انتقلت عدواها إلى الأقاليم الاسلامية الأخرى، كما شجعت بعض الولاة الذين في قلوبهم مرض على التهاون بمصالح الناس وإرهاقهم بكثرة الضرائب والاعباء المالية المختلفة، مما أدى إلى جنوحهم للتمرد والعصيان(91).

ففي أوائل عصر الخليفة المأمون كانت الاحوال في مصر مضطربة وقلقة عمت فيها الفوضى والشغب، حيث بدأت وثبة عارمة بخلافات حادة بين عرب الشمال وعرب الجنوب، فقد ناصرت القيسية محمد الأمين وأيدت الكلبية(اليمانية)المأمون، وقد أنتهز القبط هذه الوثبة فهبوا جميعاً في وجه العرب، وقد انتدب المأمون عبدالله بن طاهر قائداً لاخماد وقمع هذه الوثبة، وقد تمكن من ذلك عبدالله خير تمكن، ومما يلاحظ ان القائد(عبدالله) قد بسط سيطرته على مصر وأنهى أعمال التمرد واستقر الوضع في ظل وجوده، وما أن ترك مصر حتى

عادت القلاقل والاضطرابات إليها كما كانت، فأضطر المأمون في ظل ه
المستجدات والتطورات على الساحة السياسية، أن يحضر بنفسه لإصلاح الأح
مع إعادة الأمن والاستقرار إلى نصابه، كما كان من قبل الوثبة عام 211هـ(92)

وهناك رواية تاريخية تشير إلى أن قوماً من الاندلس قد تغلبوا بالاسكندرية وعاثوا فيها فساداً يميناً وشمالاً، وما أن أدرك عبدالله بن طاهر هذا التغلب، حتى زحف إليهم، فحاصرهم حصاراً شديداً، وفتح الاسكندرية سنة 212هـ، وولاها الياس بن أسد الخراسانيّ، وانصرف إلى الفسطاط، ثم صار إلى العراق، وحمل معه الجرويّ وجماعة من أهل مصر والشام، واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجُلودي(93).

ومادمنا بصدد وثوب الأقاليم، فقد وثب باليمن أحمد بن محمد العمري، من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أخرج عامل المأمون محمد بن نافع، واستولى على بيت المال، فاضطر المأمون إلى تولية أبي الرازي محمد بن عبدالحميد اليمن، فتمكن الأخير من السيطرة على اليمن وطلب العمري إلى الأمان، فاعطاه اياه، ثم مكر به أبو الرازي، حيث أخذه وجماعة من أهل بيته وولده، فأوثقهم جميعاً في الحديد، وأرسلهم إلى الخليفة المأمون، وكان والي الخليفة المأمون الرازي يتورع عن اعطاء الوعود بالامان للمعارضين(94)، ثم ينكث بوعده متشبهاً في ذلك باحراءات الخليفة المنصور مع ابن هبيرة(95) وعبدالله بن علي عمه وأبي مسلم الخراساني(96).

فضلاً عماسبق هناك شخص آخر لايقل خطورة عن العمري ألا وهو ابراهيم بن أبي جعفر الحميريّ المعروف بالمناخي، ظهر في جبل يقال له منيع، حيث ألحق الأذى الشديد بالمنطقة، فخرج إليه الوالي الرازي في طريق ضيق يؤدي إلى الجبل، فكمن له المناخي فقتله وقتل خلقاً من أصحابه، وأسر خلقاً أيضاً، فضلاً عن أقدامه على قطع أيديهم وأرجلهم، وبعد ذلك خلى سبيلهم، واخرج العباسيين الموالين للسلطة من اليمن، وخرب مدينة السلطان، وكان ذلك في سنة

212هـ(97). ويلغ من شدة اهتمام الخليفة بمعاقبة مخالفيه، أي كان مصدرهم، فحين وثب القيسية واليمانية بمصر بناحية الحوف، وكلف عيسى بن يزيد الجلوديّ، محاربتهم، فهزموه أكثر من مرة، وماكان من المأمون إلا إرسال أبي اسحاق بن عمير بن الوليد عاملاً على مصر مكان الجلودي، فاقلق بال الخليفة، فحاربهم الوالي الجديد بعد أن ارسل المأمون عامل الرقة لاسناده في القضاء عليهم، فدعاهم إلى الأمان، فأبوا عليه، فقاتلهم قتالاً شرساً، فتمكن في الظفر بهم، وأسر عبدالله بن جليس الهلالي رئيس القيسية، وعبدالسلام الجذامي رئيس اليمانية، فضرب عنقيهما وصلبهما على جسر مصر، وأسر عدداً غير قليل وأرسلهم إلى بغداد(98). حين وصلت أخبار خلع أهالي مدينة قم إلى الوالي العباسي سنة 210هـ، بسبب استكثار ماعليهم من الخراج من الوالي، مطالبين بتقليله من ألفي ألف درهم، اسوة بأهالي الري، حين حط الخليفة عنهم الخراج، فرفعوا إليه شكواهم لثقله عليهم، فلم يجبهم إلى ماطلبوه، فأمتنعوا عن ادائه، إذ ارسل إليهم المأمون علي بن هشام، ثم أمده بعجيف بن عنبسه، وعززه أيضاً بقائد خراسان المسير إلى قم لمعاونة الوالي العباسي علي بن هشام، فبدأ الأخير يشمر عن ساعد الجد تجاههم فظفر بهم، وقتل يحيى بن عمران وهدم سورقم، وأخذ خراجها سبعة الاف ألف درهم بعد ماكانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم، وارسل الباقين إلى السجون تخوفاً من ان يكونوا سبباً في اثارة الفتن وزحزحة اركان الدولة وأمنها مستقبلاً في بلاد خراسان(99).

ولايرتاب أحد في أن الخليفة المأمون واجه أخطر حركة دينية المظهر، سياسية الهدف عام 206هـ، عرفتها دولة الخلافة العباسية منذ قيامها في الأقاليم الشرقية، وقد شكلت ذروة التآمر الفارسي ضد السلطة العباسية، ألا وهي حركة بابك الخرّمي(100). وقد حالف بابك حظه عندما استطاع أن يحقق نجاحاً في الأقاليم الشرقية، واستمر في نجاح مطرد بفعل غياب القوة العباسية المنهمكة بالنزاعات الداخلية من جهة واخماد الحركات المعادية من جهة أخرى. ولم يدخر الخلفاء

العباسيون ولم يتركوا اسلوباً الاّ مارسوه ضد خصومهم بغية إضعافهم، واقامة صرح سلطتهم على اشلائهم، لذلك اتبع بابك سياسة عسكرية قائمة على هدم الحصون وتخريبها حتى يضعف دفاعات العباسيين. لذا وجه إليه المأمون عدة حملات عسكرية في عام 209هـ بقيادة صدقة بن علي(101) وكذلك في سنة 212هـ بقيادة محمد بن حميد الطوسي(102) وعبدالله بن طاهر في سنة 214هـ لمحاربة بابك الخرمي(103)، فشلت في القضاء عليه؛ وأضحى بابك الخرمي يشكل قوة خطيرة ضد الدولة العباسية(104). وقام الزط بالوثوب في جنوبي العراق بنواحي البصرة، وهم قوم من أخلاط الناس المعروفين بالنور(105)، وسيطروا على طريق البصرة-بغداد فمنهم جماعات أثرت في أمن بغداد وضواحيها(106) عام 206هـ، وكان قائدهم (محمد بن عثمان) وصاحب أمره رجل يدعى سماق(107).

وهؤلاء أصلهم من السند(108)، كما يشير إلى ذلك كل من البلاذري(109) والطبري(110) وياقوت(111)، وقد سباهم الفرس في معارك سابقة، واسكنوهم في المناطق القريبة من البحرين وقطر واليمامة وسواحل الخليج العربي، ثم استخدموهم بعد ذلك في قواتهم، ولما اتيحت لهم الفرصة، غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا فيها فساداً عام 219هـ ومنعوا البضائع والسلع من الوصول إلى بغداد، وأخذوا يبادر الناس، وأخافوا عابري السبيل وأربكوا الوضع الأمني في المنطقة بشكل أقلق السلطة العباسية لذا صمم الخليفة المأمون على التخلص منهم فظفربهم وقضى على آذاهم، وكلف قائده(عجيف بن عنبسة) بمقاومتهم، ووفر له جميع متطلبات القتال، فاستطاع هذا أن يقطع عنهم الماء ويحاصرهم، وأسر معظمهم، وكانوا يبلغون نحواً من سبعة وعشرين ألف شخص من المقاتلين فضلاً عن الاطفال والنساء والشيوخ(112)، وكان هذا القائد، قد قتل منهم نحواً من خمسمئة، وأتى بالباقين بزوارق صوب بغداد(113)، فأمر الخليفة بتفريقهم، وارسل بعضهم إلى خانقين وعين زربة(114) والثغور، تخوفاً من ان يكونوا سبباً في إثارة الفتن وزحزحة أركان الدولة وأمنها مستقبلاً(115).

حركة الاعتزال:

من المسائل المهمة التي تعرض لها العقل من قديم وخاض فيها فلاسفة اليونان والزرادشتيون(المجوس) والنصارى والمسلمون، مسألة الجبر والاختيار أي هل الانسان حر الارادة يعمل مايشاء وانه مسؤول عن عمله، أو أنه مجبور في أعماله، وأن القدر هو الذي يحكم جميع أعماله من خير وشر وأن الله كتب له أعمالاً لابد أن تصدر منه، وهو الذي قدر له أن يثاب أو يعاقب لأنه عالم بكل شيء وعالم بما يصدر من كل فرد من خير أو شر(116).

وقد وردت آيات في الذكر الحكيم تدل على الجبر: [فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ](117). وهناك آيات تدل على الاختيار: [فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ](118). وقد سمي هؤلاء الذين يقولون بأن الانسان حر الارادة وله قدرة على أعماله؛ بالقدرية أو المعتزلة، بينما عرفت الطائفة الأخرى بالجبرية والسلفية(119).

واختلف العلماء فيما يخص سبب تلقيب المعتزلة بهذا اللقب، فالبعض يرجعه إلى اعتزال واصل بن العطاء وعمرو بن عبيد حلقة استاذهما الحسن البصري، بسبب اختلافهما معه في بعض المسائل الفقهية. والبعض الآخر يرى أن الاعتزال للفرقة نفسها لأنها اعتزلت أو خالفت الأقوال السابقة وأحدثت رأياً جديداً(120).

وكيفما كان الأمر فان الكثيرين من المعتزلة لم يرضوا عن هذه التسمية التي أطلقت عليهم، وانما كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد(121).

المأمون والمعتزلة:

كان الخليفة المأمون يؤيد المعتزلة فيما يقولونه، لأنه أكثر حرية وأكثر اعتماداً على العقل، وكتب رسائل في تأييد آرائهم، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق كما اصطلح على تسميتها، وقد وقف فيها المعتزلة مؤيدين من لدن المأمون ضد أهل السنة والمحدثين، وكانت المعتزلة تقول بنفي صفات المعاني عن الله تعالى ومنها الكلام، لأن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء، وذلك ينافي التوحيد،

وكان من النتائج اللازمة لذلك قولهم: ان القران مخلوق لأنه أصوات وحروف، وهي ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو جبرائيل أو النبي(122)، وكان المعتزلة يؤيدون قولهم بأدلة عقلية وأدلة نقلية، ولكن أهل السنة والمحدثين عارضوهم بإصرار ومن دون أدلة قوية يعضدون بها وجهة نظرهم، وتدخل المأمون على هذا الخظ تدخلاً عنيفاً وقاسياً واستغل سلطانه ليرغم الناس على القول بخلق القرآن عام 218هـ(123)، ويأخذ عليه هذا الموقف الذي حارب فيه الحريات، واستعمل السيف لتقوية جانبه، وأرهق علماء عهده، فكتب إلى والي بغداد سنة 218هـ يطلب منه امتحان القضاة في مسألة القرآن، وأن يأخذ على القضاة عهداً بألايقبلوا شهادة من لايقول بخلق القرآن، وأن يعاقب من لم يقل بهذا الراي(124). كذلك شجع المأمون المناظرات الكلامية والبحث العقلي في المسائل الدينية كوسيلة لنشر العلم وإزالة الخلافة بين العلماء. لهذا قوي نفوذ العلماء في دولته ومن أشهرهم ابراهيم النظام(ت 220هـ) وأبوالهذيل العلاف(ت 235هـ) وأبوعثمان الجاحظ(ت 255هـ)(125).

وكتب اسحاق بن ابراهيم سنة 218هـ إلى الخليفة المأمون، رداً على كتاب المأمون يأمر به امتحان أشخاص وإجبارهم إلى القول إلى أنّ القرآن مخلوق، وأن القوم جميعاً قاموا بماطلبه الخليفة، إلاّ أربعة نفر وقفوا ضد القول بسان القرآن مخلوق، منهم أحمد بن حنبل وسجادةَ والقواريريّ ومحمد بن نوح المضروب، فأمربهم اسحاق بن ابراهيم فشُدّوا في الحديد، فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون في الحديد، فأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجّادة إلى أن القرآن مخلوق، فأمر باطلاق قيده وخلّى سبيله، وأصرّ الآخرون على أقوالهم؛ فلمّا كان من بعد الغدعاودهم أيضاً، فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريريّ إلى ان القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده، وخلى سبيله، وأصرّ أحمد إبن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما، ولم يرجعا، فشُدَّا جميعاً في الحديد، ووُجّها الى طرطوسُ، وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما، وكتب كتاباً مفرداً بتأويل القوم فيما أجابوا إليه، فمكثوا أياماً، ثم

دعا بهم فإذا كتابٌ قد ورد من المأمون على اسحاق بن ابراهيم، أن قد فهم أمير المؤمنين ماأجاب القوم إليه(126)، وذكّر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر الخليفة المأمون أنّ بشر بن الوليد أوّل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر: [إلاّ مَنْ أُكرِهَ وَقَلْبُهُ مطمئِنٌ بالايمان](127)، وقد أخطأ التأويل؛ إنما عني الله عزوجل بهذه الآية مَنْ كان معتقد الايمان، مظهر الشرك، فأما من كان معتقد الشرك مظهر الايمان، فليس هذه له، فأشخصهم جميعاً إلى طَرسوس؛ ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم... فلما وصلوا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون، فأمر والي الرقة في الرجوع إلى مدينة السلام، فأمرهم إسحاق بن ابراهيم بلزوم منازلهم، ثم سمح لهم بعد ذلك في الخروج(128).

علاقة الأغالبة بالمأمون:

أما عن علاقة المأمون بدولة الأغالبة في أفريقية أو المغرب فنجد أنها كانت كذلك استمراراً لسياسة والده التي تقوم على الاعتراف بحكم هذه الاسرة على اساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للخلافة العباسية. وكان يحكم هذه الأسرة في عهد المأمون الأمير زيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب(201-223هـ). ويؤثر عن هذا الأمير انه لم ينحرف عن الدماء للمأمون حينما اغتصب الخلافة عمه ابراهيم بن المهدي ببغداد. فلما عادت الخلافة إلى المأمون شكر له ذلك(129).

ويروي المؤرخون أن المأمون حينما عين قائده عبدالله بن طاهر بن الحسين والياً على بلاد مصر سنة 211هـ، كتب إلى زيادة الله الأغلبي يأمره بالدعاء لعبدالله بن طاهر، فلم يرض زيادة الله بذلك، وأمر بادخال رسول المأمون عليه ليلة وقد حل شعره وهو ثمل ونار عظيمة بين يديه في كوانين وقد أحمرت عيناه، فهال الرسول منظره. وكان من كلامه بعد تقرير شأنه وطاعة سلفه: ((يأمرني بالدعاء لعبد خزاعة))، ثم مد يده إلى كيس بجنبه فيه ألف دينار فدفعه للرسول وصرفه. وكانت في الكيس دنانير من المضروبة بأسماء بني ادريس الظاهر ملكهم يومئذ بالمضرب، ففهم المأمون مغزاه ولم يعاقبه بعد))(130).

وهذا النص السابق يدل بوضوح تام، على أن زيادة الله هدد الخليفة المأمون بمبايعة دولة الأدراسة والدعاء والولاء لهم بدلاً من العباسيين إذا مافكر المأمون في خدش استقلاله الذاتي واجباره على عمل لايرضيه وقد فهم الخليفة المأمون ذلك وتراجع عن مطلبه(131).

الحركة الفكرية في عهد المأمون:

إقترن اسم المأمون بتلك النهضة الفكرية التي أزدهرت في العصر العباسي الأول بوجه عام وفي عصر المأمون بوجه خاص، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه خير مشاركة حتي قيل إنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وانه فيلسوف الخلفاء وحكيم بني العباس(132).

ومن أبرز مايذكر المأمون ثقافته الرفيعة وحبه للعلم وخدماته الثقافية التي جعلته في القمة بين أقرانه من خلفاء المسلمين، فقد جمع تراث الامم القديمة الاخرى ولاسيما التراث اليوناني(133)، فأرسل بعثات من العلماء إلى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها إلى بيت الحكمة في بغداد. وكان هذا البيت بمثابة مكتبة علمية لنسخ الكتب، وداراً لترجمتها إلى العربية، وكان له مدير ومساعدون مترجمون ومجلدون للكتب(134).

وفي أيامه ظهر الفيلسوف العربي الاسلامي الكبير الكندي الذي كتب في عدة علوم، وترجم الحجاج بن يوسف ابن مطر للمأمون مصنفات أقليدس وكتاب بطليموس الشهير عند العرب بالمجسطى(135).

العلاقات الخارجية مع البيزنطيين:

كادت الحرب أن تضع أوزارها بين المسلمين في عهد الخليفة المأمون، بسبب الظروف التي كانت تمر بها الخلافة، لذلك شهدت الجبهة ركوداً يكاد يكون تاماً. وتعاون البيزنطيون مع الخرّميين في تنفيذ هجمات على الأراضي الاسلامية، ولاسيما مدينة زبطرة، وفي المقابل تعاون الخليفة المأمون مع الثائر البيزنطي توماس الصقلبي. وتمكن المأمون وابنه العباس من فتح عدة حصون في منطقة

كبادوكية، واستردّا هرقلة ولؤلؤة عام 217هـ(136)، وصار المامون إلى حصون أخرى فبنى حصنين أنزل فيهما أباسحاق والرجال، ثم قفل متوجهاً إلى قرية يقال لها سلغوس(137) وقتل بها ابن أخت الداري سنة 218هـ(138). وخلف على حصنه أحمد بن بسطام، وخلف ابواسحق على حصنه محمد إبن الفرج بن الليث بن الفضل، وصيّر عندهم زاد سنة، وخلف المأمون على جميع الناس (عجيف بن عنبسه)، فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف عام 218هـ، فأسروه، فمكث في أيديهم شهراً، وكاتبوا ملكهم، فسار نحوهم؛ فهزمه الله بغير قتال، وظفر من كان في الحصنين من المسلمين بعسكره، فحووا كل من كان فيه. فلمّا رأى ذلك أهل لؤلؤة، وأضرّبهم الحصار، طلب رئيسهم الحيلة، فقال لعجيف: أخلّي سبيلك على أن تطلب لي الأمان من المأمون، فضمن له ذلك، فقال: ((أريد رهينة، فقال: أنا احضرك إبنيّ، فوجّه إلى خليفته أن يوجه إليه بفّراشين نصرانّيين، ويُخَوَّسان ويجمّلان، فوجه معهما بجماعة من غلمان نصارى في زيّ المسلمين، ففعل ذلك، فدفعهم عجيف بن عنبسه إليهم، وخرج، فلما صار إلى المعسكر كتب إليهم: إن الذين في أيديكم نصارى، وأنتم مخيّرون فيهم، فكتب إليه رئيسهم: ان الوفاء حسن وهو في دينكم أحسن، فأخذ لهم عجيف الأمان، وفتحها، وأسكنها المسلمين))(139).

ولقد استمر الخليفة المأمون في تحصين الثغور، فقد حصن مدينة الطوانة سنة 218هـ، وأتى بالجند إلى العواصم من العراق وسورية ومصر، ويبدو أنه فكر بخطوة جبارة ورائعة لفتح بلاد الروم. فيروي اليعقوبي في احدى رواياته التاريخية انه استعد الخليفة لحصار عمورية وقال: ((أوجه إلى العرب فآتي بهم من البوادي، ثم أنزلهم في كل مدينة افتحه حتى اضرب القسطنطينية))(140). ولكن الوفاة أدركت المأمون على ضفاف نهر البدندون قرب طرطوس، وهو يقود الجيش الاسلامي لمجاهدة الروم البيزنطيين، لأنهم حين يتقدم صوبهم الجيش الاسلامي يطلبون الصلح، وعند انسحاب الجيش الاسلامي ينقضونه. فضلاً عن استغلال الاوضاع الداخلية التي تحدث في الدولة الاسلامية هنا وهناك، ولكثرة

المعاهدات التي أبرمها المسلمون مع الدولة البيزنطية التي كانت دائماً تنقض من البيزنطيين(141).

وفاة المأمون:

توفي المأمون في البَدَنْدون في شمال بلاد الشام(142)، وهو يغزو بلاد البيزنطيين، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب عام 218هـ، وحُمل إلى طرطوس ودُفن بها(143)، وكان قد عهد قبل وفاته إلى أخيه المعتصم. ولما وردت وفاته بغداد قال أبوسعيد الخزومي(144):

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ — مون شيئاً وملكه المأنوس

خلفوه بعرصتَي طرطوس — مثل ما خلفوا أباه بطوس(145).

قال الثعالبي: لايعرف أب وابن من الخلفاء ابعد قبراً من الرشيد والمأمون(146).

ولاية العهد:

عهد الخليفة المأمون وهو مريض، إلى أخيه أبي اسحاق بن الرشيد، ولم يخطئ من قبله بالعهد إلى اثنين وأوصاه بوصية مأثورة تقدم منها أشياء. ومما جاء فيها: ((واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولاتغتر بالله مهلته فكأن قد نزل بك الموت ولاتغفل أمر الرعية. الرعية الرعية، العوام العوام، فإن الملك بهم وتعهدك المسلمين والمنفعة لهم، الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين، ولاينهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلاّ قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولاتحمل عليهم في شيء وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرسلة عني والقدوم إلى دار ملكك بالعراق، وإنظر هؤلاء القوم الذين انت بساحتهم، فلا تغفل عنهم في كل وقت))(147).

هوامش الفصل التاسع:

1- اليعقوبي:المصدر السابق 311/2؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص349؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص306.

2- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص101؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 253/1.

3- أحمد مختار: المرجع السابق ، ص101-102.

4- نفسه، ص102.

5- فاروق عمر: المرجع السابق 228/1.

6- نفسه 228/1.

7- اليعقوبي: المصدر السابق 315/2؛ الطبري: المصدر السابق 554/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص207.

8- الطبري: المصدر السابق 566/8؛ المسعودي: المصدر السابق 28/4.

9- المسعودي: المصدر السابق 28/4.

10- الطبري: المصدر السابق 28/4.

11- نفسه 554/8-555.

12- نفسه 564/8.

13- نفسه 564/8.

14- نفسه 564/8؛ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، دمشق، 1973م، 90/3.

15- المسعودي 28/4.

16- اليعقوبي: المصدر السابق 317/2؛ الطبري: المصدر السابق 566/8.

17- اليعقوبي: المصدر السابق 317/2؛ الطبري: المصدر السابق 566/8.

18- المسعودي: المصدر السابق 318/2.

19- المسعودي: المصدر السابق 29/4 و التنبيه والاشراف، ص35؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص102.

20- فاروق عمر: المرجع السابق 255/1.

21- الطبري: المصدر السابق 574/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 346/6، 347، 351.

22- المسعودي: المصدر السابق 29/4.

23- الطبري: المصدر السابق 554/8؛ فاروق عمر: المرجع السابق 250/1.

24- الطبري: المصدر السابق 554/8-555.

25- فاروق عمر: المرجع السابق 250/1.

26- نفسه 250/1.

27- الطبري 527/8.

28- نفسه 557/8.

29- نفسه 568/8.

30- نفسه 555/8.

31- نفسه 557/8؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص207.

32- الطبري: المصدر السابق 557/8.

33- نفسه 564/8-565.

34- نفسه 568/8-569.

35- اليعقوبي: المصدر السابق 319/2؛ الطبري: المصدر السنابق 571/8.

36- السيوطي: المصدر السابق ، ص207.

37- اليعقوبي: المصدر السابق 319/2؛ الطبري: المصدر السابق 574/8.

38- الطبري: المصدر السابق 570/8-571؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص139.

39- ابن الاثير: المصدر السابق 22/5؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق 69/2؛ عبدالجبار الجومرد: داهية العرب، ص215.

40- المسعودي: المصدر السابق 29/4.

41- الطبري: المصدر السابق 609/8-610.

42- المسعودي: المصدر السابق 35/4.

43- اليعقوبي: المصدر السابق 322/2؛ الطبري: المصدر السابق 603/8-604؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 255/1-256.

44- المسعودي: المصدر السابق 29/4-30.

45- الطبري: المصدر السابق 604/8؛ المسعودي: المصدر السابق 29/4.

46- الطبري: المصدر السابق 604/8-606.

47- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 117/10.

48- الطبري: المصدر السابق 606/8.

49- سورة يوسف آية 92.

50- عبدالرحمن بن سنبط الاربلي: خلاصة الذهب، ص187؛ أحمد يحيى بن المرتضى: كتاب التبقات المعتزلة، ص121-122؛ أحمد عبدالعزيز:المرجع السابق ، ص116.

51- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق 803/4؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 32/6-35.

52- ابن عبد ربه: المصدر السابق ،232/7-233؛ المسعودي: المصدر السابق 10/4-11.

53- ابن عبد ربه: المصدر السابق 7/232-233؛ المسعودي: المصدر السابق 4/10-11؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص117.

54- ابن عبد: المصدر السابق 7/232-233؛ المسعودي: المصدر السابق 4/10-11؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص117.

55- الطبري: المصدر السابق 8/528-529.

56- اليعقوبي: المصدر السابق 2/312؛ الطبري: المصدر السابق 8/528-530.

57- الطبري: المصدر السابق 8/528؛ المسعودي: المصدر السابق 4/26.

58- المسعودي: المصدر السابق 4/26-27.

59- اليعقوبي: المصدر السابق 2/313؛ الطبري: المصدر السابق 8/530؛ فاروق عمر: المرجع السابق 1/240.

60- المسعودي: المصدر السابق 4/27.

61- اليعقوبي: المصدر السابق 2/313؛ الطبري: المصدر السابق 8/530؛ فاروق عمر: المرجع السابق 1/240.

62- الطبري: المصدر السابق 8/530-531؛ ابن خلدون: المصدر السابق 3/243.

63- المسعودي: المصدر السابق 4/27.

64- اليعقوبي: المصدر السابق 2/314.

65- الطبري: المصدر السابق 8/535.

66- نفسه 8/535.

67- نفسه 8/530-531.

68- نفسه 8/534.

69- نفسه 8/533.

70- المسعودي: المصدر السابق 4/27.

71- الطبري: المصدر السابق 8/529.

72- السيوطي: المصدر السابق، ص307.

73- فاروق عمر: المرجع السابق 1/242-243.

74- الطبري: المصدر السابق 8/530-533.

75- نفسه 8/533؛ فاروق عمر: المرجع السابق 1/244.

76- الطبري: المصدر السابق 8/536-537؛ المسعودي: المصدر السابق 4/27.

77- المسعودي: المصدر السابق 4/27.

78- الطبري: المصدر السابق 8/538-539.

79- نفسه 536/8.

80- نفسه 535/8-536.

81- اليعقوبي: المصدر السابق 314/2-315.

82- اليعقوبي: المصدر السابق 232/2.

83- الطبري: المصدر السابق 592/8.

84- نفسه 599/8.

85- نفسه 600/8.

86- نفسه 599/8-600؛ فاروق عمر: المرجع السابق 230/1؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 254/1-255.

87- الطبري: المصدر السابق 601/8.

88- نفسه 602/8؛ ابن خلدون: المصدر السابق 243/3؛ فاطمة: المرجع السابق 254/1.

89- فاروق عمر: المرجع السابق 231/1.

90- الطبري: المصدر السابق 599/8-600؛ فاروق عمر: المرجع السابق 232/1.

91- اليعقوبي: المصدر السابق 323/2.

92- نفسه 326/2-327.

93- نفسه 324/3.

94- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق ، ص469؛ عبدالكريم الأشتر:المرجع السابق ، ص69؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص94.

95- ابن قتيبة: الامامة 15/1؛ أبوحنيفة الدينوري: المصدر السابق، ص373؛ ابن الجوزي: أخبار الحمقى، بيروت، د.ت، ص17؛ ولهاوزن: الدولة العربية، ص435؛ حسن ابراهيم حسن: النظم الاسلامية، القاهرة، 1939م، 375/1.

96- الجاحظ: البيان، 368/3-369؛ أبوحنيفة الدينوري: المصدر السابق ، ص380-381؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص130، 165؛ ابن خلكان: المصدر السابق 153/4؛ الذهبي: العبر 173/1؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص94.

97- اليعقوبي: المصدر السابق 324/2.

98- نفسه 326/2-327، 328.

99- الطبري: المصدر السابق 614/8.

100- اليعقوبي: المصدر السابق 325/2؛ الطبري: المصدر السابق 518/8.

101- الطبري: المصدر السابق 601/8.

102- نفسه 619/8.

103- نفسه 622/8.

104- الدينوري: المصدر السابق ، ص280؛ اليعقوبي: المصدر السابق 325/2؛ الطبري: المصدر السابق 628/8؛ البغدادي: المصدر السابق ، ص252، 268.

105- ابن خلدون: المصدر السابق 257/3؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 256/1.

106- الطبري: المصدر السابق 581/8.

107- ابن الاثير: المصدر السابق 443/6-447؛ ابن خلدون: المصدر السابق 257/3.

108- أحمد مختار: المرجع السابق ، ص107.

109- البلاذري: فتوح 462/2.

110- الطبري: المصدر السابق 9/9-8.

111- ياقوت : البلدان378/2.

112- مسكويه: تجارب، 471/6-472؛ ابن الاثير: المصدر السابق 445/6؛ ابن تغري: المصدر السابق 233/2؛ ابن خلدون: المصدر السابق 257/3.

113- خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ص476.

114- عين زربة: وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة. ينظر: ياقوت الحموي: البلدان 157/4؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص47.

115- الجاحظ: البخلاء، ص322؛ البلاذري: المصدر السابق 462/2؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص355؛ مسكويه: المصدر السابق 472/6-473؛ ابن الاثير: المصدر السابق 446/6.

116- المسعودي: مروج 223/3؛ هادي حسين حمود: العقائد والفرق الدينية، دار القادسية للطباعة، مطبعة عصام، بغداد، 1984م، ص274. لمزيد من التفاصيل عن المعتزلة يراجع: الشهرستاني: الملل والنحل 53/1.

117- سورة النحل، آية36.

118- سورة الكهف، آية 29.

119- الشهرستاني: الملل 108/1؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص109.

120- الشهرستاني: المصدر السابق 52/1-53؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص109؛ أحمد الشرباصي: قصة التفسير، بيروت، 1978م، ص9.

121- مصطفى الصاوي الجويني: موقف المعتزلة من تفسير القرآن والأحاديث المروية، مجلة العربي، العدد(115)، الكويت 1968م، ص72؛ العدد(122)، الكويت، 1969م، ص141.

122- فاطمة محمود: المرجع السابق 209/1.

123- الطبري: المصدر السابق 631/8، ابن النديم: المصدر السابق، ص147، 356، 360؛ أحمد أمين: ضحى الاسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، 1933م، 277/1.

124- اليعقوبي: المصدر السابق 329/2؛ الطبري: المصدر السابق 631/8، 642.

125- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص111-112.

126- الطبري: المصدر السابق 644/8-645.

127- سورة النمل، آية 160.

128- الطبري: المصدر السابق 644/8-645.

129- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، تعريب، المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م، ص125-126؛ خليل ابراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ المغرب العربي، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988م.

130- ابن الابار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط1، القاهرة، 1963م، 165/1-166؛ النويري: نهاية الارب، القاهرة، 1976م، 73/22؛ ابن خلدون: المصدر السابق 422/4؛ خليل ابراهيم وآخرون: تاريخ، ص210.

131- ابن الخطيب: اعمال الاعلام، القسم الخاص بالاندلس، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م، ص17؛ ابن خلدون: المصدر السابق 422/4.

132- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص108.

133- فاطمة محمود: المرجع السابق 258/1.

134- أحمد مختار: المرجع-السابق، ص108.

135- فاطمة محمود: المرجع السابق 258/1.

136- الطبري: المصدر السابق 124/8-129.

137- سلغوس: حصن في بلاد الثغور بعد طرطوش غزاها المأمون. ياقوت: البلدان 238/3.

138- الطبري: المصدر السابق 631/8.

139- اليعقوبي: المصدر السابق 328/2-329-330؛ الطبري: المصدر السابق 628/8-629.

140- اليعقوبي: المصدر السابق 330/2.

141- ابن الاثير: المصدر السابق 421/6.

142- المسعودي: التنبيه والاشراف، ص351؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص331.

143- المسعودي: المصدر السابق ، ص351؛ محمد طقوش: المرجع السابق ، ص167.

144- المسعودي: المصدر السابق 54/4.

145- السيوطي: المصدر السابق ص313.

146- نفسه، ص313.

147- الطبري: المصدر السابق 648/8-649؛ محمد الخضري: المرجع السابق، ص216.

الفصل العاشر

المعتصم 218-227هـ

ولد أبو اسحق محمد المعتصم بن الرشيد سنة 178هـ من أم ولد اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد(1)، واتجه في نشاته عسكرياً، دفعته إليه شجاعته(2)و مروءته واعجابه(3) بالبطولة(4)، ولهذا لم تكن له ثقافة عالية(5)، فقال له الرشيد أبوه: يامحمد مات غلامك، قال: نعم ياسيدي واستراح من الكتاب، فحرمه الرشيد من ولاية العهد(7)، وفي خلال خلافة المأمون كان المعتصم يده اليمنى فيما صادف من مشكلات وماخاض من حروب، وقد جعله الخليفة المأمون والياً على الشام ومصر، ثم عينه ولياً للعهد، فتولى الخلافة عقب وفاة أخيه، وبايع له القواد(8) والجند الذين كانوا مع المأمون، وبايعه الناس(9) مع العباس بن المأمون في رجب سنة 218هـ(10). تشير المصادر التاريخية أن عدداً كبيراً من الجنود رفضوا مبايعة المعتصم بالخلافة بعد وفاة المأمون وأرادوا تولية العباس بن المأمون، فخرج الأخير إليهم من مضربه واسرع إلى مبايعة عمه(11) وكلمهم بكلام فاضطروا للمبايعة حسماً للفتنة واحتراماً لوصية والده(12).

وقال نفطويه والصولي: للمعتصم مناقب، وكان يقال له: المثمن؛ لأنه ثامن الخلفاء بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة، وعاش ثمانية وأربعين سنة، وطالعه العقرب، وهو ثامن برج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد، ومن الإناث كذلك، ومات لثمان بقين من ربيع الأول(13).

وقال غيره: هو أول من أدخل الأتراكَ ويسميهم الجاحظ بدو العجم الديوان. وكان تشبه بملوك الأعاجم(14)، ويمشي مشيهم، وبلغت غلمانه الاتراك بضعةَ عشر ألفاً. وقد ألبسهم المعتصم أفخر الملابس، وسمح لهم بركوب الخيل في

شوارع مدينة السلام، مما أدى إلى اصطدامهم بالناس في الطرقات، وإثارة سخط أهل العاصمة، فعزم المعتصم على الرحيل من بغداد، فظل يتقرى المواضع والأماكن إلى دجلة وغيرها حتى انتهى به الرحال إلى الموضع المعروف بالقاطول(15)، فاستطاب الموضع وأعجبه، فبنى هناك قصراً وبنى الناس أيضاً، وعلى إثر ذلك انتقلوا من مدينة السلام، وتكاد تكون خلت من السكان إلاّ اليسير(16)، قال بعض العيارين في ذلك معيراً المعتصم بانتقاله عنهم(17):

أيا ساكن القاطول بين الجرامقة تركت ببغداد الكباش البطارقة

ولما تأذى الخليفة بالموضع وتعذر البناء فيه بسبب شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه، وتأذوا بالبناء، لذا خرج يكشف(يتقرى) المواضع، فانتهى إلى موضع سامراء(18)، وبنى قصره، وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار، ونقل إليها من سائر البقاع أنواع الغروس والأشجار(19)، فجعل للاتراك قطائع متميزة ومتحيزة، وجاورهم بالفراغنة والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم. وأقطع أشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامراء، واختطت الشوارع والقطائع والدروب، وشيدت القصور ودور الناس، وكثرت العمارة، واستنبطت المياه، وجرت من دجلة وغيرها(20).

المعتصم والاتراك:

ويرى بعض المؤرخين أن ميل المعتصم للجنس التركي يرجع إلى أن أمه كانت تركية اسمها ماردة أو مارية، وهذا الرأي صحيح من غير شك لاغبار عليه، الا انه يلاحظ أن المعتصم حينما استخدم العنصر التركي أراد ان يتخلص من النفوذ الفارسي والعربي في الجيش والحكومة سواء بسواء(21). إذ أنه وجد أن سياسة الدولة قد صارت بسبب المنافسة الشديدة بين العرب والعجم أشبه برجل يركب جوادين في وقت واحد. فهو على شفا السقوط(22). أما عدد الاتراك في جيش المعتصم فيصعب تقديره بدقة أو إعطاؤه احصائية مضبوطة. إذ بدأ يجمعهم وهو

أمير فكان يوجه سنوياً بمن يشتري له منهم من جهات سمرقند حتى ((اجتمع لـــه في أيام المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام)) كما يقول اليعقــوبي(23). ويــشير الكندي أنه لما ذهب إلى بلاد مصر سنة 214هـ كان معه أربعـــة آلاف غـــلام تركي(24). فلما أفضت الخلافة إليه ((الح في طلبهم واشترى من كان ببغداد مـــن رقيق الناس))(25) ولعل المؤرخ المسعودي يخطيء أو يلتبس عليه حين يقدر عدد الاتراك في جيش الخليفة المعتصم قبل أنتقاله إلى سامراء بأربعة آلاف(26). وكان عبدالله إبن طاهر يرسل إليه سنوياً ألفي غلام كجزء من خراج خراسان(27). كما انه كان يشجع الاتراك بالاستمرار في آسيا الوسطى على اللانخراط في جيـــشه، فترك قسم منهم بلادهم وإنضموا إليه(28). وهناك رواية تقول انـــه إجتمـــع لديـــه سبعون ألف تركي، وإلى ذلك أشار علي بن الجهم بقوله(29):

أمامي من له سبعون ألفاً   من الاتراك مسرعة السهام(30).

ويظهر ان عامتهم كانوا من فرغانة وأشروسنة والصغد والشاش(31).

هذا ولاننسى أنه كان على المعتصم أن يخوض غمار حروب طويلـــة وشـــاقة ومعارك شديدة وشرسه ضد الزط وبابك الخرمي والروم. ولهـــذا رأى ضـــرورة تقوية جيشه بعناصر عرفت بالشجاعة والبطولة لينتصر بهم في هذه الحروب.

ويقول الامام محمد عبده عن تصرف المعتصم: ان الخليفة ظـــن أن الجـــيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي، لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صـــلى الله عليه وسلم، فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبياً من الترك والديلم وغيرهم من الأمم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه، ويصطنعها بإحسانه، فلاتساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملك(32). من أجل هذا فتح المعتصم الطريق للترك ليصلوا إلى جيش الخلافة، وقد استقدمهم الخليفة من بلاد ماوراء النهر، وأسند إليهم أمـــر سلامته الشخصية بجعل حرسه الخاص منهم، ثم أدخلهم فـــي جيـــشه المحـــارب واستطاعوا بشجاعتهم ومقدراتهم العسكرية أن ينالوا رضى وتقدير الخليفـــة، وأن

يصلوا إلى مواقع مهمة في أمور الحرب، وحرصاً على مكانتهم عملوا على اسقاط أسماء كثيرين من العرب من الجيش الاسلامي ليخلو لهم الجو(33). وقد أراد المعتصم أن يتخلص من سلطان الفرس وسلطان العرب معاً، ولكنه وقع وأوقع أولاده من بعده مع الدولة الاسلامية في شر مرير حيث وضع أمور الدولة في أيدي هؤلاء شاء أولم يشأ(34).

المشكلات الداخلية:

1- حركة بابك الخرّمي(201-222هـ)

وهي تعد أخطر حركة دينية في المظهر سياسية في الغاية عرفتها ايران منذ قيام الدولة العباسية سنة 132هـ، وتتصف عن الحركات السابقة بسعتها وتنظيم دعايتها وفضلاً عن بزاعة القيادة فيها من خلال توحيد جهودها وخططها وباتصالها بغير الفرس على نطاق أوسع لاسيما الاكراد. ومع ذلك فإنها في أسسها واسلوب عملها تكاد تشبه الحركات السابقة كالراوندية واستاذيس وبها فريد والمقنع. ومن أجل فهم ومعرفة مبادئ الحركة وغايتها وأهدافها والوسط الذي انتشرت فيه وكذلك معرفة حلفائها ومن يقف وراءها وأسباب فشلها هي(35):

أ- **كانت حركة بابك حركة خرمية**، فيبين كل من ابن النديم(36) وابن الجوزي(37) ان البابكية هم طائفة من الخرمية تبعوا بابك الخرمي، ويشير الطبري في احدى رواياته عن انتشار دعوة بابك سنة 218هـ قائلاً: ((وفيها دخل جماعة كثيرة من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان وميهرجانقذق في دين الخرميّة، وتجمعّوا، فعسكروا في عمل همذان))(38). ويعد البغدادي البابكية من الخرمية(39). وقالت زوجة جاويدان (سلف بابك) إن بابك سوف يرد المزدكية، ويفهم من الدينوري ان بابك خرمي حين يشير إلى الغموض في نسبه ويقوله ((الذي صح عندنا وثبت انه كان من ولد مطهر إبن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، هذه ينتسب إليها الفاطمية من الخرمية))(40). وعليه يظهر أن بابك خلف جاويدان في قيادة إحدى فرقتي الخرمية التي برزت في إقليم الجبال(41).

يقول ابن النديم، ان زوجة جاويدان قالت لهم، إن زوجها قال: ((أريد أن أموت هذه الليلة وإن روحي تخرج من بدني وتدخل في بدن بابك وتشترك مع روحه))(42)، فصدق الاتباع قولها ورضوا ببابك الخرمي ان يكون رئيساً لهم(43).

ومن هذا يتصح أن حركة بابك هي امتداد للحركةِ الخرمية، فقد نجح ذلك الشخص في أن يقنع عدداً غير قليل من الناس ويتزعمهم مدة، واستطاع بمقدرته السياسية وقدرته العسكرية ومناوراته البارعة توحيد صفوفها وجمعها في تنظيم واحد. وأما قول احد المؤرخين بأن بابك ((أحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة ولم تكن الخرمية تعرف ذلك))(44). ففي وجهة نظرنا نرى وجود زعيمين للخرمية في إقليم الجبال قبل ظهور بابك وإنهما كانا في حروب مستمرة وهما جاويدان وأبوعمران وأن الأول مات من جراحه بينما قتل الثاني في المعركة. ولكن مما يلفت الانتباه ان المقدسي أدق من ابن النديم حين يقول ان الخرمية ((يتجنبون الدماء جداً الا عند عقد راية الخلافة))(45). وكان الخرمية اتباع بابك يدعون(المحمرة)(46) وذلك لأنهم ((صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك وكانت شعارهم))(47).

ب- وهنا لابد من أن نذكر بعض المباديء التي عرفت عن الخرمية أتباع بابك، فمنها الحلول إذ أن بابك ((كان يقول لمن استغواه إنه إله))(48). ومنها الاعتقاد بالتناسخ والرجعة كما يفهم من الوصية المنسوبة إلى جاويدان(49).

والمعروف عنهم انهم كانوا يدعون إلى الاشتراكية، فيذكر احد المؤرخين ان دعوة بابك كانت ترمي إلى الإباحة المزدكية(50). في حين نرى أن المقدسي يقول إنه رأى بنفسه ((ببين الخرمية في ديارهم ماسبذان ومهرجان قذق (مراكز بابكية) من يقول بإباحة النساء على الرضا منهن وإباحة كل مايلذ النفس وينزع إليه الطبع مالم يعد على أحد بضرر))(51). وكان الخرمية على الأغلب فلاحين. ولذا حاولوا حل مشكلة الأراضي بنزعها من الملاكين الكبار وتوزيعها على الفلاحين(52).

ولاجرم إذا قلنا ان للبابكية غاية سياسية رئيسة وهي ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي معاً، إذ جاء في الوصية المنسوبة إلى جاويدان ان بابك ((سيبلغ بنفسه وبكم(الخرمية) حداً لم يبلغه أحد ولايبلغه أحد بعده، وأنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية. ويعز به ذليلكم ويرتفع به ضعيفكم))(53). وجاء في محاكمة الأفشين ان أخاه كتب إلى أخي مازيار ((أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك))(54) ثم يبين كيفية القضاء على العرب، حتى ((يعود الدين الذي مالم يزل عليه أيام العجم))(55). ويرى ابن الجوزي ان غاية البابكية هي ((إبطال الدين الاسلامي))(56). ويرى المقريزي ان حركة بابك كالحركات الدينية السابقة، كانت مدفوعة بالحقد الدفين على الاسلام وسلطانه وانها ترمي ((كيد الاسلام بالمحاربة))(57). ويقول المسعودي إن رأس بابك طيف به على مدن خراسان ((لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره، وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها)). ويقول الذهبي ((وكان بابك أراد أن يقيم ملة المجوس))(58). ويبينَ المسعودي أنه ناظر الخرمية ولاحِظ انهم ينتظرون ((في المستقبل من الزمان الآتي عود الملك فيهم))(59).

وفي الحقيقة كان عداء الخرمية للاسلام عداء سياسياً لاتشوبه أية شائبة، لأنه الدين الذي اذهب سلطانهم ونقل الملك إلى العرب(60). أما نظرتهم الدينية لغيرهم ففيها كثير من التسامح. فيذكر البغدادي وجود مساجد للمسلمين في جبالهم. ويقول المقدسي الذي زارهم وناقشهم ((ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف أديانهم وشرائعهم يحصلون على روح واحد وأن الوحي لاينقطع أبداً وكل ذي دين مصيب عندهم، إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب. ولايرون تهييبه والتخطي إليه بالمكروه مالم يرد كيد ملتهم وخسف مذهبهم))(61).

جـ- أتباع بابك وحلفاؤه:

ومما ينبغي عدم تجاهله هو ان جبال آذربيجان وأران كانت مهد الحركة البابكية، ومركزها البذ(62). ويبين ياقوت أنها كانت مهد الحركات الإباحية منذ

محنة مزدك إذ لجأ إليها بعض أصحابه واستمروا على دعايتهم(63). وقد بدأ بابك بضم كافة آذربيجان إلى دعوته(64). ثم أخذ ينشر الدعوة في المقاطعات المجاورة. فلاقت دعوته رواجاً ونجاحاً باهراً في إقليم الجبال(65). يذكر الطبري أنه في سنة 218هـ دخل جماعة كثيرة من أهل الجبال في دين الخرمية(66). ويذكر البغدادي أيضاً أنه دخل في الخرمية ((جماعة من أكراد الجبل المعروف بالبدين(البذ)(67).

ولعل من المناسب أن نقول هنا ان الدعوة انتشرت في طبرستان وجرجان حيث كان المازيارية ((اتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان)). ودخل فيها قسم كبير من الديلم(68).

فضلاً عماتقدم ذكره، نلاحظ ان المسعودي يبين أن الخرمية انتشرت في الجبال وفي آذربيجان وأرمينية وحتى ((في خراسان وسائر أرض عجم))(69).

ومما يميز هذه الحركة عما سبقها اشتراك بعض الدهاقنة والامراء الفرس مع السواد في الحركة ضد العباسيين. فالمازيار أصبهبذ طبرستان دخل في الدعوة وكان يكاتب بابك ويحرضه على النصرة(70). ومنكجور الفرغاني خال ولد الأفشين وخليفته على آذربيجان خلع هناك وجمع إليه أصحاب بابك(71) والأفشين نفسه اتهم بموالاة بابك وبأنه كان يرى برأيه(72). وهذه خطوة مهمة في تطور الوعي الايراني أيامئذٍ.

لقد تمادى بابك الخرمي في تقوية مركزه بالوسائل السياسية فيبين المؤرخ اليعقوبي في احدى رواياته أن عصمة الكردي صاحب مرند في طاعته ((فتزوج ابنته، وسار إليه إلى مَرَنْد، ثم دعاه إلى منزله فحمل عليه وعلى من معه في الشرب، فلمّا سكروا حملهم في الليل إلى قلعته التي يقال لها شاهي(73)، ثم أنفذهم إلى المقصم، وحباه، وأعطاه، وذلك لأنه أخبر طاهر بن ابراهيم بما كامنه))(74).

وتذكر بعض المصادر البيزنطية إلى مفاوضات سرية بين بابك وبين البيزنطية ويظهر أنها كانت لضمان المساعدة وقت الضرورة. وفي سنة 216هـ حاربت فئة كبيرة من أصحاب بابك مع البيزنطيين(75)، ولما هزمت فرقة من اتباع بابك

سنة 218هـ هرب الناجون إلى بلاد الروم(76). ولما ضاق الحال ببابك في سنيه الأخيرة أقنع امبراطور البيزنطيين بالهجوم على الحدود الاسلامية ليخف عنه الضغط. ولما مزقت جيوشه وهرب، أراد أن يتمم وجه شطر بلاد الروم. كما أن قسماً من جيشه التجأ إلى الاراضي البيزنطية بعد هزيمته(77). كل هذا يدل على وجود علاقة قوية بين بابك والبيزنطيين(78).

د- أسباب فشل الحركة:

ومن المعروف ان بابك بدأ حركته سنة 201هـ(79)، واستمر في نجاح مطرد وعلى جناح السرعة حتى عام 218هـ(80)، وتمكن في هذه الحقبة الزمنية أن يرد جيوش الخليفة المأمون وأن يهزم أربعة من قواده البارزين، فضلاً عن بث الرعب والهلع في قلوب الناس والجند سواء بسواء، ممادفع احد قواد المأمون أن يقول: ((ليس لنا في قتال هؤلاء(أي البابكية) بخت، إنما نخشى في قتال المسلمين))(81).

وأدرك بابك ان الظروف كانت مؤاتية له في تلك الحقبة، فقد أنهكت قوات العباسيين بالحرب الأهلية وبالتمردات في مصر والشام وبالحرب مع البيزنطيين، فكانت هذه الأوضاع والظروف عاملاً أساسياً في نجاح البابكية العسكري(82).

لايفوتنا القول ان بمجيء المعتصم دخل الصراع مع البابكية مرحلة جديدة، إذ هدأت البلاد تدريجياً، وركز الخليفة المعتصم معظم جهوده على محاربة بابك، والمعروف عن المعتصم انه قائد محنك عسكري من الطراز الأول، وشرع في ارسال الفرقة تلو الأخرى ضده(85).

ولدينا من الأدله على ان الخليفة أرسل سنة 220هـ أعظم قواده، الأفشين حيدر بن كاوس ضد بابك(86) وزوده بالاموال والمؤن إليه بانتظام عطاء للجند وللنفقات(87).

ولدينا رواية يوردها مؤلف مجهول، ان الأفشين اتخذ مقره الأول في برزند(88) من نواحي تفليس حيث رمم الحصون فيما بين برزند واردبيل مع وضع الحاميات فيها(89). فضلاً عماذكر نرى أن الأفشين قد اجبر سنة 220هـ خصمه بعد

معركة شرسة وعنيفة(أرشق)(90) إلى التراجع السريع إلى (البذّ)(91) والتحصن بها(92). وبأمر من المعتصم جعل الأفشين الجيش نوائب، البعض معسكرون والبعض على ظهور الخيل ليكون على استعداد دائم وذلك مخافة البيات(93).

ولايرتاب أحد في أنه قد جرت في الأيام الأخيرة اتصالاتً سرية بين كل مع الأفشين وبابك ولكنها لم تفلح في خطها المرسوم لها على خارطة الحوار، حيث زحف جيش الخلافة على البذ سنة 222هـ، وفتحت المدينة عنوة ودخلها الجيش(94)، مما اضطر بابك إلى الهرب صوب أرمينية(95). فلجأ الأفشين إلى مكاتبة بطارقتها بسد الطرق عليه، وتشير المصادر ان البطريق سهل بن سنباط آمن بابك وغدر به(96). بينما يذكر الدينوري أنه اسره وسلمه إلى الأفشين عام 222هـ(97)، ((وقد كان بابك غيّر لباسه، وبدل زيه، وشدّ الخِرقَ على رجليه وركب بغلة بإكاف، ...فاستوثق منه الأفشينن وكتب إلى المعتصم بالفتح، واستأذنه في القدوم عليه، فأذن له، فسار حتى قدم عليه، ومعه بابك وأخوه، فكان من قتل المعتصم لبابك وقطع يديه ورجليه وصلبه ماهو مشهور))(98)، فلم ينطق ولم يتكلم(99)، فصلب في الجانب الشرقي(100) بين الجسرين بمدينة السلام(101).

وفي ذلك يقول اسحق بن خلف الشاعر(101) في قصيدته التي مدح فيها الخليفة المعتصم بالله:

ماغِبْتَ عَنْ حَرْبٍ تَحَرَّق نارُها بالبَذِّ كُنتَ هُنا وأنتَ هُنَاكا
غَزّتْ بأفشِينِ حسامِكَ أمةٌ وَالدينُ ممتَسِكٌ بِهِ إستِمْساكا
لَمَّا أتاكَ بِبابِكٍ توّجتَهُ وأحقُّ من أضحى له تاجاكا(102)

ومما قيل فيه قول أبي تمام الطائيّ(103):

بذَّ الجلادُ البذَّ فهو دفين ما إنْ به إلاَّ الوحوش قطين
لم يُقْرَ هذا السيفُ هذا الصّبر في هَيْجَاء إلاّ عَزَّ هذا الدينُ(104).

قال إبراهيم بن المهدي(105) شعراً، وهو:

يا أمين الله ان الـ حمد لله كثيراً

هكذا النصر فـــلازا ل لك الله نـــصيراً
وعلى الأعداء أعطيــ ت من الله ظهـــيراً
وهنيئاً هـــيأ اللــ ـه لك الفتح الخطيراً
فهو فتح لم يــر النــ ـاس له فتحاً نظيراً
وجزى الأفشين عبدا لله خيراً وحبـــوراً
فلقد لاق بـــه با بك يوما قمـــطريراً

المعتصم والعلويون:

ولما اختطف المنون المأمون آلت مقاليد الحكم إلى أخيه المعتصم(106)، الـذي دب في نفسه الاحساس دبيب الغسق في الفلق، بأن أخاه المأمون كان متعاطفاً مع العلويين وميالاً إليهم بحسب زعمه، بعد الوصول إلى سدة الحكم، وماحـدث مـع مقتل أخيه الأمين(107)، وتولية علي الرضا ولاية العهد، وكان اقدامه علـى هـذه الخطوة نابعاً عن اهتمامه بالفرس الملتفين حوله بسبب كون أمه فارسية(108)، الا ان بعده عن بغداد ماحال دون مراقبته ومحاربة المناهضين لسلطته(109).

وتتحدث الروايات التاريخية عن أحد رموز العلويين الذي استغل فرصة بعـد الخليفة المعتصم عن بغداد، الذي نقل عاصمة خلافته من بغداد إلى سامراء، خشية تنامي نفوذ الاتراك الذين كانوا مادة جيشه الأساسية وتحاشياً لاصطدامهم بأهـل بغداد وحدوث مشكلات أمنية قوية، تصعب السيطرة عليها والاحاطة بها، فطفـق ينشط رويداً رويداً بين العلويين في بغداد ويؤلبهم على السلطة العباسية، بهـدف الانقلاب عليهم وانتزاع الحكم منهم، لكن الخليفة وأجهزتـه الأمنيـة كـانوا لـه بالمرصاد، فتابعوا حركاته أولاً بأول إلى أن وقع فـي الـشرك واودع الـسجن لدى(مسرور الخادم) صاحب سيفه، فوكل قوماً من خواصه بمراقبته، وهذا الرمز هو(محمد بن القاسم بن عمر بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب) يـدعو إلى الرضا من آل محمد(110) صلى الله عليه وسلم الذي تمكن من الهرب مستغلاً إنشغال الناس بأيام العيد والتهنئة عام 219هـ(112)، وادرك المعتـصم مـدى

خطورة هذا الرجل على أمنه ان افلت من قبضته(113)، فرصد جائزة ثمينة قدرها مائه ألف درهم لكل من يقبض عليه ويأتيه به، مدركا انه بالنار يمتحن الذهب، وبالذهب يمتحن الرجال، فرصده هذه الجائزة، كان امتحاناً لمدى فاعلية رجالات أمنه، غير ان الرمز العلوي كان دقيقاً في تحركاته حذر الوقوع في أيدي رجالات الأمن فتصرف بدهاء وحنكة، وانقذ نفسه من الهلاك المحتوم الذي كان ينتظره، وتوارى عن الانظار دون أن يعثر له على أثر(114)، فلم يعرف له الخبر، وقد إنقاد إلى امامته خلق كثير من الزيدية(115)، ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمداً لم يمت وأنه حي يرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وأنه مهدي هذه الأمة، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كورخراسان، وقول هؤلاء في محمد بن القاسم، نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن الحنيفة(116).

سياسة المعتصم الداخلية

أ/موقفه من الحركات المعارضة:

1- حركة الزط:

سبق وان قلنا ان منطقة البطيحة في العراق تعرضت إلى إضطرابات قام بها الزط أيام الخليفة المأمون(117).

وفي سنة 219هـ أرسل الخليفة المتعتصم جيشاً بقيادة عجيف بن عنبسة فحاصرهم وأحكم الحصار فاستسلم مئات منهم وقتل آخرون(118). وقرر الخليفة بعد ذلك تهجير آلالاف منهم إلى الثغور الشمالية ولاسيما ثغر عين زربة وخانقين(119). وبذلك خفت وطأتهم في الجنوب(120).

2- حركة تمرد في الجزيرة الفراتية وآذربيجان:

لاغرابة إذا قلنا ان جعفر بن مهرجيش الكردي قد تمرد في الجزيرة الفراتية وإقليم آذربيجان، ثم انتقل شيئاً فشيئاً بتمرده شطر أرمينية، وانضم إليه كثير من الناس في هذه الاقاليم(121)، فباتت حركته خطرة تخلق مشكلات أمنية كثيرة للدولة

العباسية(122). هذا وان رجالات المعتصم، لم يكونوا في غفلة عما يجري من هؤلاء المتمردين في هذا الاقليم أو ذاك، وبذلك تمكنت الدولة العباسية من قمعها، حفاظاً على أمن الخلافة الذي كان يتعرض للاهتزاز والزحزحة بلاريب، لو قدر لهذا المتمرد أن يؤدي دوره لانجاز ماكان يصبو إليه.

وفي سنة 227هـ وثبت دمشق وطردت واليها الجديد، ولكنه أخمد التمرد وهو في مهده بعد أن جاءته نجدة من العراق، وقد ذهب تقريباً الألف من أهل دمشق ضحية هذه الحركة(123).

وأخيراً وليس آخراً لامناص من التنويه لحركة أخرى قادها أبو حرب المبرقع اليماني في فلسطين لأسباب شخصية في سنة 227هـ، حين دخل بعض الجند داره وهو غائب عنها، وفيها إما زوجته وإما أخته، فأمنعته ذلك، فضربها بسوط كان معه، فالتقته بذراعها، فاصاب السوط ذراعها، فأثّر فيها، فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت وشكَتْ إليه مافعل بها، وأرته الأثر الذي بذراعها من ضَرْبه، فأخذ أبو حرب سيفَه ومشى إلى الجندي وهو غارّ؛ فضربه به حتى قتله، ثم هرب وألبس وجهه برقعاً كي لايعرف، فصار إلى جبل من جبال الأردن، فطلبه الخليفة فلم يعرف له خبر، وكان أبو حرب يظهر بالنهار فيصعد على الجبل الذي أوى إليه متبرقعاً، فيراه الرائي فيأتيه(124)، وأخذ يحرض الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ((ويذكر السلطان ومايأتي إلى الناس ويعيبه، فمازال على هذا الحال، حتى استجاب له قوم من حرّاثي أهل تلك الناحية وأهل القرى... فقال الذين استجابوا له: هذا هو السفيانيّ))(125)، فلما كثرت حاشيته من العامة دعا أهل المنازل من تلك النواحي وأطرافها ((فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية، منهم رجل يقال له ابن بَيْهس، كان مطاعاً في أهل اليمن ورجلان آخران من أهل دمشق، وبلغ عدد أتباعه بحسب رواية الطبري زهاء مائة الف رجل(126)، وأرسل عليه المعتصم أحد قواده وهو رجاء بن أيوب الحضاريّ، فطاوله حتى وقت الحصاد فتفرق أصحابه إلى مزارعهم وبقي في ألفين من رجالاته، فهاجمه رجاء

الحضاريّ قائد جيش الخليفة فأخذه وأنزله عن دابته، وجاء به إلى سامراء، وكان المعتصم في مرضه وهوعليل، فسجن في المطبق(127).

3- حركة المازيار:

المازيار أو ماه يزديار(128) بن قارن بن ونداهرز هو آخر الأمراء القارنيين بطبرستان(129) اخرجه شهريار بن شيرويه من طبرستان فالتجأ إلى الخليفة المأمون وأسلم وتسمى بمحمد. وفي سنة 210هـ توفي شهريار فرجع مازيار إلى طبرستان واسترجع الجبل، ثم ولاه المأمون طبرستان ورويان ودبناوند ولقبه الأصبهبذ(130).

وتشير المصادر التاريخية إلى ان المازيار كان طموحاً، فوطد حكمه بشكل محكم في طبرستان ساده الاستقرار والأمن، وكان ناوياً على ان ينفصل، ويفهم من روايات كل من الطبري وصاحب العيون أنه كان تابعاً لولاية خراسان التي كانت لبني طاهر بن الحسين، وانه كان يكره مايكره آل طاهر، فاستغل خير استغلال الخصومة بين الطاهريين وبين الأفشين، ليرفع راية الخلافة والصيد في ماء العكر(131)، إذ ان الأفشين كان يعلن بين حين وآخر من خلال إيحاآته انه يطمع بولاية خراسان، ويقول مينورسكي في هذا المضمار: ((وكان... يسمع من المعتصم أحياناً كلاماً يدل كل الدلالة على أنه كان يريد عزل واستبعاد آل المعتصم من خراسان))(132). فكاتب المازيار سراً وشجعه في توسيع شقة الخلاف آملاً أن لايستطيع آل طاهر إخصاعه فيرسله المعتصم ضده وعندئذ يتخذ ذلك ذريعة لانتزاع وإنسلاخ خراسان من قبضة الطاهريين(133).

ومما يدل على ان حركة لم تكن بهذه البساطة، بل كانت لحركة المازيار صلته وعلاقته بالأفشين بشكل من الأشكال على المدى البعيد(134).

ويلاحظ في روايات الطبري ان المازيار كان يكاتب بابك ويعرض عليه الدعم والنصره(135). ويقول المسعودي ان المازيار: ((أقر على الأفشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودَين اتفقوا عليه من مذاهب الثنويه

والمجوس))(136). ومن المعروف ان المازيار بن قارن بن بندار هرمس كان من الخرمية ذلك المذهب الذي يحرض الناس في ايران على التمرد والعصيان ضد سلطان العباسيين. ويذكر البلاذري عنه بوضوح انه ((كفر وغدر)). ويوضح ابن اسفنديار ان المازيار كان يمجد مزدك وبابك الخرمي والمجوس الآخرين الذين تربصوا للاسلام ومبادئه وأرادوا محو هذا الدين الحنيف، وفي سياق نفسه يصرح البغدادي في إحدى رواياته بأن المازيار كان خرمياً من المحمرة(137).

وتحدثنا كتب التاريخ وتدل بوضوح تدابير المازيار بعد حركته على نزعة الخرمية ذات الصبغة الاشتراكية، إذ اراد أخذ الأراضي من الملاكين والدهاقنة الكبار وتوزيعها على الفلاحين والمزارعين. هذا ولاننسى ان المازيار قد حث الفلاحين واغراهم بقتل أصحاب الضياع جميعاً قائلاً لهم هذا مانصه: ((إنسي قد أبحتكم منازل أرباب الضياع وحرمهم... فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك ثم حوزوا ماوهبت لكم من المنازل والحرم))(138).

ومما لاليس فيه ان حركة المازيار كانت حركة فارسية سياسية النزعة ترمي إلى التخلص من سلطان العرب، وإنها اتخذت المذهب الخرمي شعارها لتضم قوى الطبقات العامة والمسحوقة ضد بني العباس وقد انتبه الخليفة المعتصم إلى مغزاها حين ضبط عبدالله بن طاهر بن الحسين رسالة من الأفشين إلى المازيار ولاسيما بعد أن حصل هو على الرسائل الأخرى من المازيار نفسه(139).

وإذا خطونا خطوات أخرى صوب عهد المعتصم في مسألة المازيار، فقد تعاون مع الخليفة عبدالله بن طاهر للقضاء على هذه الحركة امتدت لعدة سنوات، واشاعت الفوضى في طبرستان وخراسان ومناطق أخرى، فأرسل حسن بن حسين ضد المازيار ليهاجم من جهة جرجان، وحيان بن جبله كلفه(140) مع أربعة آلاف فارس من جهة قومس على جبل شروين(141). وبالوقت نفسه ((وجة المعتصم محمد بن ابراهيم بن مصعب، ووجة معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن ابراهيم البوشنجي مولى الهادي، ويعرف بقوصرّة، يكتب بخبر العسكر، فوافى محمد بن

ابراهيم الحسن بن الحسين(142)، وزحفت العساكر نحو المازيار، حتى قربوا منه... وكان المازيار في مدينته في نفريسير، فدعا ابن عم المازيار الحقد الذي كان في قلبه على المازيار وصنيعه به وتنحيته إياه عن جبله))(143). أما المازيار فقد فقد شجاعته لما رأى جيوش العباسيين تحيط به من جميع الأطراف، وأتباعه خانوه، ووثق بأمان قوهيار(144) الذي سلمه إلى حسن بن حسين، يشبه إلى حدما أمان ابن هبيرة أيام أبي العباس، فأرسل المازيار إلى سامراء، حيث ضرب حتى مات، وصلب إلى جانب بابك الخرمي سنة 224هـ(145). وقد كان المازيار رغب الخليفة المعتصم في أموال كثيرة لاتحصى يحملها إليه إن هو مَنَّ عليه بالبقاء، فأبى قبول ذلك، وتمثل(147):

إن الأسود أسود الغيل همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ويقول المسعودي في إحدى رواياته(ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك، فتدانت جسماهما، وقد كان صلب في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية،وقد انحنت نحوهما خشبته)(148)،ففي ذلك يقول أبو تمام حبيب بن أوس من شعره(149):

ولقد شفى الأحشاء من برحائها   إذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن   لاثنين ثان إذ هما في الغار
فكأنما انحنيا لكيما يطويا   عن باطس خبراً من الأخبار.

ب/المعتصم وقتل الأفشين:

وتتحدث الروايات التاريخية ان قضية الأفشين هي قضية سياسية ألبست ثوباً دينياً مبرقعاً ومزركشاً، وهي ترجع بالأساس إلى تعاظم نفوذ وشأن الأفشين وطموحه اللامحدود حيث تجاوز حدوده المسموح بها له، فضلاً عن تربص وعداء بعض رجالات الدولة له(150).

لم ينكل ولن ينكب الخليفة المعتصم قائده المعروف ومكانته العسكرية على اثر تهمة واحدة فقط، بل تأني وصبر عليه كثيراً لم يقدم على أي إجراء ضده، حتى توافرت لديه بوادر كثيرة مع أدلة مقنعة دفعته إلى التخلص منه بعد أن تأكد من

تورطه في التعاون مع أعداء الخلافة هنا وهناك، ولاسيما بعد أن أخبره عبدالله بن طاهر بأن الأفشين خلال أيامه الأخيرة في حرب بابك الخرمي، كان لاتأتيه هدية ولاتجتمع عنده كمية من الدنانير إلاّ أرسلها سراً دون علم الخليفة ورجالاته الأمنية والمالية معاً إلى موطنه الأصلي أشر وسنة، ولما شعر المعتصم بخطورة الموقف، لم يركع في محراب العمل ولم يدفن القلب في ضريح الأمل، بل كتب إلى ابن طاهر ((يأمر بتعريف جميع مايوجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة))(151).

من المعروف ان صاحب خبر الخليفة كان يطلع المعتصم على وجود صلة وثيقة بين الأفشين وبين المازيار بن قارن المتمرد على السلطة، وحصل على رسائل الأفشين نفسها، من خلال رجالات حرسه الخاص، فزادت شكوكه أكثر فأكثر تجاهه مما شغل باله(152).

يقول اليعقوبي(153) كان أول سبب حبس الأفشين أن منكجور الفرغاني، خال ولد الأفشين وخليفته باذربيجان، خلع هناك، حيث جمع إليه أصحاب بابك، ومن ثم سار شطر ورثان، وما أن حط رحاله هناك أقدم على قتل محمد بن عبيدالله الورثاني وجماعة من أولياء السلطان، وقد كتب صاحب البريد إلى الخليفة يبين أن منكجور إحتجز أموالاً عظيمة في قرية بابك وفي بعض منازله فلم يعترف بذلك منكجور، ولما هم المعتصم عزله تمرد، وعندئذ طلب من الأفشين إحضار عامله، فوجه الأفشين جيشاً وأنيطت قيادته إلى أبي الساج لتأديب المتمرد ((ثم بلغ الخليفة أن منكجور إنما خلع بأمر الأفشين وإنما وجه بأبي الساج مدداً له))(154).

ونلاحظ ان كل تحركات الأفشين كانت مرصودة بشكل دقيق من رجالات أمن المعتصم، لذا تغيرت نية الأخير، وأحس الأفشين بذلك، وعلم كل علم تغير حاله عنده، فلم يَدْرِ مايصنع، فعزم على أن يهيّيء أطوافاً في قصره، ويهرب في يوم شغل المعتصم وقواده عن طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الاطواف إلى أرمينية والخزر إلى بلاد الترك ثم إلى أشر وسنة فلم يمكنه تنفيذ الفكرة وطال به الأمر(155).

ثم فكر ملياً يعمل على تنظيم وليمة للمعتصم ولقواده وأصحابه على الأقل لسمهم، والهرب بعدئذٍ إلى أشر وسنة ((وثم يستميل الخزر على أهل الإسلام))(156). فاستغرق التحضير وقتاً طويلاً، وانكشفت مؤامرته ونمي الخبر إلى المعتصم، فقبض عليه وسجنه في الجوسق؛ ثم بنى له حبساً مرتفعاً، وسماه لؤلؤة داخل الجوسق في رابع ذي القعدة سنة 225هـ(157). وكان الرجال ينوبونه، ثم أماته المعتصم جوعاً إذ ((أمر بمنع الطعام منه إلا القليل فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف خبز حتى مات سنة 226هـ؛ فلما ذهب به بعد موته إلى دار إيتاخ، أخرجوه فصلبوه على باب العامة ليراه الناس(158)، ثم طُرح بباب العامة مع خشبته، فأحرق وحُمِل الرّماد، وطرح في دجلة))(159).

ج/المعتصم والزنادقة:

وبعد مجيء الخليفة المعتصم إلى السلطة، خفف من تشدده تجاه الزنادقة، على الرغم من قتله اعداداً منهم أمثال (بابك ومازيار، وباطس ورئيس الزنادقة وعجيفاً وقارون قائد الرافضة)(160)، وكان يعفو عمن لم تثبت ادانته بالتهمة المنسوبة إليه بشكل قاطع من خلال مصادره الأمنية من العيون والارصاد(161).

وكانت عملية القتل والعفو مبنية على تقارير الأجهزة الأمنية التي كانت تصل إلى الخليفة بين الفينة والفينة، عبر قنوات خاصة منها صاحب الزندقة الذي كان لزاماً عليه أن يدقق ويحقق ببصيرة نافذة في هذه التقارير الواردة ضد المتهمين بالزندقة، ثم إعلام الخليفة بمضامينها لبيان رأيه فيها، وثمة حالاتٍ لم يقتنع خلالها الخليفة بمحتويات التقارير الأمنية، فكان يطلب من صاحب الزندقة ليكون بنفسه على البينة من الأمر، ثم يوعز إليه مراقبة منزل أحد المتهمين بذاته، كما جرى لأبي العتاهية الذي اتهم بالزندقة. وحين راقب صاحب الزندقة(حمدويه) في بيته بشكل سري وجده مستغرقاً في الصلاة جل الليل ثم عاد فأخبر الخليفة، بما رأى وترتب على ذلك انتصار الحق واندحار الباطل، ولولا حكمة ودراية الخليفة وعدم تسرعه في اصدار الأوامر، لذهب دم الرجل الشاعر هدراً(162).

- سياسته الخارجية:

المعتصم والبيزنطيون:

وتشير المصادر التاريخية إلى ان المأمون أمر سنة 217هـ بتحصين مدينة الطوانة لوضع حماية فيها، وأرسل لتحقيق هذا الغرض إبنه العباس في أول من يوم جمادي 218هـ للاشراف على البناء والتحصين(163)، ثم توفي الخليفة المأمون(164)، فتوقفت الحرب مع البيزنطيين لانشغال المعتصم بمشكلاته الداخلية، ولعله أخطأ حين أوعز بهدم ((ماكان أمر المأمون ببنائه بطوانة))(165) وحمل ماقدر عليه من الأسلحة والمؤن منها وأحرق الباقي، وأمر بصرف من كان المأمون أسكنهم من الناس إلى بلادهم، وبذلك أفسد خطة حكيمة وضعها سلفه لضرب البيزنطيين(166).

يقول الطبري ((ان يتوفيل بن ميخائيل خرج في مائة ألف وقيل أكثر وصار إلى زِبَطْرة، ومعه من المحمّرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق إبن ابراهيم بن مصعب جماعة رئيسهم باذسيس، وكان ملك الروم قد فرض لهم وزوّجهم وعدّهم مقاتلة ليستعين بهم في أهم أموره، فلما نزل ملك الروم زِبَطْرة ارتكب الفظائع وقتل من الرجال الذين فيها، وأحرق المدينة، وسبى الذراري والنساء التي فيها))(167). وكانت المذبحة عامة شملت اليهود والنصارى والمسلمين، ثم حاصر شمشاط وبعد أن هزم نجدة أتت لانقاذها، فتحها وأحرقها، وعمل الخراب في أرمينية الصغرى يميناً وشمالاً وسبى كثيراً من أهلها. ثم تقدم على ملطية ولكنه لم يدخلها بل اكتفى بأخذ الرهائن والاموال وتراجع لأنه كان يتوقع هجوم العباسيين. ومهما يكن من الأمر فان المصادر العربية تكثر من وصف فظائع وجرائم تيوفيل بن مخائيل من قتل وتحريق وتشريد وسبي وتمثيل في هذه الحملة(168). وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة إلاّ من لم يكن عنده دابة ولاسلاح، واستعظم المعتصم ذلك(169).

لما انتهى الخبر إلى المعتصم قام من مجلسه نافراً، حتى جلس على الأرض(170) فضج الناس واستغاثوا في المساجد والديار، ودخل ابراهيم بن المهدي عليه وذكره بما نزل وحثه بقصيدة على الجهاد فمنها(171):

ياغارة الله قد عانيت فانتهكي هتك النساء ومامنهن يرتكب(172)

هب الرجال على أجرامها قتلت مابال أطفالها بالذبح تنتهب

فخرج المعتصم وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر في غربي دجلة من جمادي الأولى سنة 223هـ ونصبت الأعلام على الجسر(173)، ونودي الامصار(174) بالنفير، فسارت إليه الجنود المتطوعة من سائر بلاد الاسلام. فأوعز الخليفة بارسال عُجيف بن عنبسه وعمر الفرغانيّ ومحمد كُوتة وجماعة من القواد في جيش إلى زِبَطْرة إعانة لأهلها، فحين سمع تيوفيل بقدوم عجيف، ترك ملطية واصطدم بالعباسيين(175)، فمزّق قوتهم الصغيرة.

ومما يستحق الذكر هو ان استعدادات الخليفة المعتصم كبيرة، فيذكر الطبري في احدى رواياته قائلاً: ((أنه تجهز جهازاً لم يتجهز مثله قبله خليفة قطّ، من السلاح والعدد والآلة وحياض الأدَم والبغال والرّوايا والقِرَبَ وآلة الحديد والنفط، وجعل على مقدمته أشناس، ويتلوه محمد بن ابراهيم، وعلى ميمنته ايتاخ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبدالله الخياط، وعلى القلب عُجيف بن عنبسة))(176).

ويتفق بعض المؤرخين أن المعتصم قرر قصد عمورية وهو في سامراء(177). بيد أن الأرجح هو ان ذلك ماتم استقرار رأيه عليه خلال الحملة(178).

ولقد أرسل الخليفة المعتصم الأفشين حيذر بن كاوس أمامه الى سَروُج، من درب الحدث وسار عامة جيشه إلى طرطوس(179). وهناك قسم الجيش من جديد. فأرسل أشناس من الدرب إلى الموضع الذي رأى أن يجتمع العساكر فيه، وهو أنقرة(180). ولقى ملك الروم الأفشين، فحاربه فهزمه الأفشين، وقتل أكثر أصحابه، وحماه رجل من المنتصرة، يقال له نصر في خلق من أصحابه، ولما حدث من الضباب والمطر الكثيف ولد فوضى في الجيش البيزنطي ولم يستطع أكثره معرفة

محل الامبراطور فتفرقوا عنه(181)، أما يتوفيل فقد خاف خيانة أتباعه الفرس فهرب من أرض المعركة مع بعض فلول أتباعه. وهذا ماكان بشأن موقف الامبراطور البيزنطي في ساحة الوغى، بينما أشعل الباقون النيران ليخدعوا العرب(182) وتراجعوا(183).

يقول اليعقوبي قد أوفد طاغية الروم وفداً إلى المعتصم قبل سقوط عمورية، يقول: ((إن الذين فعلوا بزبطرة مافعلوا تعدّوا أمري، وأنا أبنيها بمالي ورجالي))(184)، ويرجع من سبي من أهلها وان يطلق سراح جميع الأسرى على أن يعقد الصلح(185)، ولكن الخليفة رفض مقابلة وفده حتى سقطت عمورية ولم تثمر المفاوضات شيئاً(186).

وهنا تمكن أهمية موقف المعتصم حيث يبين المسعودي في احدى رواياته قائلاً: هذا نصها: ((أراد المسير إلى القسطنطينية، والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً، فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون))(187) وأطلع من خلال أجهزته الأمنية على مؤامرة في الجيش لقتل المعتصم، وكان الباعث على تلك المؤامرة القائد العربي عجيف بن عنبسة الذي أغضبه في الاقدام على هذه الفعلة اليتيمة جراء سوء تصرف القواد الترك تجاهه، فسخط على الخليفة تقريبه لهم، وأقنع عجيف العباس بالسعي للخلافة، وبث الدعاية له سراً في صفوف الجيش، ودبر مؤامرة اشترك فيها قواد عرب آخرون، ولكن المؤامرة اكتشفت خيوطها والمساهمون فيها، فنكل المعتصم بالمتآمرين أشد التنكيل(188)، إذ دفع العباس بن المأمون إلى الأفشين مقيداً ليسيره...

وقيل أن الأفشين أطعمه طعاماً كثير الملح في يوم شديد الحرّ، ومنعه الماء، فحمل إلى مدينة منبج فمات، فدفن بها(189)، وسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنه كان سبب معصيته، وحمله من أدنه في الحديد الثقيل، في فيه لبود قد خيّطت عليه، وفي عنقه غل عظيم، فلما صار بموضع يقال له باعَيْنَاثا(190)، على مرحلة من نصيبين، مات، ودفن بها(191)، وسأل إبنه صالح بن عجيف أن لاينسب

إليه، وأن يدعى صالحاً المعتصميّ، ولعنه، وبريء منه (192). ولعل أسوأ أثر للمؤامرة أنها زادت في حذر الخليفة المعتصم من العرب في الجيش وزادت في تقريبه للاتراك واعتماده عليهم(193).

واستمرت المناوشات بين العرب والبيزنطيين حتى سنة 223هـ حين أرسل الامبراطور البيزنطي تيوفيل بن مخائيل هدايا إلى الخليفة واقترح عليه تبادل الأسرى، ولم يرض المعتصم بحصول الفداء رسمياً(194)، ولكنه أرسل هدايا أكثر ووعد بأن يطلق ضعف عددَ الأسرى المسلمين الذين يطلقون، وعلى هذا الأساس جرت الهدنة(196).

ولما ورد المعتصم سامراء، كان دخوله إليها يوماً مشهوداً وامتدحه أبوتمام حبيب بن أوس الشاعر بقصيدته المشهورة، التي أولها(197):

السيفُ أصدق أنباء من الكتب في حَدّه الحدُّ بين الجد واللعب
والعلم في شُهُب الأرماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية؟ أم أين النجوم؟ وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرُّصا وأحاديثا ملَفقة ليست بعجم إذا عدت ولا عرب
يايوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب

وفاة المعتصم:

احتجم الخليفة في أول يوم من المحرم سنة 227هـ(198)، فأصيب عقب ذلك بعلته التي قضت عليه يوم الخميس لثماني ليال مضت من شهر ربيع الأول من تلك السنة(199)، ورثاه محمد بن عبدالملك الزيات، جامعاً بين العزاء والهناء، فقال(200):

قد قلت إذْ غيبوك واصطفقت عليك أيدٍ بالتراب والطينِ
أذهَبْ فنعم الحفيظ كنت على الدّنيا ونعم الظهيرُ للدين
لاجبَرَ اللهُ أمةً فَقَدَتْ مثلكَ إلاّ بمثل هارون

وصلى عليه ابنه هارون، ودفن في قصره المعروف بالجوسق(201)(الخاقـــاني) وكانت سنّهُ 49 سنة(202)، وقال المسعودي وهو: ابن ثمان وأربعين سنة، وقيـــل: ست وأربعين سنة(203).

وقال مَرْوان بن أبي الجنوب وهو ابن أبي حفصة(204):

أبو إسحاقَ ماتَ ضحّى فمتنا   وأمسينا بهــــارون حُيِينا
لئن جاءَ الخميسُ بما كرهــنا   لقد جاءَ الخميس بماهوينا

ولاية العهد:

ولي المعتصم عهده، ابنه هارون، ولم يجعل معه في الولاية غيره(205).

هوامش الفصل العاشر:

1- اليعقوبي:المصدر السابق 331/2؛ المسعودي: التنبيه، ص352؛ ومروج 46/4؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص333.

2- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص209.

3- المسعودي: التنبيه، ص355.

4- عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص177.

5- ابن خلكان: المصدر السابق 55/2.

6- مؤلف مجهول: العيون، ص73.

7- السيوطي: المصدر السابق ، ص334.

8- فاطمة محمود: موسوعة الخلفاء، 266/1.

9- الدينوري: المصدر السابق ، ص296.

10- اليعقوبي: المصدر السابق 331/2.

11- مؤلف مجهول: العيون، ص1-2؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص175.

12- اليعقوبي: المصدر السابق 331/2؛ المسعودي: المصدر السابق 46/4؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، 259/1.

13- الطبري: المصدر السابق 119/9؛ المسعودي: التنبيه، ص355؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص334.

14- الجاحظ: مناقب الترك، القاهرة، 1914م، ص43؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص335.

15- القاطول: اسم نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر. ياقوت: المصدر السابق 297/4. يراجع: الطبري: المصدر السابق 17/9-18.

16- المسعودي: التنبيه، ص355؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص336.

17- المسعودي: مروج 53/4-54.

18- نفسه: التنبيه، ص356؛ ابن الأثير: المصدر السابق 443/6.

19- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص24ومابعدها.

20- نفسه: تاريخ 332/2؛ المسعودي: المصدر السابق 54/4-55؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، 263/1.

21- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص178؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 268/1؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية 46/2-48.

22- المسعودي: المصدر السابق 55/4؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص335-336.

23- اليعقوبي: المصدر السابق ، ص23؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص178.

24- الكندي: الولاة والقضا، ص188.

25- اليعقوبي: البلدان، ص23.

26- المسعودي: المصدر السابق 53/4.

27- ابن خرداذبة: المسالك والممالك، طبعة بريل، 1889م، ص29.

28- بارتولد: تاريخ تركستان، ص212.

29- عبدالرحمن بن سنبط الاربلي: المصدر السابق ، ص162.

30- المسعودي: المصدر السابق 54/4.

31- بارتولد: المرجع السابق ، ص212.

32- محمد عبده: الاسلام والنصرانية مع أهل المدينة، ص112-113؛ فاطمة محمود: المرجع السابق ، 267/1.

33- فاطمة محمود: المرجع السابق 267/1.

34- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص117-118.

35- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص179.

36- ابن النديم: المصدر السابق ، ص482.

37- ابن الجوزي: المصدر السابق 112/5.

38- الطبري: المصدر السابق 667/8.

39- ابن النديم: المصدر السابق ، ص482؛ البغدادي: المصدر السابق ، ص251.

40- الدينوري: المصدر السابق ، ص588-589.

41- المسعودي: المصدر السابق ، ص355.

42- ابن النديم: المصدر السابق ، ص482.

43- نفسه: ص482.

44- نفسه، ص480.

45- المقدسي: البدء 24/4.

46- المسعودي: المصدر السابق ، ص35.

47- ابن النديم: المصدر السابق ، ص482.

48- نفسه، ص480.

49- نفسه، ص482؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص80.

50- البغدادي: المصدر السابق ، ص251.

51- المقدسي: المصدر السابق 24/4.

52- البغدادي: المصدر السابق، ص252؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص180-181.

53- ابن النديم: المصدر السابق ، ص482.
54- الطبري: المصدر السابق 109/9.
55- نفسه 109/9.
56- ابن الجوزي: المصدر السابق 110/5؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص181.
57- المقريزي: المصدر السابق 109/1-110.
58- الذهبي: المصدر السابق 104/1.
59- المسعودي: المصدر السابق ، ص354؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص181.
60- البغدادي: المصدر السابق ، ص252.
61- المقدسي: المصدر السابق 24/4.
62- البذ: كورة من آذربيجان وأران.
63- ياقوت: المصدر السابق ، 569/2.
64- نفسه: تاريخ 333/2.
65- نفسه 333/2.
66- الطبري: المصدر السابق 667/8.
67- البغدادي: المصدر السابق ، ص266.
68- المسعودي: المصدر السابق 55/4.
69- المسعودي: المصدر السابق 55/4؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص182.
70- اليعقوبي: المصدر السابق 333/2.
71- نفسه 333/2.
72- البغدادي: المصدر السابق ، ص368؛ ابن الجوزي: المنتظم 11/5.
73- الطبري: المصدر السابق 12/9.
74- اليعقوبي: المصدر السابق 332/2.
75- نفسه 333/2.
76- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص241؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص183.
77- الدينوري: المصدر السابق ، ص592-593.
78- مؤلف مجهول: العيون، ص9؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص183.
79- الطبري: المصدر السابق 556/8، 11/9.
80- نفسه 667/8.
81- اليعقوبي: المصدر السابق 332/2-333.
82- نفسه 332/2.

83- الدينوري: المصدر السابق ، ص589؛ ابن النديم: المصدر السابق ، ص481.

84- المسعودي: المصدر السابق 55/4-56؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص184.

85- الطبري: المصدر السابق 667/8-668؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص184.

86- الدينوري: المصدر السابق ، ص590؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 368/1-369.

87- الطبري: المصدر السابق 11/9.

88- الدينوري: المصدر السابق ، ص590.

89- الطبري: المصدر السابق 13/9؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص183.

90- الطبري: المصدر السابق 13/9.

91- نفسه 14/9.

92- نفسه 14/9.

93- نفسه 14/9.

94- الطبري: المصدر السابق 31/9.

95- المسعودي: المصدر السابق 55/4.

96- الطبري: المصدر السابق 51/9؛ المسعودي: المصدر السابق 55/4.

97- الطبري: المصدر السابق 51/9.

98- الدينوري: المصدر السابق ، ص593.

99- ابن خلدون: المصدر السابق 69/3.

100- الطبري: المصدر السابق 52/9-54؛ المسعودي: المصدر السابق 54/4-55.

101- اليعقوبي: المصدر السابق 435/2؛ الطبري: المصدر السابق 52/9.

102- الدينوري: المصدر السابق ، ص593-594.

103- الطبري: المصدر السابق 55/9.

104- أبوتمام ديوانه 316/3.

105- المسعودي: المصدر السابق 58/4-59.

106- ابن الأثير: المصدر السابق 443/6.

107- اليعقوبي: المصدر السابق 311/2، 318؛ ابن الأثير: المصدر السابق 439/6؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص355.

108- الأزدي: المصدر السابق ، ص341-342؛ اليعقوبي: المصدر السابق 331/2؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص95-96.

109- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص95-96.

110- الطبري: المصدر السابق 7/9.

111- محمد الخضري: المرجع السابق، ص223.

112- اليعقوبي: المصدر السابق 2/331-332؛ الطبري: المصدر السابق 9/8.

113- المسعودي: المصدر السابق 4/52.

114- الطبري: المصدر السابق 9/8؛ المسعودي: المصدر السابق 4/52.

115- الطبري: المصدر السابق 9/8؛ ابن الاثير: المصدر السابق 6/443؛ ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص215؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص100.

116- المسعودي: المصدر السابق 4/52.

117- الطبري: المصدر السابق 8/581؛ ابن الأثير: المصدر السابق 6/443-444؛ ابن خلدون: المصدر السابق 3/257.

118- الطبري: المصدر السابق 9/8-9؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص186-187.

119- الطبري: المصدر السابق 9/10.

120- الجاحظ: البخلاء، ص322؛ البلاذري: المصدر السابق 2/462؛ اليعقوبي: المصدر السابق 2/331-333؛ الطبري: المصدر السابق 9/10؛ المسعودي: التنبيه، ص355؛ ابن الأثير: المصدر السابق 6/446.

121- المسعودي: المصدر السابق ، ص355.

122- نفسه، ص355.

123- الذهبي: مختصر دول الاسلام، حيدر آباد الدكن، 1327هـ، 1/106؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص193.

124- الطبري: المصدر السابق 9/116.

125- نفسه 9/116.

126- نفسه 9/117.

127- نفسه 9/116-118؛ مؤلف مجهول: العيون، ص72؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص193.

128- البلاذري: المصدر السابق 2/247.

129- المسعودي: المصدر السابق 4/61.

130- الطبري: المصدر السابق 9/100.

131- نفسه 9/81.

132- مينورسكي: دائرة المعارف الاسلامية 2/425؛ مادة مازيار.

133- الطبري: المصدر السابق 9/80-81؛ مؤلف مجهول: الغيون، ص48-50.

134- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص188.

135- الطبري: المصدر السابق 9/80-81؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص188.

136- المسعودي: المصدر السابق 4/61.

137- البغدادي: المصدر السابق ، ص252؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص188.

138- الطبري: المصدر السابق 9/81؛ مؤلف مجهول: العيون، ص50؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص189.

139- مؤلف مجهول: العيون، ص50؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص189.

140- الطبري: المصدر السابق 9/89.

141- نفسه 9/97؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص189.

142- الطبري: المصدر السأبق 9/90-92.

143- نفسه 9/98.

144- نفسه 9/96.

145- نفسه 9/100.

146- المسعودي: المصدر السابق 4/61؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص189.

147- المسعودي: المصدر السابق 4/61.

148- نفسه 4/61.

149- نفسه 4/61.

150- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص189.

151- الطبري: المصدر السابق 9/104-105.

152- نفسه 9/104.

153- اليعقوبي: المصدر السابق 2/334.

154- نفسه 2/33؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص190.

155- الطبري: المصدر السابق 9/105-106.

156- نفسه 9/106.

157- نفسه 9/106.

158- المسعودي: المصدر السابق 4/62.

159- اليعقوبي: المصدر السابق 2/335؛ الطبري: المصدر السابق 9/114.

160- الخطيب البغدادي: المصدر السابق 3/343؛ الصفدي: الوافي 5/140؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص117.

161- ابو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق 8/490.

162- نفسه 4/37؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص118.

163- الطبري: المصدر السابق 631/8.

164- اليعقوبي: المصدر السابق 327/2-328؛ الطبري: المصدر السابق 646/1.

165- الطبري: المصدر السابق 631/8ومابعدها.

166- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص194.

167- الطبري: المصدر السابق 56/9.

168- المسعودي: المصدر السابق 59/4؛ مؤلف مجهول: العيون، ص29؛ ابن العبري: المصدر السابق ، ص242؛ ابن الطقطقي: المصدر السابق ، ص209.

169- الطبري: المصدر السابق 56/9.

170- اليعقوبي: المصدر السابق 334/2.

171- المسعودي: 59/4؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص231.

172- المسعودي: المصدر السابق 60/4.

173- الطبري: المصدر السابق 59/9؛ المسعودي: المصدر السابق 60/4.

174- اليعقوبي: المصدر السابق 334/2.

175- الطبري: المصدر السابق 59/9.

176- نفسه 57/9.

177- الطبري: المصدر السابق 57/9؛ مؤلف مجهول: اليعون، ص30.

178- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص210؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص231.

179- الطبري: المصدر السابق 57/9؛ المسعودي: المصدر السابق 60/4.

180- الطبري: المصدر السابق 57/9؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص195؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص119.

181- المسعودي: المصدر السابق 60/4.

182- الطبري: المصدر السابق 61/9؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص232.

183- اليعقوبي: المصدر السابق 334/2؛ مؤلف: العيون، ص33؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص196.

184- اليعقوبي: المصدر السابق 334/2.

185- نفسه 334/2.

186- الطبري: المصدر السابق 69/9؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص196.

187- الطبري: المصدر السابق 76/9-77، 78؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص119.

188- نفسه 76/9-77؛ أحمد مختار: المرجع السابق ، ص119.

189- الطبري: المصدر السابق 77/9.

190- نفسه 77/9.

191- نفسه 77/9.

192- اليعقوبي: المصدر السابق 335/2.

193- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص197؛ فيلب حتي: تاريخ العرب، لندن، 1937، ص301؛

Muir, W: The Caliphate Ed. By T. H. Weir Edinburgh, 1922, p. 517.

194- الطبري: المصدر السابق 69/9.

195- اليعقوبي: المصدر السابق 334/2.

196- عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص197.

197- السيوطي: المصدر السابق ، ص336؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص232-233.

198- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص119.

199- اليعقوبي: المصدر السابق 336/2.

200- الطبري: المصدر السابق 118/9؛ السيوطي، المصدر السابق ، ص339.

201- المسعودي: المصدر السابق 63/4.

202- اليعقوبي: المصدر السابق 336/2؛ ابن الأثير: المصدر السابق 336/6.

203- المسعودي: المصدر السابق 63/4-64.

204- الطبري: المصدر السابق 120/9.

205- اليعقوبي: المصدر السابق 336/2؛ الطبري: المصدر السابق 123/9؛ محمد الخضري: المرجع السابق ، ص234.

الفصل الحادي عشر

الواثق 227-232هـ

ولد الواثق سنة 196هـ بطريق مكة وأمه رومية اسمها قراطيس(1)، ونشأ مقتدياً بعمه المأمون في صفاته واتجاهاته، وكانت له شخصية كبيرة وعقل راجح وبصيرة في تدبير الأمور، وقد ولاه والده الحكم في بغداد عندما انتقل مع جيشه إلى سامراء، وعهد له بولاية العهد، فتولى الخلافة عقب موت المعتصم سنة 227هـ(2).

ويقول عنه ابن طباطبا: ((كان الواثق من أفاضل خلفاء بني العباس، وكان لبيباً فطناً شاعراً، وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته، ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني عمه الطالبيين وبرهم))(3).

لقد احتل القواد الاتراك في حكم الواثق مكانة مرموقة(4)، وقد خلع الواثق على أشناس لقب السلطان، وألبسه وشاحين بالجوهر(5).

وبذلك اعترف له بحقوق تعدو نطاق المهام العسكرية الخالصة، بل تجاوز حدود صلاحيات المناط له، حتى إذا توفى الواثق في سن مبكرة كان وصيف خلف أشناس قد أمسى من القوة بحيث يستطيع ان يرفع إلى العرش الرجل الذي يرتضيه، ولاسيما ان الواثق لم يرشح أحداً من بعهده(6).

وقد نصب وصيف باديء الأمر محمد بن الواثق خليفة على المسلمين، وكان لايزال دون سن الرشد، ولكن لم تمض الامدة حتى استبدل به عمه جعفراً المتوكل على الله، وقد حاول الخليفة الجديد ان يتخلص من صانعي الملوك فأوقع بابن الزياد وقضى على إيتاخ، ولكن محاولته لم تتم لأن الاتراك ثاروا ضده مع ابنه المنتصر واستطاعوا قتله، واكتمل لهم بذلك السلطان، وبدأ عصر ضعف الخلافة(7).

الحركات المناهضة أيام الواثق:

ومن الملاحظ ان حركات قوية قد هبت في عهد الواثق في مناطق متعددة من الجزيرة العربية، فبنوا سليم من قيس عيلان أشعلوا حركة تمرد وفساد حيث كانوا ينزلون على مقربة من المدينة المنورة، وعاثوا في طريق الحج، وقطعوا الطريق، ونصبوا رجلاً من سليم يقال له عُزيزة الخُفافيّ، وسلمّوا عليه بالخلافة، فوجه لهم الواثق خير قواده(بغا الكبير) سنة 230هـ، وأوعزه أن يقتل كل من وجده من الاعراب، فقتل منهم خلقاً كثيراً(8)، وصلبهم على الشجر، وأسر قسماً منهم وحبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة(9)، فتمكنوا من الهرب من السجن، فوثب عليهم أهل المدينة، فأعادوا الأمن إلى نصابه وقبضوا على المردة العصاة وأعملوا السيف على رقاب بعض المجرمين، وأخمدوا كل الفتن وهي في المهد، تم احتوائها وانقاذ المنطقة من عبثها(10).

وتكررت الحالة في أرمينية، حيث تحرك بها قوم من العرب والبطارقة والمتغلبين على الجبال وباب الأبواب، بسبب ضعف الولاة فيها، فولى الخليفة خالد بن يزيد بن مزيد، وضم إليه كوراً من كورديار ربيعة، فسار في جيش جرار، باتجاه المتغلبين بتلك البلاد، وكتب أغلبية إليه التزام الأكثرية في طاعة الخليفة والخلافة معاً، ووجّهوا إليه الهدايا، فقال بحسب رواية اليعقوبي مانصه: ((لا أقبل إلاّ هدية من جاءني، فزاد في ذلك وحشتهم، وكتب إلى اسحق بن اسماعيل يأمره أن يقدم عليه، فلم يفعل، فزحف إليه، فكاد أن يعطي اسحاق بيده))(11).

وفي هذه الظروف اعتل خالد، وبقى أياماً حتى أختطفته يد المنون، فحمل في تابوت إلى دبيل، فدفن فيها، وافترق أصحابه وأتباعه، فعاد البلد في وضعه الأمني إلى أقبح أحواله، فولى الواثق مكانه ابنه محمد بن خالد الذي تمكن ضبط الأمن من كل الجهات، واتخاذ الاجراءات المناسبة ضد المنتفضين حماية للأمن العام والخاص(12).

ان سياسة الخليفة الواثق هذه كانت تستهدف الحفاظ على الدولة العباسية ضد أي منافس، وبما ان محمد بن عمرو الشيباني الخارجي قد خرج بديار ربيعة، ومعه مابين ثلاثمائة، أو أربعمائة من الخوارج، فصار مع أصحابه إلى سنجار، فعاث فيها فساداً، ثم انهزم إلى ناحية الموصل، وكلف الواثق أبا سعيد محمد بن يوسف لمطاردته والقضاء عليه، فتطلع إليهم وفتك بهم دون رأفة خشية تزايد نفوذهم وسطوتهم في المنطقة واستفحال أمرهم بين الناس، فتبعه أبوسعيد، فأسره وأدخله نصيبين على بقرة وحمله محبوساً إلى الواثق، فكتب إليه: ماينبغي أن يُقتل، فإنه لن يخرج خارجيّ مادام حيّاً، فلم يزل محبوساً أيام الواثق(13)، ونصبت رؤس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك في سامراء(14).

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن علاقة الخليفة الواثق بأمر الزندقة، ولربما يعود السبب إلى عدم وقوع المصادمات المربكة للوضع الأمني لمدينة في عهده، كالتي حدثت في العهود السابقة(15).

اعترى إدارة الواثق الضعف والوهن، وتغشت الرشوة في عهده، وكثر الفساد، وتمتع ولاة الاقاليم بنفوذ كبير(16).

الواثق والاعتزال:

لما ركن المعتصم إلى المصير المحتوم الذي ينتظر كل كائن حي، وانتقلت السلطة إلى ابنه الواثق، سار على سياسة والده في التعامل مع حركة الاعتزال(17)، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين(18)، قبل توظيفهم وتسليم المسؤولية الدينية إليهم، للتثبت من اعتناقهم الاعتزال، وإذا ثبت تعلقهم بما هو عليه سهل أمرهم وتسلموا وظائفهم، وبالضد من ذلك كان يتم استبعادهم، لأن هؤلاء لهم تأثيرهم الملحوظ على الناس من الناحية الدينية، إذ يستجيب لكلامهم ويسيرون في ركابهم(91).

وفي عهد الواثق قتل أحمد بن نصر الخزاعي عام 231هـ، بعد أن دبر حركة للثورة على الخليفة في بغداد، وكان أصحاب الحديث ومنكرو خلق القرآن قد

قصدوا ابن نصر دون غيره، والتفوا حوله، لما كان لأبيه وجده من كبير الأثر في دولة بني العباس، لاسيما عام 201هـ، إذ كان لأسلافه جمع غفير من الانصار المنادين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبقيت هذه الجذور في النفوس متأصلة ولما تحرك أحمد بن نصر الخزاعي، لقيت دعوته استجابة واسعة النطاق من العامة(20).

ونظم الخزاعي دعوته فانضم إليها عدد من القواد، الا ان أمره قد افتضح قبل ساعة الصفر للتنفيذ بليلة واحدة، فاعتقل من قادة الحركة من اعتقل وطارد الذين لم يقعوا في الشرك وبعد مداهمات متواصلة لبيوت هؤلاء القادة، وجد في منزل أحدهم علمان أخضران فيهما حمرة(21).

وكان إكتشاف هذه المؤامرة مناسبة للواثق ليشن حملة على أصحاب الحديث من الحنابلة في السجون، ومنع عنهم الصدقة التي تعطى للسجناء، كما منع زيارتهم وأثقلهم بالحديد، وتولى قتل أحمد بن نصر بيده(22)، لكونه رمز الزعامة المعارضة ومصدر خطر أكيد على أمنه وأمن سلطته(23).

ولم يكتف الخليفة الواثق بالقضاء على الرأس المدبر للحركة بل تابع بعد مقتل زعيمهم مشايعيه المنخرطين في التنظيمات السرية ضد السلطة(24)، فتم القبض على عدد من قبل رجالات الحرس الخاص للخليفة وأجهزة امنه، وكان هذا العدد نحواً من (تسعة وعشرين) مشايعاً فوضعهم في السجون(25)، وكانوا يتلقون معاملة أقسى بكثير من تلك التي يلقاها بقية السجناء فمنعت عنهم الصدقات والزيارات، وتم تكبيلهم بالأصفاد الثقيلة زيادة في التنكيل والتعذيب ومنعهم من الفرار، وقدمات بعضهم في السجن نتيجة هذه القسوة العنيفة التي كانت تمارسها أجهزة السلطة الأمنية ضدهم، ومن هذا يتضح مدى يقظة الدولة وحذرها وتحسبها لخطورة هذه الجماعة على أمنها، وكيفية مكافحتها قبل استفحال أمرها(26).

وهكذا كانت قضية خلق القرآن السبب وراء غضب الناس وعصيانهم، حتى قيل ((شغل الواثق نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم، وأوجد لهم سبيل الطعن عليه))(27).

ولكن هذه الحركة التي قام بها أحمد بن نصر الخزاعي، وان كانت قد فشلت في الوقوف بوجه السلطة، فانها بلا ريب كان لها تأثيرها على الناس، من خلال اثارة البلبلة والقلاقل ضد السلطة، وجعلت رجالاتها الأمنية يبدون وكأنهم عاجزون عن مجابهة الفوران الكبير الذي أحدثته الحركة المناوئة للاعتزال(28).

ففي الوقت الذي كان المأمون يزج بمن لايعارض فكرة الاعتزال وخلق القرآن، إلا أن الناس الآن قد عادوا إلى ماكانوا قد ألفوه من قبل ورفضوا فكرة خلق القرآن، ورجعوا إلى الاعتقاد بأزليته وهو أمر أقرب إلى تصديق العامة له، بالنظر للشواهد التاريخية السابقة(29).

ويبدو أن الخليفة الواثق، بدأ يعيد النظر في هذه القضية، بعد مقتل أحمد بن نصر الخزاعي وصلبه بسامراء، وتخلى عن مبدأ الاعتزال(30) شيئاً فشيئاً، حتى انه قد تركه في آخر أيامه، بعد ان أدرك ماترتب على تلك المحنة(31)، من مشكلات أمنية للدولة والخليفة معاً وتيقن بأن تلك العقيدة، جعلت الخلافة العباسية في وادٍ والأمة الاسلامية في وادٍ آخر، وعمت الاضطرابات بين الناس وهددت أمن الخليفة(32).

ومما يدل على تبدل موقف الخليفة الواثق، كما يقول السيوطي؛ أن رجلاً مكبلاً بالحديد، هو أبوعبدالرحمن عبدالله بن محمد الأزدي، دخل على الخليفة الواثق، وكان معه نفريشايعونه في اعتقاده، وكان المفروض امتحانهم في مسألة خلق القرآن، فبادر عبدالرحمن، وهو مقيد موجهاً سؤاله إلى القاضي أبي دؤاد فيما يخص خلق القرآن، إلاّ ان القاضي أبا دؤاد، لم يستطع الرد المقنع للواثق، مما دفع الخليفة إلى عدم معاقبته وامتحانه، بل أنه كافأه بمبلغ من المال، ونتيجة لهذه الحادثة، كف الخليفة الواثق من إمتحان العلماء والفقهاء ومعاقبتهم لمواقفهم

المذهبية، ولذلك قلت الاضطرابات وشعر الناس بنوع من الاطمئنان على أمــنهم مهما كانت مواقفهم العقائدية(33).

وفـــاته:

تشير الروايات التاريخية أن عِلّتَه التي توفّى بها كانت الاستسقاء فعولج بالإقعاد في تنُّور مسخن، فوجد لذلك راحة وخفّة مما كان به، فأمرهم من غد ذلك اليــوم بزيادة في إسخان التّنور، ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله، فحمي عليه، فأخرج منه، وحُيرٌ في محفة، وحضره جماعة مــن أصــحابه، فلــم يعلِموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفّة، فعلموا أنه قد مات، لست بقين من شهر ذي الحجة عام 232هــ ودفن في قصره بالهاروني، وكان الــذي صــلّى عليــه وأدخله قبرهَ وتولّى أمْره أحمد بن أبي دؤاد(34).

وقيل له في البيعة لإبنه، فقال: لايراني الله أتقلدها حيّاً وميتاً(35).

هوامش الفصل الحادي عشر:

1- اليعقوبي:المصدر السابق 336/2؛ الطبري: المصدر السابق 123/9، 151؛ المسعودي: المصدر السابق 65/4؛ التنبيه: ص361.

2- الطبري: المصدر السابق 118/9-119.

3- ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص208؛ فاطمة محمود:المرجع السابق 270/1.

4- الكندي: المصدر السابق ، ص194؛ المقريزي: الخطط 94/1؛ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق ، بغداد، 1986م، ص360.

5- الطبري: المصدر السابق 124/9، 174.

6- نفسه174/9؛ فاروق عمر: المرجع السابق ، ص360.

7- فاطمة محمود: المرجع السابق 270/1؛ كارل بروكلمان: المرجع السابق 52/2-53.

8- فاروق عمر: المرجع السابق ، ص280-281.

9- الطبري: المصدر السابق 131/9.

10- اليعقوبي: المصدر السابق 338/2؛ الطبري: المصدر السابق 129/9-131؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 270/1-271.

11- اليعقوبي: المصدر السابق 338/2.

12- نفسه 338/2-339.

13- نفسه 339/2؛ الطبري:المصدر السابق 140/9.

14- الطبري: المصدر السابق 140/9.

15- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص118.

16- محمد سهيل: المرجع السابق ، ص170.

17- المسعودي: المصدر السابق 66/4.

18- اليعقوبي: المصدر السابق 339/2.

19- الطبري: المصدر السابق 136/9-137؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص367.

20- الطبري: المصدر السابق 136/9-137؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص367.

21- اليعقوبي: المصدر السابق 339/2؛ الطبري: المصدر السابق 136/9-137؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص367؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص132.

22- المسعودي: المصدر السابق 76/4.

23- الطبري: المصدر السابق 9/138-139؛ عبدالرزاق المناوي: الكواكب الدرية، ص204.

24- الطبري: المصدر السابق 8/562؛ مسكوية: تجارب ، 1871م، 6/257-258؛ السيوطي، المصدر السابق ص393؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص295؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق ، ص35-36.

25- الطبري: المصدر السابق 9/139؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص393.

26- الطبري: المصدر السابق 9/139؛ مسكويه: المصدر السابق 6/529-532؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص394؛ أحمد عبدالعزير: المرجع السابق ، ص133.

27- المسعودي: التنبيه، ص361.

28- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص133؛ نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، بيروت، 1985م، ص75.

29- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص134؛ نادية حسني: المرجع السابق ، ص75.

30- اليعقوبي: المصدر السابق 2/339.

31- مسكويه: المصدر السابق 6/529-531؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص399.

32- السيوطي: المصدر السابق ، ص394؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص134.

33- السيوطي: المصدر السابق ، ص394؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص134.

34- الطبري: المصدر السابق 9/150، 154.

35- اليعقوبي: المصدر السابق 2/340.

الفصل الثاني عشر:

المتوكل 232-247هـ

ولادته ونشأته:

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع(1). ولد في شوال سنة 206هـ بفم الصلح(2) ولم يكن بالمرضي عنه في حياة أخيه حتى كان الواثق قد وكل به رجلين هما عمر بن فرج الرخجي ومحمد بن العلاء الخادم ((فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت))(3) وقد جر عليه ذلك انحراف الوزير محمد بن عبدالملك الزيات، فكان لايلقاه لقاء حسناً وكانت صكاك رزقه لاتختم له إلا بعناء حتى أن عمر بن فرج أخذ منه الصك مرة فرمى به في صحن المسجد الذي كان عمر يجلس فيه وكان الذي يصلح من شأنه عند الواثق أحمد بن أبي دؤاد(4).

ولاية العهد ووفاته:

ولما توفي الواثق ولم يكن عهد إلى أحد، اجتمع كبراء الدولة: أحمد بن أبي داود وإيتاخ(5) ووصيف وعمر بن فرّج وابن الزيات وأحمد بن خالد أبوالوزير، فعزموا على البَيْعة لمحمد بن الواثق، وهو غلام أمْرَد، فألبسوه درّاعة سوداء قلنسوة رصافية، فإذا هو قصير، فقال لهم وصيف(6): أما تتقون الله! تولُّون مثل هذا الخلافة؛ وهو لايجوز معه الصلاة!(7).

ثم اشار ابن أبي دؤاد بجعفر بن المعتصم فاتفق رأيهم عليه وأحضروه، فألبسه احمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبله بين عينيه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه الحاضرون وكان أول من بايعه سيما التركي المعروف بالدمشقي، ووصيف التركي(8). ولقب بالمتوكل على الله ثم بايعته العامة وتم ذلك كله في اليوم الذي توفي فيه الواثق وهو 24ذي الحجة سنة 232هـ، واستمر خليفة إلى أن قتل ليلة الخميس رابع شوال سنة 247هـ، فكانت مدته(14)سنة وتسعة أشهر

وعشرة أيام وكانت سنه حين قتل 41سنة(9).ان أهمية مجيء المتوكل للخلافة تكمن في أن القادة العسكريين استطاعوا لأول مرة في التاريخ العباسي أن يجعلوا كلمتهم هي النافذة في أمر سياسي مهم الا وهو اختيار الخلافة(10).

وعليه فقد جاء المتوكل إلى دست الحكم سنة 232هـ بترشيح ومساندة القادة العسكريين الاتراك في الجيش، وكنتيجة للمنافسة الحادة بين القادة الاتراك وبين المجموعة التي يرأسها الوزير ابن الزيات. وقد سقط الأخير بعد نحو شهر من تسلم الخليفة الجديد الحكم وبدأت فترة من الاضطراب السياسي أدرك الخليفة المتوكل خلالها خطر تدخل الاتراك في السياسة وحاول أن ينهج نهجاً جديداً ويربط نفسه بتكتلات جديدة لينقذ نفسه والخلافة معاً من الأزمة(11).

المتوكل وقادة الجيش:

نرى أن المنعطف التاريخي الذي غير سياسة الخليفة المتوكل(12) تجاه قادة الجيش، هو انتقال الخليفة إلى مدينة دمشق سنة 242هـ حيث عقد العزم على المقام بها ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء بها. ولم تمض إلا مدة قصيرة حتى شغب الجند والاتراك وأرغموا المتوكل على العودة بعد إقامته فيها مدة شهرين(13). ولاريب فإن قرار الخليفة بالرجوع كان حكيماً وفطناً. على الرغم من أنه كان رضوخاً للقادة والجند غير المنضبطين، فإن بلاد الشام وهي المعروفة بولائها للأمويين لايمكن أن تساند خليفة عباسياً، وكان على المتوكل بعد أحداث دمشق سنة 242هـ أن يدرك سوء نية بغا الكبير وابنه موسى وتآمرهما عليه مع أنه عفى عنه بعد ذلك بقليل.

وتدلنا المصادر التاريخية إلى ان القادة العسكريين استمروا في الحصول على امتيازات جديدة فوسعوا اقطاعاتهم في المناطق المحيطة بسامراء(14) كما أن إنشاء(ديوان الجند والشاكرية وديوان الموالي والغلمان) يدل على ازدياد عدد الترك وتوسيع المؤسسة العسكرية وزيادة مصروفاتها المالية، وكان القادة وجندهم يحصلون على أرزاقهم على الرغم من تدهور حالة الخزينة المركزية وذلك

بالضغط على الخليفة، كما استطاع بعضهم مثل وصيف الحصول على ضياع في أصفهان والجبال وفارس وهكذا أصبحت الحالة لاتحتمل فيما تخص الخليفة(15).

ولكن رؤساء الجيش وجندهم لم يقنعوا بكل هذه الامتيازات، ولابد لنا من أن نشير بأن تدهور العلاقة بين الخلافة والقادة العسكريين يعود بالدرجة الأولى إلى مطاليب هؤلاء القادة المستمرة والمتزايدة للسلطة والمال سواءٍ بسواء، وذلك لأنهم كانوا يدركون تمام الادراك أهميتهم ومدى قوتهم في الجيش والادارة. وأن أية مقاومة من الخليفة كانت غير مجدية بل أنهم دبروا خطة لقتله والتخلص منه قبيل عودته من دمشق، ولكن بغا الكبير وقف ضد هذه المؤامرة وحال دون تنفيذها.

وهنا لابد من الاشارة إلى أن المتوكل(16) بدأ ينتهز أية فرصة سانحة لتقليل سلطة الاتراك، وقد استغل فرصته ذهاب ايتاخ للحج ونقل عنه الحجابة إلى وصيف ثم أمر والي بغداد بحبسه حين عودته من اداء مناسك الحج(17)، حيث نجحت الخطة ومات ايتاخ في السجن سنة 235هـ(18). ومما لاشك فيه إن بغداد بميولها المعادية للترك، ولتسلط الجيش كانت أنسب مكان لاعتقال ايتاخ وسجنه دون أن يجد نصيراً له. ويشير إلى ذلك أحد المؤرخين بقوله: ((ولو لم يؤخذ ماقدروا على أخذه، ولو دخل سامراء فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك))(19). ويقال إن ايتاخ كان موته بالعطش، وأنه أطعِم فاستسقى فمنع من الماء، وظل على هذا الحال، حتى مات عطشاً، وبقي ابناه في الحبس طيلة مدة حكم المتوكل(20).

المتوكل والعلويون:

لما تولى المتوكل الخلافة حدثت قفزة نوعية باتجاه تصفية العلويين، والقضاء على كل مايمت إليهم بصلة، إذ كان يحمل آراء مشددة للغاية ضدهم، ولهذا أقدم على اتخاذ اجراءات أمنية بالغة العنف والقسوة فاقت في ضراوتها جميع الاجراءات التي اتبعها اسلافه الاوائل، الذين لم يشقوا له الغبار في هذا المضمار، ان لم نقل انه كان غير مسبوق بمثلها، فأصبحت هذه الاجراءات سيرة سار عليها

من جاء بعده من الخلفاء، وكان لايكتفي ان يدعي أحد العلويين بأنهم أحق بالخلافة من العباسيين ليقتله(21)، بل كان يأخذ الناس بالمظنة(22) مع ان بعض الظن اثم بحكم التنزيل الحكيم الذي يقول: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ...](23) وخلافاً للقاعدة القانونية القائلة المتهم بريء حتى تثبت ادانته، وان حدث شك فانه يفسر لصالح المتهم لاضده(24).

ولم يتوقف بطشه بالعلويين الأحياء عند هذا الحد المثير للعجب، بل امتد أثره إلى الأموات أيضاً، فهدم قبر الحسين(رضي الله عنه) عام 236هـ(25) وآخرين من العلويين ومناصريهم(26) الذين قتلوا معهم، فسويت هذه القبور بالارض لتندرس معالمها، فلا يهتدي إليها أحد فيما بعد وأسال عليها المياه افراطاً في إزالة اثارها، ووزع الحراس على مفترق الطرق المؤدية إلى الموضع الذي كان فيه قبر الحسين وصحبه قبل تسويته بالأرض، منعاً لمرور الناس بهذا الموقع والهدف من ذلك قطع صلة الناس بهذه القبور التي تثير العطف وتجدد الميول(27)، وخشية استمرار تعلقهم به وبأهل بيته، لكي لايشكل هذا الميل والتعاطف الديني مع الحسين(رضي الله عنه) نوعاً من الانشقاق في جسم الدولة العباسية، ويحدث فيه شرخاً يهدد كيان دولتهم. وإذا ماشعروا بأن بعض هؤلاء يريدون زيارة الموقع، قبضوا عليهم، وقتلوهم(28)، وهناك أحداث كثيرة لأسماء كثيرة نالها القتل، بعد ضرب مبرح بالسياط من رجالات أمنه، وقد القيت جثث هؤلاء في النهر دون تغسيل، ومنع ذويها من تسلمها ودفنها مثلما حدث لعيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات في بغداد عام 241هـ(29).

وقد أدت سياسة المتوكل العنيفة هذه إلى سخط أهل بغداد عليه، وبدأوا يكتبون الشعارات على الجدران ان وجدوا إلى ذلك سبيلاً منددين بسياسته تجاه أهل البيت، معولين على هذه الوسيلة للتعبير عن تذمرهم وسخطهم ونقمتهم على المتوكل، لعدم توافر أية وسيلة أخرى تساعد على التصدي لهذا التشدد المفرط، وهذا يفسر

احكام القبضة الأمنية على كل شيء لابقاء زمام الأمر بيد الخليفة، على الرغم من بعده النسبي عن بغداد(30).

المتوكل وأهل الذمة:

في زمن المتوكل، يمكن القول بأن سياسته الدينية المتشددة هي القيود الجديدة التي فرضها على الذميين حيث أصدر مراسيم تأمرهم بوضع إشارات صفراء اللون على ثيابهم وأن يكون طليسانهم أصفر كذلك. كما وأن عبيدهم ينبغي أن يتميزوا عن عبيد المسلمين(31). وفي سنة 235هـ أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذّمة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير وركوب السروج بركب الخشَب وتبصير كرُوَتَيْن على مؤخّر السروج، وتبصير زِريّن على قلانس مَنْ لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون، وتبصير رقعتين على مظاهر من لباس مماليكهم مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه...ومن لبس منهم الزنانير ويمنعهم لبسَ المناطق، ومن خرج من نسائهم فبرزتْ فلا تبرز إلاّ في إزار عسلي، وقرر بأخذ العشر من منازلهم... وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة(32)، تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي تجري فيها أحكامهم فيها على المسلمين... ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليباً، وأن يشعلّوا في الطريق... وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، لئلا تشبه قبور المسلمين(33).

وفي سنة 239هـ أمر المتوكل بأخذ أهل الذّمة بلبس دُرّاعتين عسلتين على الأقبية والدّراريع في المحرّم منها، ثم أمره في صفر بالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحُمر دون الخيل والبراذين(34).

وثوب الأقاليم:

ان الصبغة الغالبة في عهد المتوكل على مسرح الأحداث، هي التكتلات والمؤامرات العاصمة وفي داخل البلاط خصوصاً والمتسمة بمحاولات الخليفة

التخلص من نفوذ الجيش في الادارة والسياسة، وكذلك الحد من ابتزاز كبار الكتاب والوزراء والولاة(35).

وعندما انشغل الخليفة بتدبير أمور العاصمة زاد من رجحان عوامل التفكك والضعف فظهر الصفارون في سجستان واستطاعوا تكوين سلطة سياسية وكيان مستقل على انقاض السلطة الطاهرية في المشرق الاسلامي(36).

وقد حدثت طيلة التاريخ العباسي الفتن والحركات والتمردات هنا وهناك، وكان دورها فعالاً في احداث البلبلة والقلاقل، وارباك حالة أمن الخلافة العباسية، ويشير التاريخ إلى وقوع حركة تمرد واسعة من العباسيين، وحركة تمرد واسعة من البطارقة في أرمينية، وتغلبوا على نواحيهم، وقتلوا الوالي(37) العباسي 237هـ، فأشتعلت الحرب وقاد بغا الكبير حملة كبيرة كان نتيجتها مقتل آلالاف قبل اخماد الحركة. وفي أسفل صعيد تحرك البُجة الاحباش من أجناس الحبش بالمغرب والسودان، ويؤدون إلى عمال السلطان في مصر كلّ سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تِبرْ قبل أن يطبخ ويصفىّ ((فلما كان أيام المتوكل امتنعت البُجة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية))(38) ونقضت العهد الذي كان بينها وبين المسلمين وخرجت من بلادها إلى معادن والجوهر، ولكن الحملة العباسية بقيادة عنبسه بن إسحاق الضبيّ العامل على حرب مصر، وانضم إلى حملته قوم كثير من المتطوعة في سنة 241هـ استطاع قائد الحملة من اخضاع البجة والعودة إلى شروط العهد السابق مع المسلمين(39).

وكان لمحمد بن البعيث رجل يخدمه يسمّى خليفة(40)، فأخبره بأنّ المتوكل قد تُوفيَ، وتغلب على ناحية من آذربيجان يقال لها مرند(41) فنافره حمدويه بن علي، فضرب حمدويه، وأخذ بأموال رفعت عليه، وخلّى سبيل ابن البعيث، فأقام مشهوداً، وهرب من سامراء إلى مرند، وجمع إليه من كان بناحيته من الصعاليك، وأظهر المعصية والخلاف، وكان الوالي باذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة، فقصر في طلبه، فولّى المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان،

فسار إليه، فحاربه فقتله(42). وقوي أمر ابن البعيث، فوجه إليه زيرك التركي، فحاربه خير محاربة، ثم وجّه إليه عتاب بن عتاب، وكان البلد إلى بغا الصغير، فأقام يحاربه شهوراً، ثم أعطاه الأمان، فلمّا صار إليه حمله إلى باب السلطان، فحبس في يد اسحق، وذلك سنة 235هـ، فأقام في الحبس قليلاً ومات، وحمل يحيى بن روّاد أيضاً، فصيّر له اسم وقيادة(43).

هذا ولاننسى وثوب أهل حمص سنة 240هـ، وقد طردوا عاملهم، وكان أباالمغيث موسى بن ابراهيم، فخرج إلى حماة فوجه المتوكل عتاب بن عتاب ومحمد بن عبدويه بن جبلة وميسر أيضاً ومحمد عامل البلد، فاستقروا بديارهم عدة شهور، ثم وثبوا فشغبوا عليه، فاستطاع اقناعهم ومن ثم مكربهم، جماعة ومثلوا بين يديه، فضربهم بالسياط حتى ماتوا، وصلبهم على أبواب منازلهم لكي لايقدم أي منهم على هذا الفعل الخطير الذي يزحزح أمن الخليفة والخلافة معاً(44).

موقف المتوكل من الاعتزال:

وفي عهد الخليفة المتوكل تغير الحال عما كان عليه في عهود أسلافه بشأن الاعتزال والحنبلية، فقد واتت الرياح مراكب الحنابلة في عهد المتوكل232-247هـ، فقد وجد هذا نفسه أسير السيطرة التركية، وجد في التقرب من العامة وعاد عن القول بخلق القرآن، وأظهر السنة ونهى عن الجدال في القرآن، ورفع المحنة وأمر المحدثين بأن يجلسوا، فخرج المحدثون من الحنابلة حتى قيل ان ابابكر بن شيبة في جامع الرصافة، فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نسمة، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه نحو ذلك العدد أيضاً(45).

وازداد نفوذ الحنابلة، ولم يفوتوا أية فرصة للتعبير عن موقفهم وقوتهم، فحين أمر المتوكل برد جثة أحمد بن نصر المصلوبة إلى أهلها، إجتمع الرعاع والغوغاء إلى خشبته وكثروا وتكلموا، كما اجتمع إلى الجثة مالايحصى من العامة متحمسين متبركين(46).

وأطلق من كان في سجون الخلافة عام 231هـ، ولاسيما أولئك الذين سجنوا زمن الواثق، إذ خلى سبيلهم جميعاً وكتب عام 231هـ إلى الآفاق كتباً، ينهي فيها عن المناظرة والجدال فالتزموا بما أمر به الخليفة، وقد كانت هذه الأحداث مثار جدال ومنازعات بين الناس، مما كان يهدد أمن الدولة بالخطر في حالة اندلاعها وهيجانها(47).

نلاحظ ان حركة الاعتزال في العصر العباسي الأول مرت بثلاثة أدوار أولها، بُعدها عن السلطة، وكانت الدولة تحاربها(48)، وثانيها، تحول الاعتزال إلى عقيدة ومبدء للدولة ونيل خصومها الأذى، وثالثها تراجع الدولة عن هذه العقيدة، كمذهب رسمي فعادت تشكل حركة فكرية في الاطار العام للعقيدة الاسلامية. الا أنها لم تعد قوية بدرجة يمكن معها ان تشكل خطراً على أمن الدولة(49).

موقف المتوكل من الضالين:

وفي سنة 235هـ ظهر بسامراء رجل يدعى محمود بن الفرج النيسابوريّ، فزعم أنه ذو القرنين، ومعه سبعة وعشرون رجلاً عند خشبة بابك، وخرج من أصحابه وجماعته بباب العامة رجلان، وببغداد في مسجد مدينتها آخران، وزعما أنه نبيّ، وأنه ذو القرنين، فجاء به وبأصحابه إلى المتوكل، فأمر حراسه بضربه بالسياط؛ ونفذ الأمر فضرب ضرباً شديداً مبرحاً، فمات من بعد من ضَرْبه ذلك، في حين حبس أصحابه؛ الذين كانوا قادمين من نيسابور، وبحوزتهم شيء يقرءونه، ومعهم عوائلهم، من بينهم شيخ يشهد له بالنبوّة، ويزعم أنه يوحى إليه، وبحسب زعمه أنّ جبرائيل يأتيه بالوحي، فضرب مئة سوط، على الرغم من هذا الجلد المبرح، لم ينكر نبوته، وضرب الشيخ الذي كان يشهد للنيسابوري بالنبّوة أربعين سوطاً، فعدل عن رايه، فأنكر نبّوته حين ضرب. وحمل محمود النيسابوري بين يدي المتوكل ومن ثم إلى باب العامة، فكذّب نفسه أمام الناس، وقال امام العامة، ان الشيخ قد اختدعني، وأمر المتوكل أصحاب محمود النيسابوري أن يصفعوه فصفعوه؛ كل واحد من أصحابه عشر صفعات، وأخذ له

مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرآنه، وأن جبرائيل عليه السلام كان يأتيه به، هذا ولم تمض إلاّ مدة حتى مات في السنة نفسها ودفن بالجزيرة(50).

موقف المتوكل من وزرائه وكتابه:

يشير الطبري في احدى رواياته إلى ان اباجعفر بن عبدالملك بن ابان حمزة المعروف بابن الزيات وزير المعتصم ((قد اتخذ تنوراً من حديد واطراف مساميره المحددة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، في أيام وزارته، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم، ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال أحد منهم أيها الوزير ارحمني، فيقول له الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله في التنور، وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد، فقال: ياأمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة، كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فاحضرتا إليه فكتب قائلاً))(51):

هي السبيل فمن يوم إلى يوم   كانه ماتريك العين في النوم

لايجزعن رويداً انهــا دول   دنياك تنقل من قوم إلى قوم

وسيرها إلى المتوكل، فاشتغل ولم يقف عليها الاّ في الغد، فلما قرأها المتوكل أمر حراسه باخراجه فجاؤا إليه ووجده ميتاً وذلك سنة 233هـ(52).

وفي أيام المتوكل أيضاً كان محمد بن منصور يتقلد القضاء بكور الاحواز(الأهواز)، وكان عمر بن فرج الرخجي يتقلد الخراج بها، وكانا متوازيين في المرتبة السلطانية، بيد أنهما كانا موغلان في التشاحن والتناحر على نيل التعظيم والفوز بالتكريم، وكانت كتب الخليفة ترد عليهما بخطاب واحد، وكثيراً ماكان الرخجي، يكتب إلى المتوكل ضد القاضي يشفي غليل الثأر لكن الخليفة لم يكن ليكترث بكتاباته لرفعة منزلة القاضي عنده، وبعد حين ورد كتاب الخليفة عليهما يدعوهما إلى الاجتماع معاً(53) لتداول أمر سمه لهما، ونظراً لتمكن

المشاحنة والتباغض منهما، لم يتنازل أحدهما للآخر، إذ طلب الرخجي من القاضي الحضور الى الديوان، فامتنع وأبى، وعامل القاضي الرخجي بمثل ماعومل به، فطلب منه الحضور إلى الجامع، وأصر كل منهما على رفض طلب الآخر، غير ان السر لم يمكث في مخبئه بين أسوار الكتمان، إذ طلب الرخجي من الخادم الرجوع إلى المتوكل لإبلاغه مماحدث. وقال ابلغ الخليفة ان القاضي رفض الحضور إلى الديوان، وألح حضوري إلى الجامع، وعندما علم القاضي باجراء الرخجي قدم إلى الديوان ودخل، والرخجي يلقي دروسه على المتعلمين، مسترسلاً في الزهو والخيلاء وهو يعد مزاياه التي يتفوق بها عليه منها، وان الخليفة قد اطلق يده في الأموال دون مسآءلة. وما ان أمسك الرخجي عن الكلام حتى التفت القاضي إلى الوكيل وخاطبه أيها الوكيل، وجب عليك إبلاغ الخليفة بما اعترف به بحضور الشهود ليتم الزامه برد تلك الأموال إلى بيت مال المسلمين(54). ولدى اطلاع صاحب الخبر على كل تلك التفاصيل المتعلقة بماكان بين المتشاحنين رفعها إلى المتوكل، فاصدر أمراً بالقاء القبض عليه، ومصادرة جميع أمواله وممتلكاته التي تعرف بالرخجيات، واودعه السجن في سامراء يذوق سوء العذاب(55).

وقال عليّ بن الجهم بن بدر لنجاح بن سلمة يحرّضه على عمر بن فرج(56):

أبلِغْ نَجاحاً فتى الكتّابِ مَألُكـــة ... تمضي بها الرِّيحُ إِصداراً وإيرادا
لايخرُجِ المالُ عفواً مِن يَدَيْ عمرٍ ... أو يُغْمَدَ السَّيفُ في فوْدَيه إغمــادا
الرُّخجِّيُّونَ يوفون مــــــــاوعَدُوا ... والرخَّجيّات لايُخلِفْنَ ميعــــــادا

وقال أيضاً يهجوه(57):

جَمعتَ أمَرَيْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما ... تِيهَ المُلوكِ وأفعــالَ المماليكِ
أردتَ شكرّا بلا بــــــرّ ومَرْزِئَةٍ ... لقد سلَكتَ سبيلا غيرَ مسلوك
ظننْتَ عِرضَك لم يُقرَعْ بقارعة ... وما أراك على حالٍ بمتروك.

وفي سنة 233 أمر المتوكل بابراهيم بن الجنيد النصراني، أخي أيوب كاتب سمانة، فضُرب له بالأعمدة حتى أقر بسبعين ألف دينار، فوجّه معه مباركاً المغربيّ إلى بغداد حتى استخرجها من منزله، وجيء به فحبس(58).

وفي السنة ذاتها غضب المتوكل على أبي الوزير، وأمر بمحاسبته، فحمل نحواً من ستين ألف دينار، وحمل بدورَ دراهيم وحليّاً، وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سَفَطاً واثنين وثلاثين غلاماً وفرشاً كثيراً، وحبس بخيانته محمد بن عبدالملك أخا موسى بن عبدالملك والهيثم بن خالد النصراني وابن أخيه سعدون بن عليّ، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار، وصولح أبنا أخيه عبدالله وأحمد على نيّف وثلاثين ألف دينار، وأخذت ضياعهم بذلك(59).

وأما أحمد بن أبي دؤاد، فهو الرجل الموثوق به في عهد المأمون وعظيم دولة المعتصم والواثق، وقاضي القضاة في زمنهما والذي كان يعطف على المتوكل في عهد أخيه الواثق حتى استرضاه عنه بعد ان كان قد غضب عليه، فلما ولي المتوكل حفظ له مقامه ورتبته وسابقته، فكان قاضي القضاة وعظيم الدولة(60).

وفي سنة 233هـ(61) فلج فعجز عن العمل فكان ابنه أبو الوليد يقوم مقامه في القضاء وولاية المظالم، الا أن الرجل لم تكن سيرته سيرة أبيه فكانت النتيجة أن غضب الخليفة المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وعل ابنه فعزلهما عن المظالم ورضي عن يحيى بن أكثم التميمي فأشخصه من بغداد غلى سامراء وولاّه قضاء القضاة والمظالم(62). وأمر بالمتوكل على ضياع أحمد بن أبي دؤاد لخمس بقين من صفر سنة 237هـ، ولم يقف اجراء بالتوكيل عند هذا الحد، بل حبس ابنه محمد في ديوان الخراج وحبس إخوته عند عبدالله بن السري مساعد صاحب الشرطة، ومن ثم حمل بعد ذلك بيومين أبوالوليد(عشرين) ألف دينار وجواهر ثمينة بقيمة(عشرين)ألف دينار، ثم صولح بعد ذلك على(ستة عشر ألف ألف)درهم، وأشهد عليهم جميعاً، ببيع كل ضيعة لهم، وفي أواخر سنة 239هـ مات محمد بن أحمد بن أبي دؤاد ببغداد، وبعد وفاته بعشرين يوماً توفي أبوه أحمد

وهم على تلك الحال(63). وفي سنة 244هـ غضب المتوكل على بختيشُوع، وقبض ماله، ونفاه إلى البحرين فقال أعرابيّ:

ياسَخطةً جاءت على مقدارِ ثارت له الليث على اقتدارِ(64)
منه وبختيشوع في اغتـرارِ لمّا سعى بالسّادةِ الأقمـارِ
بالأمراء القادةِ الأبـرارِ وُلاةِ عهد السّيِّدِ المختارِ
وبالمَوالي وبني الأحـرارِ رَمى به في مَوحِش القِفارِ
بساحِلِ البحرين للصّغارِ.

ومن أخباره الأخرى:

في سنة 245هـ أمر المتوكل ببناء الماحُوزة(65)، وسماها الجعفري(66)، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وتبين له ان الماحوزة هي المكان الأمثل، الذي يمكن أن تشيد فيه مدينة لاترتبط بولائها لإحدى السلالات أو الجماعات السياسية السابقة، أو تلك التي تناهضه كالعلويين الذين يهددون كيان الخلافة العباسية وأمنها.

وأوعز الخليفة بنقض القصر المختار والبديع، وحمل ساجهما إلى الجعفري(67)، وأنفق عليها أموالاً طائلة(68) فيما قيل أكثر من ألفي ألف دينار، وجمع فيها القُرّاء فقرءوا، وحضر أصحابه فوهب لهم المال. وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكليّة، وبنى فيها قصراً سماه لؤلؤة، لم يُرَ مثله في علوّه، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كَرْمي يكون شِرْباً لما حولها من فُوهةِ النهر إليها(69). وفي العام نفسه كان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخيره إياه عنهم فيها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ولسبع عشرة ليلة خلت من حزيران، ولثمان وعشرين من أرديوهشت ماه، فقال البحتريّ الطائيّ(70):

إنَّ يومَ النيِّرُوز عاد إلى العهـ دِ الذي كان سَنّهُ أرْدشيرُ(71).

ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه بالبذل والجود ولايتركه وإمساكه بخلاً، ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك

والهزل، فلما جاء المتوكل أحدث ذلك كله فاتبعه فيها أكثر خواصه ورعيته، وخير شاهد على ذلك ماذكره المبرد، حين قال: دخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب،... وبين يديه البحتري الشاعر، فأبتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل، وفي المجلس أبوالعنبس الصميري، فأنشد البحتري قصيدته التي أولها(72):

عن أي ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم

حسن يضيء بحسنه ... والحسن أشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر المتوكل ابن المتعصم:

المرتضى ابن المجتبي ... والمنعم ابن المنتقم

أما الرعية فهي من ... أمنات عدلك في حرم

ياباني المجد الذي ... قد كان قوض فانهدم

اسلم لدين محمد ... فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى ... بك والغنى بعد العدم

المتوكل والروم:

كانت الحروب بين المسلمين والروم لاتزال دائمة الاتصال براً وبحراً لاتنقطع إلاّ لهدنة وقتية. ففي سنة 238هـ أغار الروم على مصر من جهة دمياط، وكان أمير مصر عنبسه إبن إسحاق الضّبي، حاميتها أن يحضروا إليه بالفسطاط ليتجمل بهم، فلما جاءها الروم بمراكبهم، لم يجدوا بها حامية وكانوا على نحو(300)مركب، فدخلوا البلد وعاثوا فيه وأحرقوا دوره والمسجد الجامع وسبوا كثيراً من نساء وصبيان المسلمين وأهل الذمة، وأخذوا ماوصلت إليه أيديهم من المغانم ثم عادوا إلى بلادهم لم يكلم أحد منهم كلاماً. وكان المسلمون يفعلون مثل ذلك في صوائفهم من جهة الدروب التي تلاصق المملكة الاسلامية من الجهة الشمالية، وفي بحر الروم(73). وفي سنة 241هـ كان الفداء الرابع بين المسلمين والروم على نهر اللامس في 12شوال، وكان القائم به شُنيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبدالواحد الهاشمي القاضي وعلي بن يحيى الأرمني أمير

الثغور الشامية، وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة ايام(تسعمئة وعشرة رجل ونساء) على رواية الطبري(74). وخرجت الروم من ناحية شمشاط سنة 242هـ بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد، ثم خرجوا من الثغور الجزرية، فانتهبوا عدّة قرى، وأسروا نحواً من عشرة الآف إنسان، وكان دخولهم من ناحية أبريق، قرية قربياس؛ ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، فخرج قربياس وعمر بن عبدالله الأقطع وقوم من المتطوعة في أثرهم، فلم يلحقوا منهم أحداً، فكتب إلى عليّ بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً(75).

تواصلت أعمال الغزو من المتوكل للروم، حيث وجه الخليفة بغا من دمشق لغزو الروم في شهر ربيع الآخر سنة 244هـ، فغزا الصائفة، فافتتح صمُلة وأقام المتوكل بدمشق شهرين وأياماً، ثم رجع قافلاً إلى سامراء، فأخذ في منصرفه على الفرات، ثم عدل عن فكرته فتوجه شطر الانبار، ثم عدل من الأخيرة على طريق الحرف إليها، فدخلها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادي الآخرة(76).

وفي سنة 245هـ أغارت الروم على سُميساط، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمئة(77). وفي سنة 246هـ كان الفداء السادس بين المسلمين والروم في صفر على يد علي ابن يحيى الأرمني ففودي بألفين وثلثمئة وسبعة وستين نفساً.

المتوكل في نظر المؤرخين(78):

وتتعادل عند المؤرخين والباحثين سيئاته وحسناته، فإبطاله المناقشة في القرآن وحدوثه يرفعه إلى أعلى الدرجات، وهدمه قبر الحسين عام 236هـ يحطه إلى أسفل الدركات فكأنه عندهم لاعليه ولاله. أما الحكم على زمنه بما كان من مصادرة الكتاب وعقوباتهم الشديدة فلم يكن محل عناية من أحد(79).

المتوكل وولاية العهد:

تشبه المتوكل في كثير من أعماله وتصرفاته بجده هارون الرشيد، ومن ذلك توليته العهد، فقد عقد الولاية لأولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ومحمد المعتز وابراهيم المؤيد وذلك في 27ذي الحجة سنة 235هـ وقسم البلاد بينهم(80).

فجعل لأكبرهم المنتصر إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين وعانات العواصم والثغور الشأمية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وقرقيسيا وكورباجَرْمي وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعك وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفرج بيت الذهب وكورالأهواز والمستغلات بسامراء وماه الكوفه وماه البصرة وماسبذان ومهرجان قذق وشهرزور دراباذ والصامغان وأصبهان وقم وقاشان وقزوين وأمور الجبل والضياع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة.

وجعل لإبنه المعتز كور خراسان ومايضاف إليها، وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس، ثم ضم إليه في سنة 240هـ خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر بضرب اسمه على الدراهم(81).

وخصص لإبنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الاردن وجند فلسطين، فقال أبو الخصْن الأعرابيّ(81):

إنَّ وُلاةَ المسلمينَ الجِلَّهْ محمدٌ ثم أبوعَبدِ اللهَ(83)

ثمّت إبراهيمُ آبى الذِّلهْ بُورِكَ في بني خليفة الله

وكتب بينهم كتاباً يشبه الكتاب الذي كتبه الخليفة الرشيد بين الأمين والمأمون والقاسم، وقد جعل المتوكل لإبنيه المعتز والمؤيد تمام الاستقلال في اعمالهما، إذا آلت الخلافة للمنتصر بحيث لايجوز أن يشرك في شيء من أعمال أحدهما أحداً ولايوجه عليه أميناً ولاكاتباً ولابريداً ولايضرب على يده في قليل وكثير(84). وكذلك جعل على المعتز للمؤيد إذا آلت الخلافة للمعتز(85). وكتب من هذا الكتاب أربع نسخ، نسخة بخزانة أمير المؤمنين وعند كل من أولياء العهد نسخة، وهذا نموذج مماقيل من الشعر في هذه البيعة، قال إبراهيم بن العباس الصولي(86):

أضحَتْ عُرَى الإسلامِ وهْي مَنُوطةٌ بالنَّصرِ والإعزازُ والتأييدِ

بخليفة من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنَفو الخلافةَ من وُلاةِ عهودِ

قمـــــرٌ توالتَ حـــولهُ أقمارُهُ   يكنفْنَ مَطلَعِ سعدِهِ بســـعود
كنَفَتَهُم الآباءُ واكتنفـــتْ بـــهمْ   فسعوا بأكـــرمِ أنفسٍ وجُدُودِ

اغتيال المتوكل:

تعد الأزمة بين المتوكل والقادة العسكريين سبباً رئيساً في اغتياله. لقـد بـدأت الأزمة بسقوط ايتاخ وظهور البيروقراطية المدنية علىَ الصعيد الـسياسي تحـت زعامة عبيدالله بن يحيى والفتح بن خاقان. ثم تطورت الاحداث التـي صـعدت الأزمة حتى انفجرت حين بدأ المتوكل يتخذ اجراءات متتالية لإبعاد الترك فـصار ضياع وصيف. وانتهز الاتراك الفجوة الكبير بين الخليفة وابنه المنتصر فتحايلوا مع المنتصر ووضعوا نهاية مؤلمة للخليفة(87).

وكان بغا الشرابي العقل المدبر للمؤامرة إذ أعد القتلة ودبر خطة الاغتيال فـي مجلس الشراب. وعلى الرغم من أن المنتصر كان إلى جانب المتآمرين إلا أنه لم يشترك في إعداد الخطة. والمعروف أن المتوكل أسرف في إهانة إبنه وخلعه من ولاية العهد فاحتمى المنتصر بالقادة لأسباب شخصية(88).

لقد شعر المتوكل بتآمر الأتراك عليه، ولذلك أكثر من إحاطـة نفـسه بالخـدم والحاشية ولكن لم يكن إلى جانبه شخص عسكري كفوء يتمكن من حمايتـه مـن القادة الترك وقد فشل ابن خاقان والوزير ابن يحيى في اتخاذ اجراءات صـارمة للحفاظ على أمن الخليفة وسلامته، وفي ليلة الأربعاء 4شوال 247هـ قتل المتوكل في مدينة الجعفرية بعد انقضاض شرابه اوتامش صاحب المنتصر، وباغر، وبغلو، وواجن، وسعلفة، وكنداش(89)، وقتل معه نديمه الفتح بـن خاقـان وهـو يـدافع عنه(90).

هوامش الفصل الثاني عشر:

1- اليعقوبي:المصدر السابق 340/2؛ المسعودي: المصدر السابق 85/4.

2- المسعودي: المصدر السابق 118/4.

3- الطبري: المصدر السابق 159/9.

4- نفسه 156/9؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 273/1.

5- ايتاخ، كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباخاً، فاشتراه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومئة. الطبري 166/9.

6- فاروق عمر: المرجع السابق 287/1.

7- الطبري: المصدر السابق 156/9.

8- اليعقوبي: المصدر السابق 340/2.

9- الطبري: المصدر السابق 154/9-155؛ المسعودي: المصدر السابق 85/4.

10- فاروق عمر: المرجع السابق 188/1.

11- نفسه 288/1.

12- اليعقوبي: المصدر السابق 346/2.

13- ابن الأثير: المصدر السابق 129/6.

14- المسعودي: المصدر السابق 115/4-117.

15- الطبري: المصدر السابق 165/9-167.

16- فاروق عمر: المرجع السابق 291/1.

17- الطبري 166/9-167.

18- اليعقوبي: المصدر السابق 341/2.

19- الطبري: المصدر السابق 169/9؛ فاروق عمر: المرجع السابق 291/1.

20- اليعقوبي: المصدر السابق 341/2-342؛ الطبري: المصدر السابق 170/9.

21- ابوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق ، ص597؛ ابن خلكان: المصدر السابق 310/5؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص399.

22- الطبري: المصدر السابق 200/9-201.

23- القرآن الكريم: سورة الحجرات، آية، 12.

24- أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص101.

25- ابوالفرج: المصدر السابق ، ص597؛ مسكويه: المصدر السابق 546/6؛ ابن الطباطبا: المصدر السابق ، ص215؛ ابن تغري: المصدر السابق 283/2-284؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص400.

26- ابوالفرج: المصدر السابق ، ص597ومابعدها؛ مسكويه: المصدر السابق 546/6؛ السيوطي: المصدر السابق، ص400؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص101.

27- ابن الأثير: المصدر السابق 55/7-56؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع سابق ، ص101.

28- الطبري: المصدر السابق 200/9-201.

29- نفسه 200/9-201؛ ابن تغري: المصدر السابق 284/2.

30- ابن تغري: المصدر السابق 283/2-284؛ السيوطي: المصدر السابق ، ص400.

31- فاروق عمر: المرجع السابق 310/1.

32- اليعقوبي: المصدر السابق 342/2.

33- البلاذري: المصدر السابق 157/1؛ الطبري: المصدر السابق 171/9-172؛ فاروق عمر: المرجع السابق 310/1-311.

34- الطبري: المصدر السابق 196/9.

35- فاروق عمر: المرجع السابق 292/1.

36- ابن الأثير: المصدر السابق 38/7؛ فاروق عمر: المرجع السابق 292/1.

37- الطبري: المصدر السابق 187/9.

38- اليعقوبي: المصدر السابق 342/2؛ الطبري: المصدر السابق 204/9- 205.

39- اليعقوبي: المصدر السابق 2/ 342؛ الطبري: المصدر السابق 204/9-205.

40- الطبري: المصدر السابق 196/9.

41- مرند: قرية في آذربيجان يمر قربها نهر يدعى زكوير. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص285.

42- اليعقوبي: المصدر السابق 342/2.

43- الطبري: المصدو السابق 201/9، 203.

44- اليعقوبي: المصدر السابق 344/2؛ الطبري: المصدر السابق 199/9.

45- الطبري: المصدر السابق 190/9؛ الخطيب البغدادي: المضدر السابق 97/10.

46- الطبري: المصدر السابق 190/9؛ خياط المعتزلي: كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: الدكتور نيبرج، القاهرة، 1925م، ص23؛ ابن خلكان: المصدر السابق

63/1-64؛ محمود بن محمد محمد بن عرنوس: تاريخ القضاء في الاسلام، ص58-59؛ البير نصيري نادر: اهم الفرق الاسلامية السياسية، ص75.

47- ابن خلكان: المصدر السابق 63/1-64؛ محمود بن محمد: تاريخ القضاء في الاسلام، ص58-59؛ البير نصيري: اهم الفرق، ص75؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص135.

48- ياقوت: الادباء 26/17-27 ؛ ابن خلكان: المصدر السابق 122/4-123.

49- ابوحسين عبدالرحيم المعتزلي: كتاب الانصار، ص122-123؛ ياقوت: الادباء 26/1-27؛ أحمد عبدالعزيز: المرجع السابق ، ص135.

50- الطبري: المصدر السابق 175/9.

51- نفسه: 156/9-161، الخطيب البغدادي: المصدر السابق 343/2؛ ياقوت: الادباء 17/16؛ ابن خلكان: المصدر السابق 100/5؛ الصفدي: الوافي 32/4-34.

52- الطبري: المصدر السابق 161/9؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق 343/2؛ ابن خلكان: المصدر السابق 100/5؛ الصفدي: المصدر السابق 32/4-34.

53- الصابي: الهفوات النادرة، ص151-153.

54- نفسه، ص151-153.

55- الطبري: المصدر السابق 156/9-160.

56- نفسه 161/9-162.

57- نفسه 161/9-162.

58- نفسه: 162/9.

59- نفسه 162/9.

60- نفسه 163/9، 189؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 275/1.

61- اليعقوبي: المصدر السابق 344/2؛ الطبري: المصدر السابق 163/9، 188، 189.

62- اليعقوبي: المصدر السابق 344/2؛ الطبري: المصدر السابق 163/9، 188؛ المسعودي: المصدر السابق 96/4.

63- اليعقوبي: المصدر السابق 344/2؛ الطبري: المصدر السابق 16/9؛ المسعودي: المصدر السابق 97/4.

64- الطبري: المصدر السابق 211/9.

65- اليعقوبي: المصدر السابق 346/2؛ ابن الأثير: قال في الكامل الماخورة، 298/5.

66- اليعقوبي: المصدر السابق 346/2.

67- ذكر، ابن الأثير: الكامل الجعفرية، 298/5.

68- اليعقوبي: المصدر السابق 346/2.

69- الطبري: المصدر السابق 212/2.

70- نفسه 9/ 218.

71- البحتري: ديوانه 52/2.

72- المسعودي: المصدر السابق 91/4-92؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 277/1.

73- الطبري: المصدر السابق 193/9-194.

74- نفسه 202/9-203.

75- نفسه 207/9.

76- نفسه 210/9.

77- نفسه 218/9.

78- نفسه 219/9.

79- فاطمة محمود: المرجع السابق 278/1.

80- الطبري: المصدر السابق 176/9؛ فاطمة محمود: المرجع السابق 278/1.

قائمة المصادر والمراجع:

الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد ابي الفتح(ت 850هـ/1446م).

- المستطرف في كل فن مستظرف، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1982م.

ابن أبي زرع: أبوالحسن علي الفاسي(كان حياً قبل عام 726هـ/1360م).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، نشر: دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

ابن الأبار: أبو عبدالله محمد بن محمد(ت 658هـ/1259م).

- الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، القاهرة، 1963م.

ابن الأثير: عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري(ت 630هـ/1233م).

- الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، 1966م.

ابن الأعثم الكوفي: أبومحمد أحمد بن الأعثم(ت 314هـ/926م).

- كتاب الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

ابن الجوزي: جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي(ت 597هـ/1200م).

- أخبار الحمقى والمغفلين، منشورات المكتبة التجارية، التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1359هـ.

ابن الخطيب البغدادي: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب(ت 463هـ/1070م).

- تاريخ مدينة بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، وطبعة القاهرة، 1931م.

- تاريخ العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق: احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964م. وطبعة الاندلس، 1956م.

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا(ت 709هـ/1309م).

- الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، القاهرة، 1962م.

ابن العبري: أبوالفرج غريغوريوس أهرون السلفي(ت 685هـ/1286م).

- تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت 874هـ/1470م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929-1972م.

ابن خرداذبة: أبوالقاسم عبدالله بن عبدالله الخراساني(ت 280هـ/897م).

- المسالك والممالك، طبعة بريل، باعتناء دي غويه، 1889م. اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعها بالأوفسيت.

ابن خلدون: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد(ت 808هـ/1406م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر(تاريخ ابن خلدون) دار البيان، ودار الكتاب اللبناني، 1957م.

ابن خلكان: ابوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان(ت 681هـ/1282م).

- وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1972م و 1976م.

ابن دحية الكلبي: أبوالخطاب بن عمر بن أبي علي حسن بن علي البلنسي(ت 633هـ/1235م).

- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس العزاوي، مطبعة بغداد، 1946م.

ابن دريد: أبوبكر محمد بن الحسن(ت 321هـ/933م).

- جمهرة اللغة العربية، حيدر آباد، الدكن، 1345هـ.

ابن طيفور: أبوالفضل أحمد بن أبي طاهر(ت 280هـ/863م).

- تاريخ بغداد، صححه وعلق عليه الشيخ محمد زاهد الحسن الكوثري وراجعه ووقف على طبعه، السيد عزت العطار الحسيني، بغداد، 1949م.

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي(ت 328هـ/939م).

- العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، القاهرة، 1953م.

ابن عذاري: ابوالعباس أحمد بن محمد المراكشي(كان حياً سنة 712هـ/1312م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر طولان وليفي بروفنسال ليدن، 1948م، اعادت دار الثقافة نشره في بيروت؛ وطبعة ليدن، 1951م.
ابن عساكر: كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله(ت 571هـ/1175م).
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: تهذيب عبدالقادر بدران، دار السيرة، بيروت، 1979م.
ابن كثير: عمادالدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت 747هـ/1363م).
- البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، القاهرة، 1932م.
ابن المعتز: عبداللة بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد(ت296 هـ/908م)
- طبقات الشعراء ، تحقيق : عبدالستار احمد فرج ، دار المعارف ، القاهرة، 1981.
ابن النديم :محمد بن اسحاق (ت383 هـ/993 م)
- الفهرست ، تحقيق: رضا تجدد، طهران 1971
ابن واصل الحموي(ت 697هـ/1297م).
- تجريد الأغاني: تحقيق: الدكتور طه حسن وابراهيم الابياري، ق1، ج3، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1957م.
أبويعلي: أحمد علي التميمي الموصلي(ت 307هـ/919م).
- الأحكام السلطانية، القاهرة، 1938م.
الأربلي: عبدالرحمن سبط بن ابراهيم بن قنيتو(ت 717هـ/1317م).
- خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، 1962م.
الأزدي: أبو زكريا بن محمد بن اياس(ت 334هـ/945م).
- تاريخ الموصل، تحقيق: الدكتور علي حبيبة، دار التحرير، القاهرة، 1967م.
الأشعري: أبوالحسن علي بن اسماعيل(ت 330هـ/941م).
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السعادة، القاهرة، 1950م.

الاصفهاني: أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد القريشي الأموي(ت 356هـ/967م).
– مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1949م.

البغدادي: أبومنصور عبدالقادر بن طاهر بن محمد(ت 429هـ/1037م).
– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.

البكري: أبوعبيدالله بن عبدالعزيز(ت 487هـ/1094م).
– المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر، دي سلان، الجزئر 1857م.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر(ت 279هـ/892).
– فتوح البلدان، نشر ووضع ملاحقه، الدكتور صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1956م.

البلخي: عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي(ت 317هـ/929م).
– البدء والتاريخ.

البيروني: أبوالريحان محمد بن أحمد(ت 440هـ/1048م).
– الآثار الباقية عن القرون الخالية، بعناية أدوارد سنحاو، ليبزيك، 1923م.

التنوخي: المحسن بن علي(ت 384هـ/994م).
– كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، دار بيروت، 1978م.

التوحيدي: أبوحيان علي بن محمد(ت 387هـ/997م).
– الأمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1953م.

الثعالبي: أبومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل(ت 429هـ/1037م).
– ثمار القلوب في المضاف المنسوب، تحقيق: محمد أبوالفضل، القاهرة، 1965م.
– لطائف المعارف، تحقيق: الابياري، حسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1960م.

الجاحظ: عمرو بن بحر(ت 255هـ/868م).

- الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، 1965م.

- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.

- التاج في أخبار الملوك(منسوب إليه)، دار الفكر العربي، دار البحار، بيروت، القاهرة، 1914م.

- البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، القاهرة، 1976م.

- مناقب الترك، القاهرة، 1914م.- ثلاث رسائل، ليدن، 1903م.

الجهشياري: أبوعبدالله محمد بن عبدوس(ت 331هـ/942م).

- الوزراء والكتاب، بعناية السقا والانباري وشلبي، القاهرة، 1938م.

خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط(ت 240هـ/854م)

- تاريخ خليفة، تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دار القلم، دمشق، 1972، 1977م، وبغداد، 1967م.

الخياط : أبوحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان بن الخياط(عاش في القرن الثالث الهجري، العاشر الميلادي).

- كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: الدكتور نيبرج، القاهرة، 1925م.

الدينوري: ابن قتيبة عبدالله بن مسلم(ت 276هـ/889م).

- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1960م، وطبعة اخرى، تحقيق: محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، القاهرة، 1934م.

- الإمامة والسياسة، (منسوب إليه) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر القاهرة، 1963م.

- عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1973م.

- الشعراء والشعراء، بيروت، د.ت.

الدينوري: أبوحنيفة أحمد بن داود(ت 282هـ/895م).

- الأخبار الطوال، قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه، الدكتور عصام محمد الحاج علي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

الذهبي: ابوعبـداﷲ محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قايمـاز التركمـاني(ت 748هـ/1317م).

- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت والتراث العربي، الكويت، 1960م.

- مختصر تاريخ الدول الاسلام، حيدر آباد الدكن، 1327هـ.

الزبيري(ت 236هـ/850م).

- نسب قريش، القاهرة، 1953م.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي(ت 911هـ/1505م).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975م.

شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي(ت 764هـ/1363م).

- فوات الوفيات، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1973م. ج2، ج3، ج4، 1974م.

- عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلـة عبـدالمنعم داود، وزراة الاعـلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، 1977؛ ونسخة المكتبة الوطنية باريس.

الشهرستاني: ابوالفتح محمد بن عبدالكريم(ت 548هـ/1153م).

- كتاب الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.

الصابي: أبوالحسن محمد بن هلال الصابي(ت 480هـ/1087م).

- الهفوات النادرة، تحقيق: الدكتور صالح الاشتر، مطبوعات مجمع اللغـة العربيـة، دمشق، 1967م.

الصابيء: أبوالحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم(ت 448هـ/1056م).

- رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، 1964، 1969م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك(ت 764هـ/1363م).

- نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1915م.

- الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتر، فرانزشتايز، الطبعة الثانية، 1962م.

الصولي: أبوبكر محمد بن يحيى بن عبداﷲ(ت 335هـ/946م).

– أدب الكتاب، القاهرة، 1341هـ.
الطبري: أبوجعفر محمد بن جرير(ت 310هـ/922م).
– تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1966م.
القلقشندي: أبوالعباس أحمد بن علي(ت 821هـ/1418م).
– مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فرج، تراث العربي، الكويت، 1956م.
الكندي: أبوعمر محمد بن يوسف(ت 350هـ/961م).
– الولاة والقضاة، بيروت، 1908م.
الكيلني: أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي(ت 328هـ/940م).
– أصول الكافي، تصحح: علي أكبر الغفاري، طهران، 1381هـ. وطبعة النجف، 1385هـ.
مؤلف مجهول:
– الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، الاسكندرية، 1958م.
مؤلف مجهول:
– كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، نشره دغويه، طبعة بريل، ليدن، 1871م، واعادت طبعه مكتبة المثنى بغداد.
مؤلف مجهول: من القرن الثالث الهجري.
– أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبارُ العباس وَوَلَدِه، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز الدوري، الدكتور عبدالجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، 1971م.
الماوردي: أبوالحسن علي بن محمد حبيب البصري البغدادي(ت 450هـ/1058م).
– الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة السعادة، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م.
المبرد(ت 350هـ/961م).
– الكامل في الأدب، القاهرة، 1956م.

المرتضى: أحمد بن يحيى(ت 840هـ/1436م).
- كتاب طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنة ريفلد، فلزر، نشر فرانز شتايز، فسبادن، بيروت، 1961م.
المسعودي: أبوالحسن علي بن الحسين بن علي(ت 346هـ/959م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وقدم له الدكتور مفيد محمد، دار الكتب، بيروت، 1986، وطبعة بيروت، 1965م.
- التنبيه والاشراف، مكتبة الخياط، بيروت، 1965م، 1985م.
مسكويه: أبوعلي محمد بن أحمد بن يعقوب(ت 421هـ/1030م).
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ليدن، 1871م، اعادت طبعه مكتبة المثنى بغداد.
- تهذيب الأخلاق، طبعة، 1958م.
المقدسي: مظفر بن طاهر(ت 355هـ/967م).
- البدء والتاريخ، باعتناء: كلمان هوار، بغداد، أوفيست بدون تاريخ، وطبعة باريس 1899-1906م.
المقري: احمد بن محمد التلمساني(ت 355هـ/965م).
-- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د.احسان عباس، القاهرة، 1949م.
المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ/1442م).
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1934م.- المواعظ والاعتبار، بيروت، 1853م.
المناوي: الشيخ عبدالقادر(ت 1022هـ/1613م).
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، نشر وصححه وعلق عليه، محمود ربيع، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1938م.
النرشخي(ت 348هـ/959م).
- تاريخي بخارى طهران، 1939م، ترجمة انجليزية للمستشرق فراي، 1954م.
نظام الملك(ت 485هـ/1092م).
- سياسة نامه(سير الملوك)، لندن، 1960م.

النوبختي: محمد الحسن بن موسى النوبختي(ت 202هـ/817م).
- فرق الشيعة، صححه وعلق عليه محمد صادق بن بحر العلوم، المطبعة الحيدرية النجف، 1936م.
النويري: شهاب الدين محمد بن عبدالوهاب(ت 732هـ/1322م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976م.
ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبدالله الحموي(ت 626هـ/1228م).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- معجم الادباء أو الارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب(ت بعد 292هـ/905م).
- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1960م.
- البلدان، طبعة ليدن، 1891م. اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى، بغداد.

المراجع الحديثة والمترجمة:

أحمد أمين: ضحى الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1933م. وطبعة بيروت، 1926م.

أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة العصر العباسي الأول، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1962م.

أحمد سعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر، 1969م.

أحمد شلبي: التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.

أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، دون تاريخ.

اسماعيل العربي: دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983م.

انطوني فون أيزن: عبدالرحمن الداخل صقر قريش أو أمير أمية، ترجمة: عبدالرحمن الكتاني، دار الكتاب الثقافي، دار المتنبي، عمان، دون تاريخ.

بارتولد، فاسيلي فلاديمرفتش: تاريخ الحضارة الاسلامية، نقله عن التركيــة، حمــزة طاهر، القاهرة، 1942م.- تركستان من الفتح العربي إلى الغــزو المغــولي، ترجمــة، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، 1981م.

بتلر: فتوح العرب بمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1933م.

بسام العسلي: فن الحرب الاسلامية في العصر العباسي، بيروت، 1988م.

البير نصيري نادر: أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية، المطبعــة الكاثوليكيــة، بيروت، 1958م.

جاك س. ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة، غانم عبدون، د.ت.

جرجي زيدان: التمدن الاسلامي، القاهرة، 1911-1914م.

جمال حمدان: جغرافية المدن، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة البيان العربــي، القاهرة، 1982م.

حسن ابراهيم حسن: النظم الاسلامية، مطبعة الــسنة المحمديــة، القــاهرة، 1939، 1962م.- تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتمــاعي، مكتبــة النهــضة المــصرية، القاهرة، 1935م.

حسين علي الخربوطلي: المختار الثقفي، القاهرة، 1963م.

- المهدي العباسي، سلسلة الاعلام العربية، القاهرة، 1966م.

حمدي عبدالمنعم: ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصاته، بيروت، 1983م.

خليل ابراهيم السامرائي وآخــرون: تاريخ المغرب العربي، جامعــة الموصــل، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988م.

دومنيك سورديل: الوزارة العباسية، جزءان بالفرنسية، دمشق، 1960م.

رستم اسد : الروم فى سياستهم وحضارتهم و دينهم وثقــافتهم ، منــشورات المكتبــة البولسية ، بيروت 1988م.

رمزية محمد الاطرقضي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العــصر العباسي الأول، مطبعة الجامعة، بغداد، 1982م.

سميرة الليثي: الزندقة والشعوبية، القاهرة، 1968م.

شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، القاهرة، 1966م.
الشيخ أحمد الخضري: الدولة العباسية، مكتبة الايمان بالمنصورة، القاهرة، دون تاريخ.
صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1985م.
عبدالأمير حسين دكسن: الخلافة الأموية، دار النهضة العربية، ط ، بيروت، 1973م.
عبدالجبار الجومرد: داهية العرب أبوجعفر المنصور، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1956م.- هارون الرشيد، مكتبة العمومية، بيروت، 1956م.
عبدالجبار ناجي: دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، البصرة، 1986م.
عبدالحميد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الاسلامي، الاسكندرية، 1948م.
عبدالحي الكتاني: التراتيب الادارية في المدينة المنورة العلية، الرباط، 1346هـ.
عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة، ط3، بيروت، 1997م.
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1948م.
عبدالكريم الاشتر: دعبل الخزاعي شاعر آل البيت، دراسة تحليلية لحياته وشعره، دار الفكر، دمشق، 1964م.
عبدالله سلوم السامرائي: الشعوبية بين حركة مضادة للاسلام والأمة العربية، المؤسسة العراقية للدعاية والطبع، بغداد، 1984م.
عماد عبدالسلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دار البصري، بغداد، 1966م.
غوستاف فون فربناوم: شعراء عباسيون، ترجمها، الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت، 1953م.
فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية(عصر القوة والازدهار)، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2003م.
- الدعوة العباسية وقيام الخلافة العباسية، بغداد، 1986م.
- الجذور التاريخية للوزراة العباسية، بغداد، 1986م.
فاطمة محمود الجوابرة: موسوعة الخلفاء، الراشدون، الامويون، العباسيون، ط ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.

فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن ابراهيم حسن، محمد زكي ابراهيم، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1934م.

فيليب حتي: تاريخ العرب، لندن، 1937م، وطبعة 1952م.

كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله إلى العربية، نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1975م.

كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وطورطيس عواد، مطعبة الرابطة، بغداد، 1954م.

محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م.

محمد حسين الأعرجي: جهاز المخابرات في الحضارة الاسلامية، دمشق، 1998م.

محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1998م.

محمد كرد علي: خطط الشام، دمشق، 1922-1926م.

نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، بيروت، 1985م.

هادي حسين محمود: العقائد والفرق الدينية، دار القادسية للطباعة، مطبعة عصام، بغداد، 1984م.

يوليوس ولهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة الدكتور العميد يوسف العش، مطبعة جامعة دمشق، 1956م.

الموسوعات:

دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، ترجمة: ابراهيم زكي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الشعب، القاهرة، 1969م.

- مينورسكي: مادة مازيار.

دائرة المعارف البريطانية، الطبعة الجديدة، 1975م.

- فاروق عمر فوزي: مادة البرامكة.

الرسائل الجامعية غير المنشورة:

أحمد عبدالعزيز محمود مصطفى:

- الأمن في بغداد خلال العصر العباسي الأول 145-247هـ/762-861م، اطروحة دكتوراه على آلة الطابعة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1998م.

الدوريات:

فاروق عمر فوزي: سقوط البرامكة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1985م.

- الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، بغداد، 1968م.

محمد أرشد العقيلي: العيارون والشطار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون، مجلة دراسات تاريخية، السنة الخامسة عشرة العدد(49-50)، آذار 1994م.

مصطفى الصاوي الجويني: موقف المعتزلة من تفسير القرآن والاحاديث المروية، مجلة العربي العدد(115) الكويت 1968، والعدد(122) الكويت، 1969م.

المراجع الأجنبية:

Muir, W:

- The Caliphated, Ed, by. T. H. Weir Edinburgh, 1922.

Runciman, S:

- Chalemagne and Palestine English Historical Revieul, I. London, 1953.

Einhard:

- The Life of Chariemgne.

Sadighi:

- Les Momination Arabe. Amesterdam, 1893.

Richard Coke:

- Baghdad the City of Pease, London, 1921.

Lapidus:

- Muslim Cities in the Later Ages.

Encyclopaedia of Islam, Vol, part, 2, art-Baghdad.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين